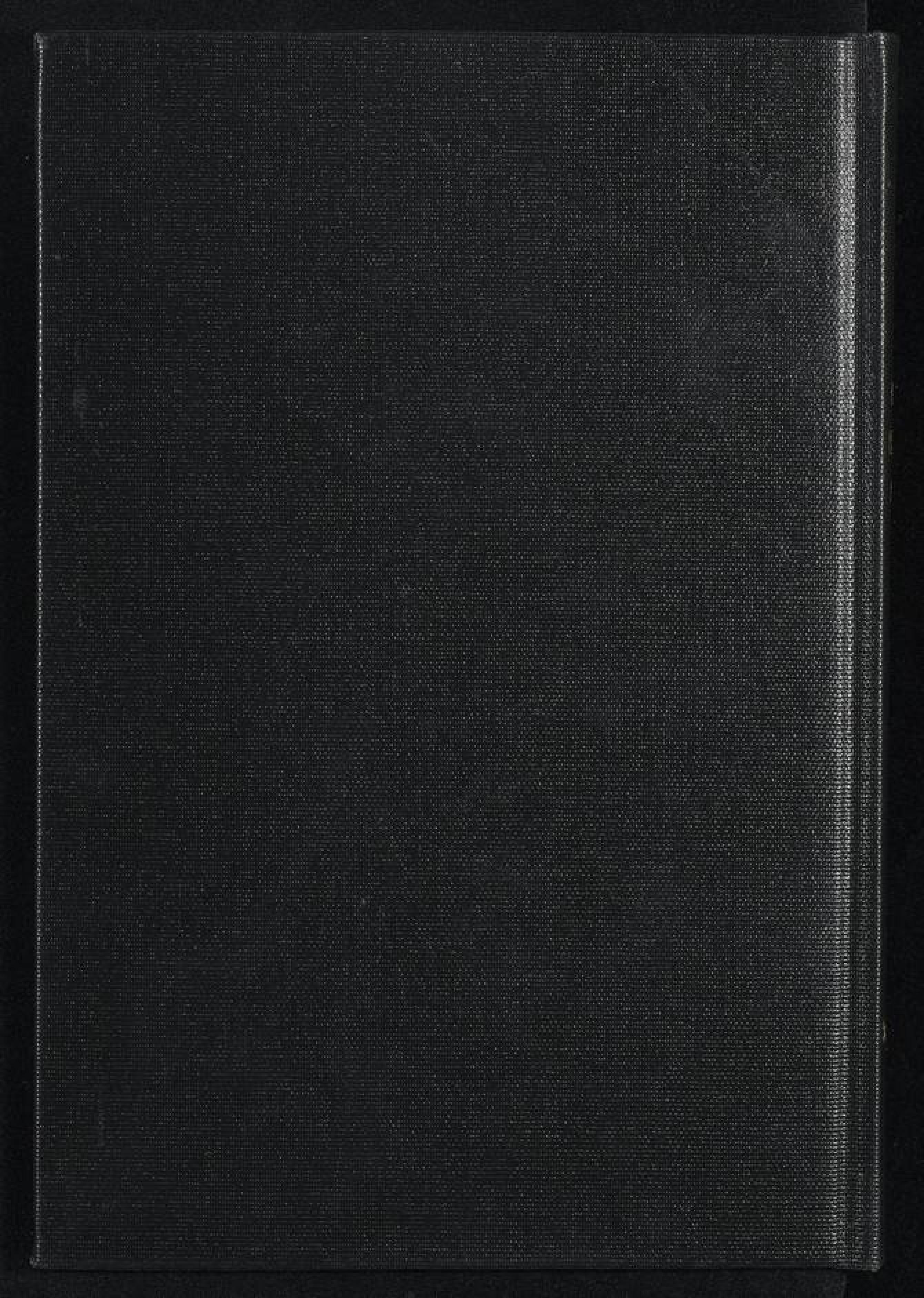
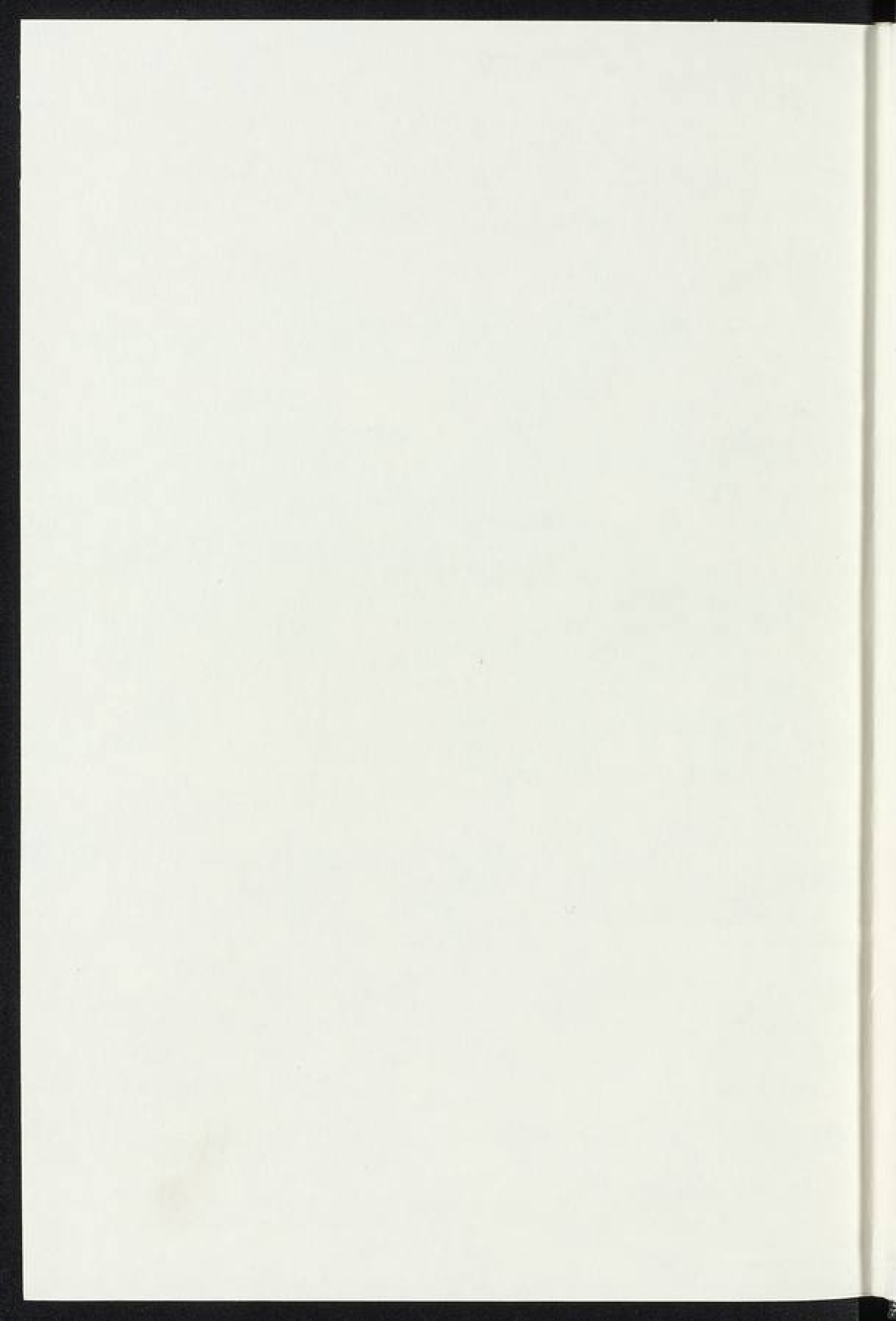
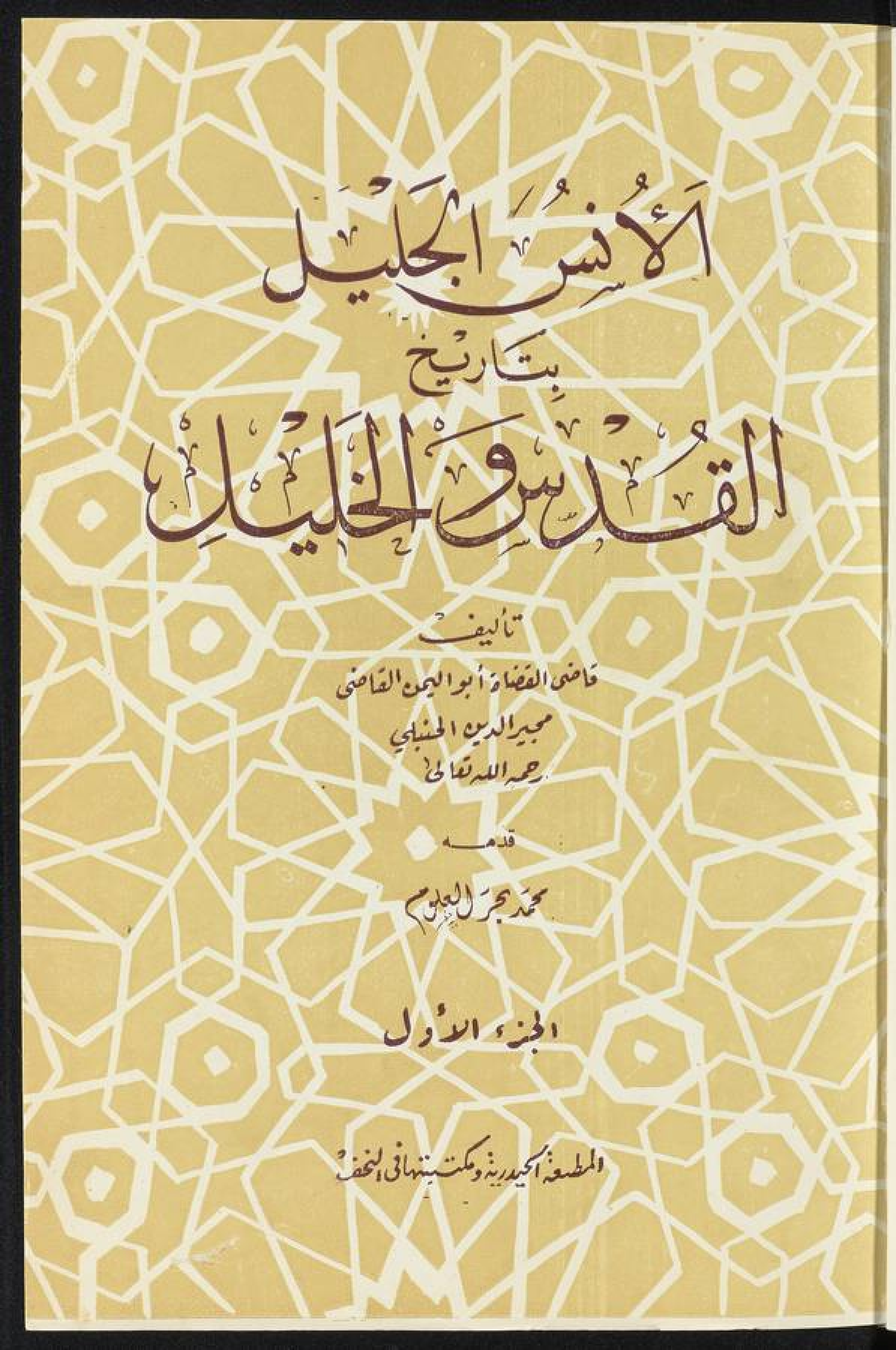



COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES







الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل

تأليف

قاضي القضاة أبو اليمن القاضي

مجير الدين الحنبلي

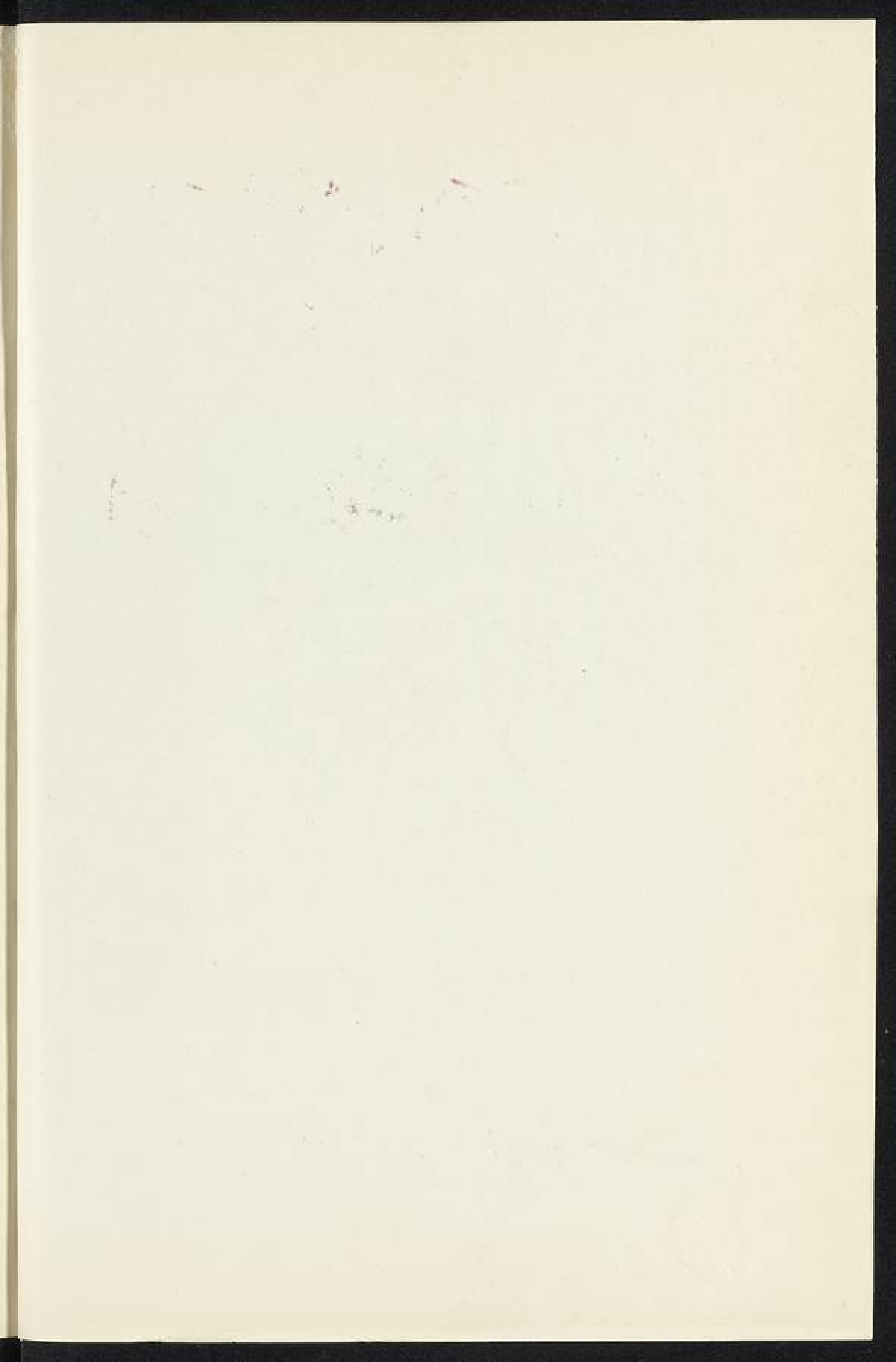
رحمه الله تعالى

قدمه

محمد بحر العلوم

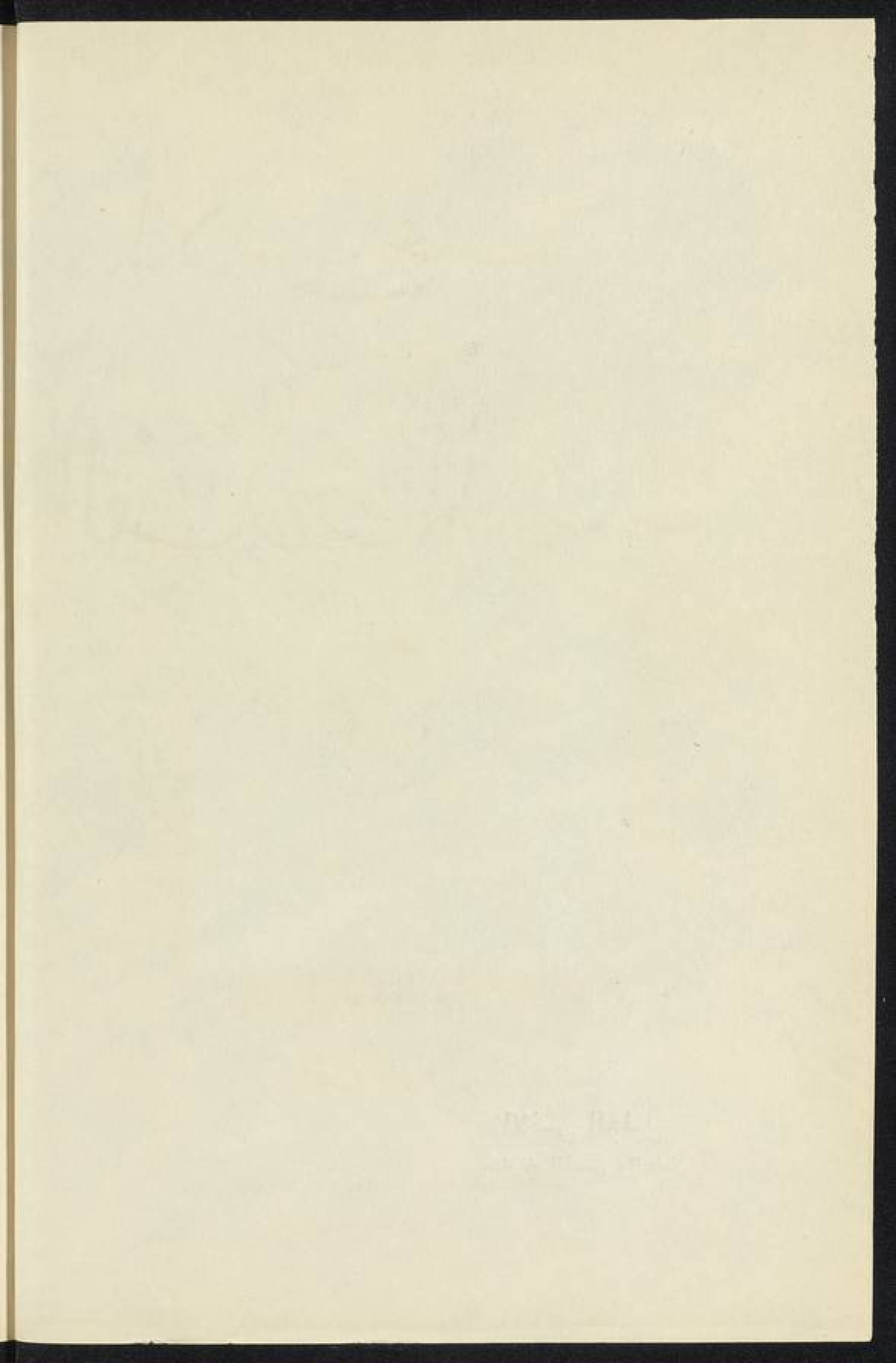
الجزء الأول

المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف



الانس الجليل

بتاريخ القدس والخليل





تأليف

قاضى القضاة أبو اليمن القاضى
مجير الدين الحنبلى
رحمه الله تعالى

قدمه

محمد بحر العلوم

الجزء الأول

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف
١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتعريف :

بين يدي القراء الأعزاء في هذه المرة كتاب يتضمن تاريخ مدينة نعيش مأساتها هذا اليوم ، ونتجرع مرارة العار والذل من أجل خسارتنا لها .

يعرض هذا الكتاب تاريخ مدينة القدس ، ومدينة الخليل مثوى سيدنا ابراهيم الخليل (ص) . ولقد طبع – للمرة الاولى – قبل قرن واحد ونفذ من الأسواق.

وحاول الأخ الناشر ان يحرك الضمير الانساني المسلم ، ليتذكر أمجاده الشامخة في هذه المدينة المقدسة تتمرغ الآن تحت اقدام الصهاينة المجرمين .

وعسى ان نقرأ في هذا الكتاب – بطبعته الثانية – تاريخ أمتنا الخالدة وفتوحات القادة العظام ، وتضحيات المسلمين الجسيمة في سبيل رفعة الاسلام . فتبعث فينا روح الثأر والكرامة لنعيد مجداً قد سلب وشرفاً قد أهين .

وان غداً لناظره قريب ؟

محمد بحر العلوم

نصت المصادر على ان اسم مؤلف هذا الكتاب هو :

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي (١) المقدسي ، الحنبلي ابو اليمن ، مجير الدين ، العمري المنتهي نسبه إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب(٢) .

ولد بالقـدس عام ٨٦٠ هـ ، وما ان بلغ مرحلة التعلم حتى تعهده ابوه بالرعاية والتوجيه ، حيث تنص الرواية بأنه تفقه على والده ، واخذ عنه جملة من العلوم (٣) .

واختلف على جماعـة من اهل الفضل والعلم للاستفادة والتحصيل اشار اليهم في كتابه هذا « الانس الجليل » وهم :

١ ـ الشيخ تقي الدين عبد الله بن اسماعيل القرقشندي (٤) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه ملحة الاعراب في ثاني جمـادى الاولى سنة ستوستين وثمانمائة بمنزله بجوار المدرسة الصلاحية ، ولي دون ست سنين ... وهو أول شيخ عرضت عليه ، وتشرفت بالجلوس بين يديه ، وأجازني بالملحة بسنده

---

(١) العليمي : نسبة إلى جده سيدي علي بن عليل ، المشهور بعلي بن عليم .

(٢) مختصر طبقات الحنابلة ـ محمد جميل الشطي : ٧٣/ ط دمشق الترقي ١٣٣٩هـ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) شيخ الاسلام تقي الدين ابو بكر عبد الله بن شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الشيخ تقي الدين اسماعيل القرقشندي المقدسي الشافعي ، سبط الحافظ ابي سعيد العلائي . ولد بالقدس عام ٧٨٣ هـ ، واشتغل في صغره على والده وغـيره وسمع المشائخ ، وأجازه جمع من العلماء والحفاظ . ثم افتى ودرس وحدث ، وسمع عليه جمع كبير انتهت اليه الرياسة بالقدس ، وعظم عند المسؤولين ، توفى سنة ٨٦٧ هـ .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ١٨٩ ـ ١٩٠ / ٢

المتصل إلى المصنف وبغيرها من كتب الحديث الشريف ، وما يجوز روايته، وكتب والدي الاجازة بخطه ، وكتب الشيخ خطه الكريم عليها » (١)

٢ ـ الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد بن عمر العميري (٢) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه في حياة الوالد قطعة من كتاب المقنع في الفقه . واجازني في شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، ثم لما توفي الوالد لازمته للاشتغال ، فكنت اقرأ عليه في المقنع ، واحضر مجلس وعظه، ودرسه بالمسجد الأقصى ، وحصلت الاجازة منه غير مرة خاصة وعامة » (٣) .

٣ ـ الفقيه علاء الدين علي بن عبد الله بن محمد الغزي المقري الحنفي (٤) .

قال مجير الدين : « وقد قرأت عليه القرآن ـ ولي نحو عشر سنين ـ بمكتب باب الناظرة ، فأقرأني من سورة الأنبياء إلى الفاتحة ، ثم كررت ختم القرآن عليه مرات كثيرة، وقرأت بعضه عليه برواية عاصم، واحضرني مجلس شيخنا ابن عمران

---

(١) هذا الكتاب : ١٨٩ / ٢

(٢) الحافظ العلامة شهاب الدين ابو العباس احمد بن القاضي زين الدين عمر العميري الشافعي . ولد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بالقدس ، اشتغل ودأب وحصل واخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر ، ولقي جماعة من اهل العلم واخذ عنهم ، وباشر الحكم بالقدس نيابة عن القاضي شهاب الدين قاضي الخليل . وكان حافظاً فصيحاً له مشاركة في كثير من العلوم توفي عام ٨٩٠ هـ ودفن بالقدس .

راجع ترجمته في هذا الكتاب ٢٠٣ / ٢

(٣) هذا الكتاب : ٢٠٣ / ٢

(٤) الفقيه علاء الدين علي بن محمد الغزي المقري الحنفي المعروف (بابن قاموا) ذكر انه لما نزل الأشرف برسباي إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة كان مراهقاً حفظ القرآن العظيم وتلى بالسبع على العلامة شمس الدين بن عمران وغيره اقام ببيت المقدس دهراً ،وأدب به الأطفال، وسمع الحديث ، واقرأ القرآن ، وكان ـ

لسماع الحديث ، واعتنى بتحصيل الاجازة لي منه » (١) .

٤ ـ الشيخ كمال الدين محمد بن محمد بن ابي بكر بن علي بن ابي شريف (٢) .

قال مجير الدين : « عرضت عليه في حياة الوالد رحمه الله قطعة من كتاب المقنع في الفقه على مذهب الامام أحمد ، ثم عرضت عليه مرة ثانية ما حفظت بعد العرض الأول ، واجازني في شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وحضرت بعض مجالسه من الدروس والاملاء بالمدرسة الصلاحية ، وحضرت كثيراً من مجالسه بالمسجد الأقصى الشريف قبل رحلته إلى القاهرة ، وبعد قدومه إلى بيت المقدس

ـ جيد الحفظ له سريع القراءة ، توفى عام تسعين وثمانمائة هـ بالقدس .

راجع ترجمته فى هذا الكتاب : ٢٣٧ / ٢

(١) هذا الكتاب ٢٣٧ / ٢

(٢) شيخ الاسلام كمال الدين ابو المعالي محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن ابي بكر بن على بن ابي‌شريف المقدسي الشافعي ، سبط قاضي القضاة شهاب الدين ابى العباس احمد العمري المالكي المشهور (بابن عوجان) .

ولد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمدينة القدس ، ونشأ بها ودرس في المدارس العلمية ، وحفظ القرآن ، واذن له في التدريس سنة اربع واربعين وثمانمائة ورحل إلى القاهرة في هذه السنة ، واخذ عن العلماء هناك ، وكتب له ابن حجر اجازة ووصفه بالفاضل البارع الأوحد .

ومن سنة ٨٤٦ نظم وانشأ ودرس وأفتى ، ودامت له الامور ، واصبح يشار له بالبنان في الاوساط العلمية ، ذكره المؤرخون إلى عام ٩٠٠ هـ وله شعر رقيق منه في بيت المقدس :

أحيي بقاع القدس ما هبت الصبا   فتلك رباع الانس في زمن الصبا

وما زلت من شوقي اليها مواصلا   سلامي على تلك المعاهد والربا

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٣٧٧ ـ ٣٨٢ / ٢

وحصلت الاجازة منه غير مرة خاصة وعامة » (١) .

٥ ـ قاضي القضاة نور الدين علي بن ابراهيم المالكي المصري (٢) .

قال مجير الدين : « وقد قرأت عليه قطعة من آخر كتاب الخرقي في فقه مذهب الامام رضي الله عنه قراءة بحث وفهم ، ثم قرأت عليه قطعة من اول المقنع قراءة بحث وفهم ، فكان يقرر العبارة تقريراً حسناً لعل كثيراً من اهل المذهب لا يقرره ، وقرأت عليه في النحو ، ولازمت مجالسه ، وترددت اليه كثيراً ، وحصل لي منه غاية الخير والنفع ولكن اخترمته المنية بسرعة قبل بلوغ المراد منه » (٣) .

٦ ـ شمس الدين ابو مساعد محمد بن عبد الوهاب (٤) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع في الفقه في سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأجازني » (٥) .

---

(١) هذا الكتاب : ٣٨٢ / ٢

(٢) قاضي القضاة نور الدين ، ابو الحسن علي بن ابراهيم البدرشي البحري المالكي المصري ، من اهل العلم ، له معرفة تامة بالعربية ، وعلم الفرائض ، والحساب والحديث الشريف ، باشر نيابة الحكم بالقاهرة . له مصنف في النحو ، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، ويكثر من التلاوة . نشر العلم وانتفع به الطلبة . توفى عام ٨٧٨ هـ بالقدس .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٢٥١ / ٢

(٣) هذا الكتاب : ٢٥١ / ٢

(٤) الشيخ العلامة المحقق شمس الدين ابو مساعد محمد بن عبد الوهاب الشافعي . من اعيان علماء بيت المقدس ، وكان يستفيد به الناس فائدة عظيمة ، توفى عام ٨٧٣ هـ بالطاعون .

راجع ترجمته في هذا الكتاب ١٩١ ـ ١٩٢ / ٢

(٥) هذا الكتاب : ١٩٢ / ٢

٧ ـ الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الانصاري (١) .
قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع في الفقه بالزاوية الختنية سنة ٨٧٣ هـ ، واجازني بما يجوز له روايته » (٢) .
٨ ـ الشيخ المقرى المحدث شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزي الحنفي (٣) .
قال مجير الدين : « وقد سمعت عليه صحيح البخاري بقراءة القاضي

---

(١) الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن زين الدين عبد الرحمن الأنصاري الخليلي الشافعي ٠

ولد عام ٨١٩ هـ ببلدة الخليل . لقي جماعة من اهل العلم والفضل واخذ عنهم . رحل إلى القاهرة ، واخذ الحديث عن ابن حجر ، والفقه عن تقي الدين ابي بكر ابن قاضي شهبة ، وأذن له في الافتاء والتدريس ، وباشر في نيابة الحكم عن القاضي برهان الدين بن جماعة ، ثم ترك الحكم وصار من اعيان علماء بيت المقدس . وعاد من القاهرة عام ٨٨٨ إلى مسقط رأسه الخليل ، واقام بها متصدياً لاشتغال الطلبة إلى ان وافته المنية عام ثلاث وسبعين وثمانمائة هـ .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ / ٢

(٢) هذا الكتاب : ٢٠٦ / ٢

(٣) الشيخ العلامة المقري المحدث شمس الدين ابو عبد الله محمد بن موسى ابن عمران الغزي المقدسي الحنفي شيخ القراء بالقدس ٠

ولد عام ٧٩٤ بغزة ٠ سمع الحديث على الحافظ شمس الدين الجزري ، واخذ عنه علم القراءات ، واجازه ، وكان رجلا صالحاً ملازماً لقراء القرآن انتفع به الناس وتخرج عليه جماعة ، وعرف هذا الفن معرفة جيدة ، وكان قنوعاً طارحاً التكلف ، ولم يبق في القدس شيخ متقن لفن القراءة سواه . وكان شيخاً بهي المنظر ، توفى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ٠

راجع ترجمته في هذا الكتاب ٢٢٩ ـ ٢٣٠ / ٢

شهاب الدين بن عبيد الشافعي في سنة ٨٧١ هـ ، واجازني بروايته وبرواية غيره من الأحاديث المشارية ، والمسلسل بالأولية . . . وما يجوز له وعنه روايته » (١) .

٩ ـ الشيخ محمد بن محمد بن ابى بكر السعدي (٢) .

قال الشطي : « ورحل سنة ٨٨٠ هـ إلى القاهرة ، وأقام بها عاكفاً على طلب العلم ، ولزم قاضي الحنابلة بالديار المصرية بدر الدين محمد بن محمد بن ابى بكر السعدي واقام تحت نظره ، وتفقه عليه ، ولقد اكرم مثواه ، ومكث بالديار المصرية نحو عشر سنين » (٣) .

هؤلاء هم طليعة اساتذته وشيوخ اجازته ، وعلى هذا الضوء يمكن تقسيم مراحل تحصيله العلمي إلى قسمين :

قسم يختص بالقدس . ونكاد نستفيد من مجموع ما قدمناه ان تلك المدة محددة لعام ٨٨٠هـ ، وتحصيله بين المسجد الأقصى والمدرسة الصلاحية ،واختلف فيها على عدد من الأعلام ذكرنا أهمهم .

وقسم يختص بالقاهرة . ويحدد بنحو عشر سنين ، حيث تنص المصادر على عودته إلى القدس عام ٨٨٩ هـ وكان أهم اساتذته هو ابن ابي بكر السعدي .

وبعد عودته من القاهرة تولى قضاء القدس . ولعله بقي في مركزه حتى وفاته .

---

(١) هذا الكتاب : ٢٣٠ / ٢

(٢) محمد بن محمد بن ابي بكر السعدي ، قاض من فقهاء الحنابلة ، من أهل القاهرة ولد عام ٨٣٦ هـ ودرس ، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية ، والف كتباً ، منها : الجوهر المحصل في مناقب الامام احمد مخطوط . قال السخاوي : كتب بخطه من تصانيفه اشياء ، واستكتب كذلك . توفى فجأة عام : ٩٠٠ راجع ترجمته : (الضوء اللامع : ٥٨ , ٩ وشذرات الذهب : ٣٦٦ ٧ والاعلام : ٢٨١ / ٧) .

(٣) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٣

ولقد وصفته الرواية : بأنه كان فطنا يحب العلم من صغره ذكي مجد . .
واذا ما عدنا إلى ادعائه بأنه عرض على شيخه تقي الدين اسماعيل القرقشندي المقدسي ملحة الاعراب ، وهو دون الست سنين ، واجازه الشيخ بالملحة لسنده المتصل إلى المصنف وبغيرها من كتب الحديث ، وما يجوز له روايته ، نستطيع ان نتأكد بأن هذا الانسان كان يتمتع بقابلية خاصة، ونضوج مبكر أهله كل ذلك لان يكون موضع عناية اساتذته وهو صبي لم يتجاوز الحلم .

وكيفما كان فقد واصل تحصيله ، وتتبعه العلمي ، على يد اساتذة معروفين بالفضل والكمال ، بحيث عرف بالأوساط العلمية بمكانة مقدرة .

ولقد خلف نتاجاً يدل على فضل ، وسعة اطلاع وهو :

١ ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن : في مجلدين . . هكذا اسماه الزركلي (١). اما بقية المصادر فأشارت الى انه له تفسير جليل على القرآن العظيم ، يشبه القاضي البيضاوي (٢) .

٢ ـ المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد : قال جرجي زيدان ; توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية في مجلدين عدد صفحاتهما ٥٢٣ ، وهو مرتب على سني الوفاة (٣) .

٣ ـ التاريخ المعتبر في انباء من غبر : ذكره الحاجي جلبي ، ووصفه الشطي بأنه تاريخ جليل ابتدأ فيه من سيدنا آدم الى سنة ٨٩٦ هـ ، مرتباً على السنين ذاكراً فيه الحوادث العجيبة ، والوقائع الغريبة على وجه الاختصار (٤) .

---

(١) الأعلام : ١٠٨ / ٤

(٢) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٤

(٣) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٤ والاعلام : ١٠٨ / ٤ وتاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٨ / ٣

(٤) كشف الظنون: ١,٣٠٥ ومختصر طبقات الحنابلة: ٧٤ والاعلام: ٤/١٠٨

٤ ـ اتحاف الزائر واطواف المقيم المسافر : ذكره البغدادي . وقال الچلبي : « اتحاف الزائر واطراف المقيم المسافر ـ للشيخ ابي اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي ، ثم الدمشقي ، المتوفي سنة ٦١٣ هـ » (١)

٥ ـ الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل : وبعض المصادر تسميه الانيس الجليل . وهو الكتاب الذي يدور حديثنا حوله في الفصل الثالث من هذا البحث .

ولم تشر لنا المصادر المختصة بأن مؤلفاته قد طبعت عدى كتاب « الانس الجليل » .

وقد اختلف في تاريخ وفاته ، فالشطي لم يعثر على تاريخ وفاته ، ويقول : « ولعله كان في اوائل القرن العاشر » .

بينما نرى اغلب المصادر التي تترجمه تذهب إلى ان وفاته كانت عام ٩٢٨ هـ وقسم قليل يرى انها عام ٩٢٧ هـ (٢) .

من مجموع ما قدمناه عن حياة المؤلف نستطيع ان نجزم بأن المؤلف من الأعلام الذين يتمتعون بمقدرة لائقة من الفضيلة والكمال .

---

(١) هداية العارفين : ٥٤٤ / ١ ومعجم المؤلفين ـ لكحالة : ١٧٧ / ٥ وكشف الظنون : ٦ / ١

(٢) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٤ ومعجم المطبوعات : ٣٥٨ ومعجم المؤلفين : ١٧٧ / ٥ وهداية العارفين : ٥٤٤ / ١ وتاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٨ / ٣ والاعلام : ١٠٨ / ٥

- ٢ -

ولقد اجمع المترجمون لحياة مجير الدين العليمي بأن كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » من مؤلفاته ، وانه في مقدمة ما دبجته يراعته ، ضمنه خلاصة تواريخ القدس الشريف وبلدة الخليل ، مثوى سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام .

كما اضاف اليه نبذة من الحوادث والوفيات ، وما يتعلق به من ذكر الملوك والكبراء والقضاة والعلماء حتى عام ٩٠٠ هـ - كما سيمر علينا في عرض منهجه - .

وقد تحدث المؤلف عن طبيعة مؤلفه بقوله :

« فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه ، وسألته المعونة لي بفضله في ترتيب وضعه . . .

عنّ لي أن اجمعه من كتب المتقدمين ، واهذب الفاظه من فوائد المؤرخين . . وتراجم الأعيان على وجه الاختصار ، فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته » (١) .

ولقد كتب عدد من الأعلام في تاريخ القدس الشريف ممن سبقوا مجير الدين فخلفوا من نتاجهم ثروة علمية كانت هي المنبع الرئيسي لكتاب « الانس الجليل » كما قال هو . ويمكننا ان نضع قائمة تقريبية لأولئك الذين كتبوا في هذا المضمار ، من جميع جوانبه ، واعتقادي اننا نستطيع ان نقيم الكتاب على ضوئهـــا ، وهم حسب التسلسل الزمني :

١ - الواقدي : ابو عبد الله محمد بن عمر (٢) ، فقد تحدث عن تاريخ القدس

---

(١) هذا الكتاب : ١ - ٢ / ط الثانية .

(٢) ابو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المعروف بـ (الواقدي) ، ولد بالمدينة عام ١٣٠هـ ، واتصل ببني العباس ، واصبح قاضياً عندهم . من اقدم مؤرخي -

وفتوحه في كتابه (فتوح الشام) الذي طبع عدة مرات .

٢ ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب (١) ، الكاتب والمؤرخ المعروف اورد ذكراً للقدس في كتابه المعروف بـ (تاريخ اليعقوبي) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف وغيرها .

٣ ـ الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (٢) ، المؤرخ والمفسر الشهير ، جاء في تاريخه (تاريخ الامم والملوك) ذكر للقدس ومن تولاه ، وبناه .

ـ الاسلام . قال ابن النديم : خلف الواقدي بعدوفاته ستمائة قمطر كتباً ، كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار . مات ببغداد عام ٢٠٧ هـ ، وله مؤلفات عديدة . راجع ترجمته في (تذكرة الحفاظ : ٣١٧ / ١ ووفيات الأعيان : ٥٠٦ / ١ وتاريخ بغداد : ٣ ـ ٢١ / ٣ وميزان الاعتدال : ١١٠ / ٣ وتهذيب التهذيب ٣٦٣ ـ ٣٦٨ / ٩ والفهرست لابن النديم : ٩٨ / ١ واعيان الشيعه : ١٧٠ ـ ١٧٨ / ٤٠) .

(١) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب المعروف مؤرخ ، جغرافي كثير الاسفار من أهل بغداد ، صنف كتباً جيدة ، توفي عام : ٢٨٤ هـ ، وخلف مؤلفات قيمة منها تاريخه المشهور و كتاب البلدان وغيرها . راجع ترجمته في : (معجم الادباء : ١٥٣ / ٥ وايضاح المكنون ـ للبغدادي : ٢١٩ / ١ و ٢٧٩ / ٢ واعيان الشيعة : ٣٣٠ ـ ٣٣٦ / ١٠ ومعجم المطبوعات : ١٩٤٨ والاعلام : ٩٠ ـ ٩١ / ١ ومعجم المؤلفين : ١٦١ / ١) .

(٢) محمد بن جرير بن يزيد ، ابو جعفر الطبري ، مؤرخ شهير ، ومفسر جليل ، وفقيه ضليع . ولد في آمل طبرستان عام ٢٢٤ هـ ، واستوطن بغداد ، وتوفي فيها عام ٣١٠ هـ ، قال ابن الأثير : ابو جعفر أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير ، عرض عليه القضاء فامتنع ، له مؤلفات تدل على سعة اطلاع وغزارة علم . راجع ترجمته في : (تذكرة الحفاظ : ٣٥١ / ٢ ووفيات الاعيان : ـ

٤ ـ ابن البطريق : سعيد بن البطريق (١) مؤرخ مسيحي ، اورد للقدس ذكراً في كتـــابه (نظم الجوهر ـ او التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ) المطبوع في ليدن .

٥ ـ الاصطخري : ابراهيم بن محمد الفارسي(٢) عالم جغرافي، ورحالة، تطرق لحديث القدس في كتابه (مسالك الممالك) المطبوع في ليدن .

٦ ـ المسعودي: علي بن الحسين (٣) من مشاهير المؤرخين، ذكر القدس وولاتها

ـ ٤٥٦ / ١ وطبقات السبكي ١٣٥ ـ ١٤٠ / ٢ وروضات الجنات : ١٦٣ ـ ١٦٥ ورجال المامقاني : ٩٠ ـ ٩١ / ٢ وشذرات الذهب : ٢٦٠ / ٢) .

(١) سعيد بن البطريق ، طبيب مؤرخ من اهل مصر ، ولد بالفسطاط عام ٢٦٣ هـ ، وأقيم بطريركاً في الاسكندرية ، توفى عام ٣٢٨ هـ وله مؤلفات عديدة . راجع ترجمته في : (طبقات الاطباء : ٨٦/٢ وحسن المحاضرة ـ للسيوطي : ١١٣/١ ومعجم المؤلفين : ٢٢١ / ٤ وآداب اللغة العربية : ٢٠٠ / ٢) .

(٢) ابراهيم بن محمد الفارسي ، ابو اسحاق الاصطخري ، الكرخي . نشأ باصطخر (في ايران) وقام بسياحة طاف بها بلاد العرب ، وبعض بلاد الهند، ووصفته المصادر : بأنه جغرافي ، رحالة من العلماء ، لم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره فألف كتـابيه : « صورة الأقاليم » و « مسالك الممالك » ، توفى عام ٣٤٦ هـ . راجع ترجمته في : (هداية العارفين : ٦ / ١ ودائرة المعارف للبستاني : ٧٤٤ / ٣ ودائرة المعارف الاسلاميـة : ٢٥٦ / ٢ ومعجـم المطبوعات : ٤٥٣ والاعلام : ٥٨ / ١) .

٣ ـ علي بن الحسين بن علي ، ابو الحسن المسعودي ، من اعلام التاريخ ومن مشاهير الرحالين ، ومن البـاحثين المقدرين ، من اهل بغداد ، أقام بمصر ، وتوفى فيها عام : ٣٤٦ هـ له مؤلفات عديدة منها مروج الذهب ، واخبار الزمان وغير ذلك من المؤلفـات القيمة . راجع ترجمته في : (فوات الوفيات : ٤٥ / ٢ ولسان ـ

في كتابه (التنبيه والاشراف) المطبوع .

٧ ـ المقدسي : محمد بن احمد (١) ، من مشاهير الرحلة والجغرافيين . تناول ذكر القدس في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) المطبوع في ليدن .

٨ ـ ابن عساكر : على بن الحسن (٢) ، اورد فتوحات بيت المقدس ، وتعرض لتراجم بعض رجاله في كتابه (تاريخ ابن عساكر) طبع قسم منه .

٩ ـ اسامة بن منقذ (٣) ، من العلماء الشجعان والمؤرخين ، ذكر حروبه

ـ الميزان : ٤/٢٢٤ وطبقات الشافعية ٣٠٧/٢ والنجوم الزاهرة : ٣/٣١٥ وتذكرة الحفاظ : ٣/٧٠ والفهرست لابن النديم : ١/١٥٤ واعيان الشيعة : ١٩٨ ، ٤١/٢١٣ والذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٣/٣٤٧) .

(١) محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البشاري ، الحنفي ، المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله ، ولد بالقدس عام : ٣٦٦ هـ ، ولع في الاسفار ، فطاف اكثر بلاد الاسلام ، وعرفته المصادر : بأنه رحالة جغرافي مات نحو سنة ٣٨٠ هـ وقالوا عنه : انه امتاز بكثرة ملاحظاته ، وسعة نظره ، له مؤلفات في فنه تدل على اهمية . راجع ترجمته في : (معجم المطبوعات : ١٧٧٣ ، والاعلام : ٦/٢٠٣) .

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله ، ابو القاسم ثقة الله ابن عساكر الدمشقي ولد بدمشق عام : ٤٩٩ هـ . كان محدث الديار الشامية ، ومن اعيان فقهاء الشافعية وقالت عنه الرواية : بأنه مؤرخ ، حافظ رحالة ، توفي بدمشق عام : ٥٧١ هـ ، له مؤلفات عديدة في مقدمتها تاريخه الكبير . راجع ترجمته في : (وفيات الاعيان : ١/٣٣٥ والبداية والنهاية : ١٢/٢٩٤ وطبقات الشافعية ! ٤/٢٧٣ وتاريخ ابن الوردي : ٢/٨٧ ومرآة الزمان : ١/١٠٠ ودائرة المعارف الاسلامية : ١/٢٣٧ والاعلام : ٥/٨٢) .

(٣) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيرازي ، ابو المظفر ، مؤيد الدولة : ولد بشيراز عام : ٤٨٨ هـ ، وسكن دمشق ـ

لبيت المقدس ومشاهداته فيها في كتابه (الاعتبار) المطبوع .

١٠ ـ العماد الاصبهاني: محمد بن محمد(١) من اكابر الكتاب، واعلام التاريخ ذكر تاريخ القدس وفتوحاته في كتابه (الفتح القسي في الفتح المقدسي) المطبوع .

١١ ـ ياقوت الحموي (٢) من المؤرخين المعروفين ، اورد للقدس ذكراً مفصلا في كتابه (معجم البلدان) المطبوع .

ـ وانتقل إلى مصر ، وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين من الامراء ، ومن العلماء الشجعان ، له تصانيف في الادب والتاريخ ، مات في دمشق عام : ٥٨٤ هـ . راجع ترجمته في : (تاريخ ابن عساكر : ٤٠٠ / ٢ والبداية والنهاية : ٣٣١/ ١٢ ووفيات الاعيان ٦٣/ ١ ومعجم الادباء : ١٨٨ـ٢٤٥/ ٥ ودائرة المعارف الاسلامية: ٧٩ / ٢ والاعلام : ٢٨٢ / ١) .

(١) محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد ، ابو عبد الله ، المعروف بـ (عماد الدين الكاتب) الاصبهاني ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، من اكابر الكتاب ولد باصبهان عام: ٥١٩هـ ، وقدم إلى بغداد حدثاً فتأدب وتفقه ، فلمع اسمه في اوساطها وقلد عدة مناصب كبيرة في الدولة ، ثم رحل إلى دمشق فاستخدم عند السلطان نور الدين في ديوان الانشاء ، وتنقل في مناصب بعدها بنى مدرسة عرفت باسمه « العمادية » وتوفى بها عام : ٥٩٧ هـ . راجع ترجمته في: (وفيات الأعيان: ٧٤/ ٢ ومرآة الزمان: ٥٠٤/ ٨ وتاريخ ابن الوردي : ١١٧ / ٢ والمختصر المحتاج: ١٢٢ وحسن المحاضرة : ٢٧٠ / ١ والروضتين : ١٤٤ / ١) .

(٢) ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، ابو عبدالله ، شهاب الدين ، مؤرخ من أئمة الجغرافية ، ومن اعلام اللغة والأدب ، أصله من الروم ، ولد عام : ٥٧٤ هـ . له مؤلفات عديدة في طليعتها : معجم البلدان ومعجم الادباء . توفى عام : ٦٢٦ هـ . راجع ترجمته في : (وفيات الأعيان : ٢١٠ / ٢ ومرآة الجنان : ٥٩ ـ ٦٣ / ٤ ومعجم المطبوعات: ١٩٤١ وآداب اللغة العربية : ٨٨/ ٢ والاعلام : ١٥٧ / ٩) .

١٢ ـ ابن الأثير : علي بن محمد (١) ، المؤرخ الشهير ، تطرق لذكر تاريخ القدس وبنائه في كتابه (التاريخ الكامل) المطبوع .

١٣ ـ ابو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل (٢) ، مؤرخ محدث ، ذكر ولاة القدس في كتابه (الروضتين في اخبار الدولتين ـ النورية والصلاحية) المطبوع .

١٤ ـ ابن العبرى : ابو الفرج (٣) ، مؤرخ سرياني مستعرب ، اورد

---

(١) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، ابو الحسن ، عز الدين ، ابن الأثير ، المؤرخ الشهير ، من العلماء في النسب والادب ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر عام : ٥٥٥ هـ ، وسكن الموصل ، وتجول في البلدان وعاد إلى الموصل ، فكان منزله مجمع الفضلاء والادباء ، وتوفى بها عام : ٦٣٠ هـ . في مقدمة مؤلفاته تاريخه الكامل الذي طبع عدة مرات . راجع ترجمته في : (وفيات الاعيان : ٣٤٧ / ١ وطبقات الشافعية ١٢٧ / ٥ ومفتاح السعادة : ٢٠٦ / ١ وتاريخ ابي الفداء : ١٥٤ : ٣) .

(٢) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي ، الدمشقي ، ابو القاسم شهاب الدين ، ابو شامة . مؤرخ ، محدث باحث ، اصله من القدس ، مولده في دمشق عام ٥٩٩ هـ ، وبها منشأه ووفاته عام : ٦٦٥ هـ ، تولى مشيخة دار الحديث الاشرفية ، ودخل عليه اثنان في صورة مستفتين فضرباه ضرباً مبرحاً تمرض على اثره ومات معلولا منها ، له مؤلفات عديدة منها : (الروضتين في اخبار الدولتين ـ النورية والصلاحية) مطبوع . راجع ترجمته في : (فوات الوفيات ٢٥٢ : ١ وبغية الوعاة ٣٩٧ والبداية والنهاية ٢٥٠ : ١٣ وطبقات الشافعية ٦١ : ٥ ونفح الطيب ٤٦ : ١ ومعجم المطبوعات : ٣١٧ ، والأعلام ٧٠ : ٤) .

(٣) غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي ، ابو الفرج المعروف بابن العبرى ، ولد في ملطية سنة ٦١٣ هـ وفر إلى انطاكية مع أبيه ، مؤرخ سرياني مستعرب توفى سنة ٦٨٥ هـ ونقل إلى الموصل ودفن بها . وقالت المصادر انه خلف ـ

للقدس ذكراً في كتابه (تاريخ مختصر الدول) المطبوع .

١٥ ـ ابن فضل الله العمري (١) : من المعروفين بخطوط الأقاليم والبلدان اورد ذكراً للقدس في كتابه (مسالك الابصار في ممالك الأمصار) المطبوع .

١٦ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٢) ، ذكر فتوح القدس واخباره وبناه ، وولاته في كتابه (التاريخ الكبير ـ المسمى : العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب ـ) المطبوع مرتين .

ـ ٣٥ مصنفاً في علوم مختلفة . راجع ترجمته في : (دائرة المعارف الاسلامية ١:٢٢٦ واللؤلؤ المنثور ٤١١ـ٤٣٠ ومعجم المطبوعات٣٣٩ والاعلام ٣٠٨ـ٥:٣٠٩ ومعجم المؤلفين ٣٩ ـ ٤٠ : ٨) .

(١) احمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين مؤرخ ضليع ، وحجة في معرفة الممالك والمسالك، وخطوط الأقاليم والبلدان، عارف بأخبار رجال عصره ، وتراجمهم ، غزير المادة واسع الاطلاع ، ولد عام ٧٠٠ هـ بدمشق ، ونشأ بها ، وتوفي فيها عام : ٧٤٩هـ له مؤلفات متعددة قيمة . راجع ترجمته في : (فوات الوفيات ٧ : ١ وتاريخ ابن الوردي ٣٥٤ : ٢ والدرر الكامنة ٣٣١ : ١ والنجوم الزاهرة ٣٣٤ : ١٠ وشذرات الذهب ١٦٠ : ٦ وحسن المحاضرة ٣٢٩ : ١ ومعجم المؤلفين : ٢٠٤ : ٢) .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون ، ابو زيد ، ولي الدين الحضري الاشبيلي ، الفيلسوف المؤرخ الاجتماعي البحاثة ، ولد باشبيلية عام: ٧٣٢هـ تنقل في البلدان ، وتولى القضاء فيها في المذهب المالكي ، توفي بالقاهرة فجأة عام ٨٠٨ هـ له مؤلفات تدل على سعة افقه . راجع ترجمته في : (الضوء اللامع ١٤٥ : ٤ والعبر ٣٧٩ : ٧ ونفح الطيب ٤١٤ : ٤ وشذرات الذهب ٨٣ : ٤ ودائرة المعارف الاسلامية : ١:١٥٢ ومعجم المطبوعات : ٩٥ ـ ٩٧ والاعلام ١٠٦ : ٤) .

١٧ ـ المقريزي احمد بن علي (١) ، المؤرخ المصري المعروف ، تطرق لذكر هذا البيت المقدس وملوكه في كتابه (السلوك لمعرفة الملوك) وقد طبع .

١٨ ـ ابن شاهين : غرس الدين خليل (٢) ، مؤرخ شهير من المماليك ذكر خطط القدس في كتابه (زبدة كشف الممالك) المطبوع في باريس .

١٩ ـ ابن تغرى بردي (٣) : من المؤرخين المشهورين ، اورد ذكراً لتاريخ

---

(١) احمد بن علي بن عبد القادر ، ابو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك ، ونسبته إلى حارة المقارزة ولد عام ٧٦٦ هـ ونشأ بها ونال مراتب مرموقة في الدولة ، واصبح شخصية لامعة مات في القاهرة عام ٨٤٥ هـ ، وصفته المصادر بأنه : عمدة المؤرخين ، وعين المحدثين مؤلفاته قيمة تدل على مقدرة علمية وتاريخية ، وسعة افق . راجع ترجمته في : (مقدمة كتاب النقود الاسلامية طبع النجف ، التبر المسبوك للسخاوي : ٢١ وحسن المحاضرة : ٢٦٦ / ١ والبدر الطالع : ٧٩ / ١ وآداب اللغة العربية : ١٧٥ / ٣ والأعلام : ١٧٢ / ١)

(٢) غرس الدين ، خليل بن شاهين الظاهري ، المعروف بابن شاهين . أمير من المماليك ، اشتهر بعصر كان من المولعين بالبحث ، وله تصانيف ونظم ، ولد ببيت المقدس عام ٨١٣ هـ وتعلم بالقاهرة ، وتولى مناصب رسمية فيها ، وتوفى بطرابلس سنة ٨٧٣ هـ ، ذكرت الرواية بأن له نحو ثلاثين مصنفاً . راجع ترجمته فى : (الضوء اللامع : ٣/١٩٥ وهداية العارفين : ٣٥٣ / ١ والخطط التوفيقية : ٨/٦٨ ومعجم المطبوعات : ١٣٣ والاعلام : ٣٦٧ / ٢) .

(٣) يوسف بن تغرى بردي بن عبد الله الظاهرى الحنفي ، ابو المحاسن جمال الدين . مؤرخ ، بحاثة مولده بالقاهرة عام ٨١٣ ، ووفاته فيها ايضاً عام ٨٧٤ هـ له مؤلفات تدل على تأدب وتفقه ، وولع بالتاريخ في طليعتها موسوعته التاريخية « النجوم الزاهرة » . راجع ترجمته في : (النجوم الزاهرة : ٩ ـ ٢٨ / ١ ـ

القدس وولاته وفتحه في كتابه (النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة) مطبوع .

٢٠ ـ شمس الدين السيوطي (١) . خص ذكر القدس واهمية هذا البيت الشريف بكتابه (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى) المطبوع .

٢١ ـ مجير الدين العليمي : في كتابه (الانس الجليل) والذي نحن بصدد تقديمه .

وعلى ضوء هذه القائمة التي قدمناها نستطيع ان نستنتج أمرين مهمين عن هذا الكتاب هما :

أولاً ـ ان هذه المنابع التي ذكرناها ـ وقد تكون هناك غيرها ـ لم تتناول موضوع القدس وما يتعلق به بصورة خاصة ، وإنما جاء الحديث عنه بصورة عامة وواحداً من المواضيع التي عالجتها تلك الكتب ، عدى كتاب « اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى » وفيما يبدو لي ان الكتاب خاص بالموضوع نفسه ، ويؤسفني اني لم اطلع على الكتاب .

أما كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » وإن لم يكن مخصصاً لهذا الموضوع فحسب ، غير ان حديث القدس، وما يتصل به قد أخذ قسما كبيراً منه .

وهنا تظهر مزية كتاب « الانس الجليل » إذ ان الكتاب بجزئيه قد كرس في الموضوع نفسه، ولم يخرج عن الصدد .

ثانياً ـ ان كتاب « الانس الجليل » جاء حصيلة هذه المجموعة القيمة

ـ والضوء اللامع : ٣٠٥ / ١٠ وشذرات الذهب : ٣١٧ / ٧ ودائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٦ / ١ وآداب اللغة العربية : ١٨٠ / ٣ والاعلام ٢٩٥ / ٩) .

(١) محمد بن شهاب الدين احمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي المعروف بـ (شمس الدين السيوطي) نبغ في حدود سنة ٨٧٥ هـ . ولم نطلع على ترجمته بأكثر من هذا . له كتاب وهو (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى) . راجع : (معجم المطبوعات : ١٠٨٥ ـ ١٠٨٦) .

من المصادر التي تناولت حديث القدس وتاريخه من جميع جوانبه، مضافاً إلى ان مؤلفه هو من تلك المنطقة ومعلوماته مبتنية على الدراسة المعمقة، والاطلاع الشخصي، والمعلومات التاريخية الشخصية.

وعلى أساس هذين الجانبين جاء الكتاب بعيداً عن كل شائبة، وعن الزيادات المخلة، وعن الاستنتاجات المرتجلة.

— ٣ —

وإذا عدنا إلى الكتاب نفسه لنلقي عليه أضواءً تكشف لنا جوانبه الجديرة بالبحث والاهتمام، نراها لا تتجاوز ما يلي:

١ ـ منهج المؤلف في عرض كتابه.

٢ ـ الاسباب والدوافع التي بعثته لوضع هذا الكتاب.

ومن هذين الجانبين نستطيع ان نقيم الكتاب ومدى أهميته.

أولا ـ منهج المؤلف فى عرض الكتاب :

ونستطيع ان نحدد منهج المؤلف في كتابه هذا بالنقاط التالية:

اولاً ـ عرض لتاريخ بيت المقدس، يتضمن اسماء هذه المدينة، وابتداء بنائها وما وقع فيها من الاخبار والانباء حتى عام ٩٠٠ هـ.

ثانياً ـ ذكر الانبياء والرسل الذين لهم أثر في هذا المسجد حتى رسول الانسانية النبي الأعظم محمد (ص)، وما رافقه من احداث هامة بالنسبة لهذا البيت المقدس امثال الاسراء، وتحويل القبلة.

ثالثاً ـ عرض لذكر الخلفاء والولاة الذين فتحوا أو أشادوا في هذا البلد من صدر الاسلام حتى نهاية التاريخ المحدد للكتاب، وحوادث الافرنج وحروبهم.

رابعاً ـ عرض لذكر اعيان التابعين ، والعلماء ، والزهاد ، ممن دخلوا بيت المقدس سواءً كانوا زائرين او مستوطنين .

خامساً ـ تقديم صورة موجزة عن تاريخ مدينة الخليل ، وما حولها من المشاهد والاماكن المعدة للزيارة .

سادساً ـ ترجمة اعيان ملوك الاسلام الذين تولوا الحكم في البيت المقدس والخليل ، وما فعلوه من الخيرات والمبرات .

سابعاً ـ ترجمة عدد من اعيان البلدتين من المذاهب الاربعة ، ومن ولي فيهما المناصب الحكمية ، والوظائف الدينية ، مضمناً هذه التراجم أهم الحوادث والاخبار التي ترافقها .

ثامناً ـ يختم الكتاب بترجمة الملك الأشرف ابي النصر قايتباي ، واهم مشاريعه الثقافية وفي مقدمتها مدرسته . ثم يتعرض لترجمة كمال الدين ابى المعالي محمد بن ابى شريف الشافعي رئيس مشيختها ـ وهو احد اساتذة المؤلف ـ .

ولسنا مبالغين اذا ادعينا ان هذا الكتاب بهذا المنهج الضخم يكاد يكون اوسع مؤلف كتب في تاريخ هذه المدينة المقدسة ، سواءً من الكتب الخاصة او المصادر التاريخية العامة التي تناولت تاريخ هاتين المدينتين .

خاصة وان المؤلف هو من تلك الديار ، وممن تثقف في اوساطها وعانى بؤسها ونعيمها ، وتذوق حلوها ومرها . لهذا كله فهو أمكن من غيره في اعطاء الصور الواضحة المعالم عنها ، وأقدر على استخلاص النتائج والحقائق من بين ثنايا الحوادث والاخبار التي مرّ بها تاريخ البلدين .

وقد جاء هذا المنهج باسلوب سهل ، وعرض جميل ، بعيداً عن التكلف والتعقيد ، مبوباً في أحسن تبويب .

ثانياً ـ الأسباب والدوافع لوضع الكتاب :

ولعل الاسباب والدوافع التي تحدث عنها المؤلف نفسه في تأليف هذا الكتاب توضح جلياً هذا الجانب الهام ، فهو يقول :

« وإنما دعاني لذلك أن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ ، وكتبوا ما يتعلق بتاريخها مما يفيد اخبارها الواقعة في الزمن السابق . وبيت المقدس لم اطلع له على شيء من ذلك يختص به ، وانما ذكروا في التواريخ اشياء في اماكن متفرقة ، ورأيت الأنفس متشوقة إلى شيء من هذا النمط الذي قصدت فعله فان بعض العلماء كتب شيئاً يتعلق بالفضائل فقط ، وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمري ، وعمارة بني امية ، وبعضهم ذكر الفتح الصلاحي ، واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده ، وبعضهم كتب تاريخاً تعرض فيه لذكر بعض جماعة من اعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة ، فأحببت ان اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجم الأعيان ، وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخاً كاملا والله سبحانه وتعالى المسؤول ، وهو المأمول أن يمن علي بتيسير إتمامه » (١) .

ومع ضخامة الكتاب وتوسعه فى تنوع مواضيعه ، فقد صرح المؤلف في آخر كتابه بأنه كان قد ابتدأ في جمعه في الخامس عشر من شهر ذى الحجة سنة ٩٠٠ هـ ، وفرغ من ترتيبه وجمعه في دون اربعة اشهر رغم العوارض التي صرفت المؤلف عن الاستمرار في مشروعه مدة شهر لم يكتب فيها شيئاً (٢) .

---

(١) هذا الكتاب : ٥ / ١

(٢) نفس المصدر : ٣٨٣ / ٢

وكان من المنتظر ان يكون الكتاب بهذه السرعة مرتجلا ، خفيف الوزن ولكنه برغم ذلك كله فانه كتاب قيم ممتع يدل على سعة اطلاع ، وبُعد في التاريخ . ولذا فلا نخشى إن ادعينا انه من المصادر القيمة في بابه .

ويؤكد هذا المعنى ما قاله بعض الكتاب عنه : « وظني انه لم يصنف في مثله مثله ، ولم يوجد في بابه نظيره » (١) .

ورغم ان هذا الكتاب طبع مرة واحدة في المطبعة الوهبية بمصر في عام ١٢٨٣ه في مجلدين عدد صفحاته ٧١٢ صفحة بقطع الوسط ، فقد ترجم إلى الفرنسية ـ نظراً لأهميته ـ قام بترجمته الاستاذ هنرى سوفار وطبع في باريس عام ١٨٧٦ م (٢) .

وصرحت بعض المصادر بوجود نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في اكثر مكاتب اوربا وكذلك توجـد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تقع في ٤٤٠ صفحة (٣) .

ولقد مرّ على طبع الكتاب قرن واحد ، ونفد من الاسواق في ظرف هذه المدة الطويلة ، لهذا فكر الأخ الفاضل الشيخ محمد كاظم الكتبي ان يعيد طبعه ثانية في سلسلة مطبوعات (مكتبته الحيدرية) ، وبصورة بسيطة ليوفره لدى المسلمين نظراً لما للكتاب من أهمية خاصة بالنسبة لمدينة القدس في الوقت الحاضر وهي تمر بدور خطير ، قد وضع الصهاينة الغاصبون يد الاحتلال على معالم هذه المدينة المقدسة قبلة المسلمين الاولى ، ومهبط الوحي ، ومثوى الأنبياء .

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية : ١٦٨ / هامش ١

(٢) معجم المطبوعات : ٣٥٨

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٨ / ٣

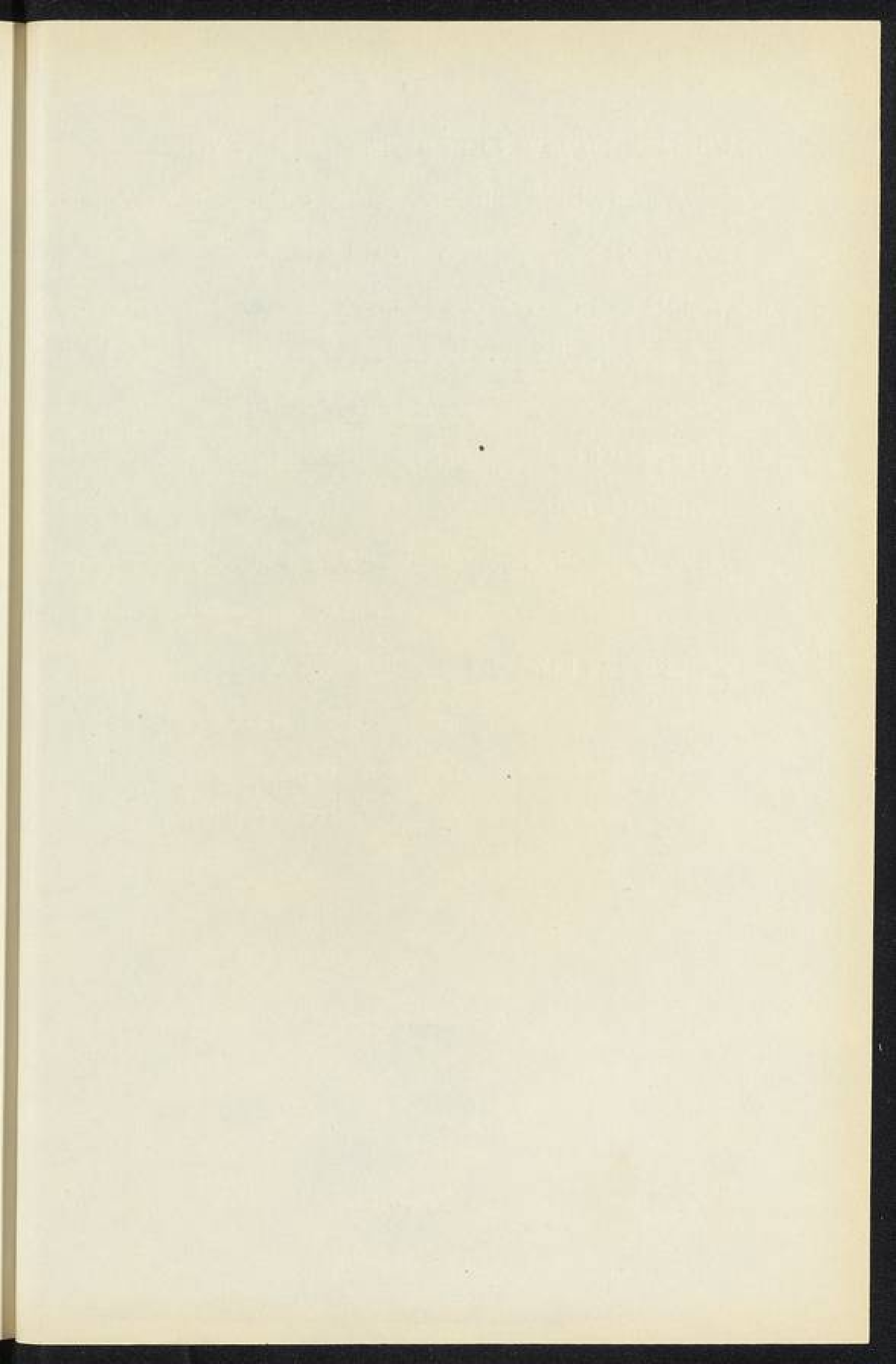
لقد شاء الأخ الناشر ان يعيد للاذهان المسلمة تاريخ هذه المدينة المقدسة بطبعه هذا الكتاب ، وتداوله بين الناس ، ويشعر الضمير الانساني المسلم بأن المسلمين الذين يسكنون هذه البقعة الطاهرة هم الآن يرزحون تحت كابوس الاحتلال الصهيوني الغادر ، فلابد من ان يستيقظ العالم الاسلامي من غفوته ، ويعمل على محو العار من عاتقه، وذلك بتحرير هذه البقعة الطاهرة من براثن اليهودية التي تضمر الحقد الأسود للاسلام والمسلمين من يوم « خيبر » .

وليس من السهل على امة تشعر بالكرامة أن تتناسى ماضيها الزاهر ، وتتغاضى عن مجدها العظيم ، وهي في قوتها وعزتها ، فلابد لها من جولة حاسمة لتطهر المدينة المقدسة من الارجاس الصهاينة ، لترتبط حاضرها بماضيها ، وتتم سجل التاريخ بالدم والتضحية ، وما النصر إلا من عند الله .

وأخيراً ارجو ان يكون حسن الاختيار في طبع هذا الكتاب حليف الاخ الناشر ، والله ولي التوفيق .

النجف الأشرف ١٤ / ١ / ١٣٨٨
١٢ / ٤ / ١٩٦٨

محمد السيد علي بحر العلوم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل على خلقه بفتح أبواب الرحمة ، المحسن الى أهل الملة الحنيفية بترادف الخير والنعمة ، الذي يسر لمن اختاره لنصرة دينه أسباب علو الهمة ، وأنعم على عبيده سكان البيت المقدس بما منحهم من الاقامة به وكشف عنهم الغمة ، أحمده سبحانه على ما منّ به علينا من المجاورة للمسجد الشريف الأقصى ، وأشكره على مننه التي كثرت فلا تعد ولا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نصر به دينه وقمع به كل جبار عنيد ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أيد الله بهم الاسلام ، فمهدوا قواعد الدين من بعده وقاموا بنصرته أعظم قيام ، صلاة وسلاماً دائمين إلى أن نلقاه إن شاء الله بدار السلام .

(أما بعد) فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه ، وسألته المعونة لي بفضله في ترتيب وضعه ، يتضمن تاريخ البيت المقدس ، الذي هو على التقوى مؤسس ، وقصة السيد الجليل ، سيدنا ابراهيم الخليل ، وأبنائه السادة الكرام وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، عن لي أن أجمعه من كتب المتقدمين وأهذب الفاظه من فوائد المؤرخين ، واذكر ما يتعلق ببيت المقدس من ابتداء أمره وبنائه ، وما وقع من أخباره وانبائه ، من لدن سيدنا آدم عليه السلام

الى عصرنا هــذا وهو آخر عام تسعمائة من هجرة النبي المصطفى خير الأنام واضيف الى ذلك نبـذة من الحوادث والأخبار ، وتراجم الأعيان على وجه الاختصار ، فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته ، وتوكلت عليه في تيسير ما تصورته وشرعت في ذلك طالباً من الله التوفيق ، والمن بالهداية لأقوم طريق ، فأذكر اولاً نبـذة يسيرة من تفسير اول سورة الاسراء او اسماء المسجد الأقصى وبيت المقدس وما ورد من الخلاف في ابتداء أمره ، ثم اذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته الى حين خلق آدم . ثم اذكر سيدنا آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء الى سيدنا ابراهيم ونبذة يسيرة من اخبارهم .

ثم اذكر قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليـه الصلاة والسلام ومولده ونبوته ونبذة من سيرته ومعجزاته واولاده الكرام وهجرته وبناء الكعبة المشرفة وقصة الذبيح وشراء المغارة ووفاته وبناء السور السليماني المحيط بقبره وكونه صار مسجداً وذرعه طولا وعرضاً ، واذكر صفة المسجـد وما هو مشتمل عليه وترتيب قبور الانبيـاء عليهم السلام ، ثم اذكر نبذة من اخبار السماط الكريم ونظامه ، ثم اذكر ما بعد ابراهيم من الانبياء الى سيدنا موسى واخيه هارون عليهما السلام ثم اذكر السبب في ملك سيدنا داود عليه السلام ونبذة يسيرة من سيرته واهتمامه ببناء المسجد الاقصى الشريف باذن الله تعالى ، ثم أذكر عمارة سيدنا سليمان عليه السلام لمدينة القدس والمسجد الاقصى وما كان عليه من الصفات والعجائب ونبذة من سيرة سيدنا سليمان ، ثم اذكر تخريبه على يد بخت نصر والسبب فيه ثم اذكر عمارته الثانية على يد كورش ملك الفرس ، واذكر من كان من الانبياء من بعد سيدنا سليمان الى سيدنا يونس عليهم السلام ، ثم اذكر مولد سيدنا زكريا ويحيي وعيسى بن مريم عليهم السلام ونزول المائدة على عيسى وصعوده الى السماء ونبذة من سيرته ، ثم اذكر خراب بيت المقدس الثاني على يد طيطوش وزوال دولة اليهود ، ثم اذكر عمارتـه الثالثة .

ثم اذكر مولد سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ونبذة من سيرته الشريفة وقصة المعراج وما وقع له ليلة الاسراء بالمسجد الاقصى الشريف وهجرته وبناء مسجده الشريف وتحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام ونبذة من أخباره وغزواته ووفاته صلى الله عليه وسلم ، ثم اذكر نبذة من من فضائل المسجد الاقصى وما ورد فيه ، ثم اذكر الفتح العمري الذي يسره الله تعالى على يد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعمارته على يديه ومن دخله من اعيان الصحابة واستوطنه ، واذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف ، ثم اذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة وبناء المسجد الاقصى وما وقع في ذلك ، واذكر طرفاً من اخبار عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وما وقع له مع الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك وهدم الكعبة وبناءها مرة بعد اخرى ونبذة من اخبارها وذرع المسجد الحرام طولا وعرضا وعدد ابوابه ومنايره ، ثم اذكر جماعة من اعيان التابعين والعلماء والزهاد ممن دخل بيت المقدس زائراً ومستوطنا قبل استيلاء الافرنج عليه ، ثم اذكر تغلب الافرنج واستيلائهم على بيت المقدس بعد ذلك لضعف دولة الفاطميين وسوء تدبيرهم ، ثم اذكر الفتح الصلاحي الذي يسره الله تعالى علي يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب تغمده الله برحمته وما وقع له من الغزوات ونبذة من سيرته ووفاته ، ثم اذكر ماوقع بعده من تسليم القدس للافرنج وانتزاعه منهم مرة بعد اخرى لوقوع الخلف بين ملوك بني ايوب .

ثم اذكر صفة المسجد الاقصى وما هو عليه في عصرنا وذرعه طولا وعرضا وكذلك صحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة ، ثم اذكر غالب ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد مما هو مجاور لسور المسجد الاقصى وغيره واسماء من عرفته من الواقفين للمدارس وما اطلعت عليه من تواريخ اوقافهم ، ثم اذكر ما بظاهر بيت المقدس من عين سلوان وعين المقدوفات وبئر ايوب وطول زيتا وقبر مريم

والساهرة وبيت لحم ورملة فلسطين ولد وغير ذلك .

ثم اذكر نبذة من اخبار مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وما فيها وما حولها مما اشتهر من المشاهد والاماكن المقصودة للزيارة ، واذكر الاقطاع التميمي ، ثم اذكر جماعة من اعيان ملوك الاسلام ممن تولى على بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام وفعل فيهما الخير من انواع البر والعمارة ، ثم اذكر ما تيسر من اعيان علماء البلدتين من المذاهب الاربع ومن ولى فيهما المناصب الحكمية والوظائف الدينية ومن عرف منهم بالزهد والصلاح واذكر في تراجمهم نبذة مما اطلعت عليه من الحوادث والاخبار مما لا يخلو من فائدة إن شاءالله تعالى ثم أختم الكتاب بذكر ترجمة ملك العصر والزمان مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي نصره الله تعالى واذكر مدرسته الشريفة وانها من محاسن بيت المقدس لا سيما كونها في المسجد الاقصى الشريف وهي آخر مدرسة بنيت فيه واذكر ابتداء ولايته السلطنة واحوال بيت المقدس واحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في ايامه ، واذكر سبب بناء مدرسته وتولية مشيختها لشيخ الاسلام الشيخ كمال الدين أبي المعالي محمد بن ابي شريف الشافعي ادام الله النفع بعلومه ، واذكر تاريخ مولده واسماء مصنفاته وما تيسر من ترجمته واجتهد في ايجاز لفظ هذا الكتاب حسب الامكان طالبا للاختصار .

(وسميته بالانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) واذا من الله بأ كماله كان تاريخا للقدس والخليل خاصة ولغيرهما عامة فانه يكون فيه تاريخ المساجد الثلاثة وغيرها فالكعبة المشرفة ذكرها بالنسبة الى ذكر قصة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ذكره بالنسبة الى ذكره الشريف وغير ذلك من الحوادث بالنسبة لارتباط الاخبار بعضها ببعض وحين عزمي على جمعه لم اقصد ذلك وانما قصدت ذكر ما يتعلق بالقدس والخليل فقط فتأملت ما قصدت جمعه فرأيت الحال يتطرق الى ذكر جميع ذلك لأمور لا تخفى على من تأمل .

والله يعلم اني لم اقصد بذلك الفخر ولا أن يقال اني من جملة المصنفين لعلمي بحقيقة حالي في التقصير وأن بضاعتي في العلم مزجاة وانما دعاني لذلك أن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ و كتبوا ما يتعلق بتاريخها مما يفيد أخبارها الواقعة في الزمن السابق . وبيت المقدس لم اطلع له على شيء من ذلك يختص به وانما ذكروا في التواريخ اشياء في اماكن متفرقة ورأيت الأنفس متشوقة الى شيء من هذا النمط الذي قصدت عمله فان بعض العلماء كتب شيئا يتعلق بالفضائل فقط و بعضهم تعرض لذكر الفتح العمري وعمارة بني امية و بعضهم ذكر الفتح الصلاحي واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده و بعضهم كتب تاريخا تعرض فيه لذكر بعض جماعة من اعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة فأحببت ان اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجم الأعيان وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخاً كاملا والله سبحانه وتعالى المسؤل وهو المأمول أن يمن علي بتيسير اتمامه ، و كما وفقني لبدايته يعينني على اكماله وختامه ، وان ينفعني والمسلمين بما فيه انه قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ٠

﴿ نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسراء وذكر أسماء المسجد الأقصى ﴾

قال الله تعالى في كتابه العزيز ـ بعد قوله تعالى وهو اصدق القائلين ـ : بسم الله الرحمن الرحيم (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) . قال المفسرون رضي الله تعالى عنهم : سبحان هي تنزيه الله تعالى عن كل سوء ووصفه بالبراءة من كل نقص وتكون سبحان بمعنى التعجب ، اسرى بعبده ليلا اي سيره والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك احد من الامة ، من المسجد الحرام يعني مكة الى المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس ، الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاشجار والأثمار .

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله باركنا حوله فلسطين والاردن . ويأتي ذكر فلسطين فيما بعد ان شاء الله تعالى ، واما الاردن فهو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالى (ان الله مبتليكم بنهر) وهو بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون .

وقال ابو القاسم السهيلي : قوله : الذي باركنا حوله يعني الشام والشام بالسريانية الطيب سميت بذلك لطيبها وخصبها . وقيل باركنا حوله بمقابر الانبياء وقيل غير ذلك ، وقيل سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة والوحي وفيه يحشر الناس يوم القيامة ، وسمي الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، وقيل كان هذا أبعد مسجد عن اهل مكة في الارض يعظم للزيارة ، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث ، وروي انه سمي الاقصى لأنه وسط الدنيا لا يزيد شيئاً ولا ينقص .

وقوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سنين * وهذا البلد الأمين) روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : اقسم ربنا جل جلاله بأربعة اجبل فقال والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين . قال التين طور سيناء مسجد دمشق والزيتون طور زيتا مسجد بيت القدس وطور سينين حيث كلم الله موسى عليه السلام وهذا البلد الأمين جبل مكة .

ومن اسماء بيت المقدس ايليا بهمزة مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم لام مكسورة ثم ياء آخر الحروف ثم الف ممدودة ككبرياء . وحكى فيها القصر ومعناه بيت الله المقدس وبيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف اي المكان المطهر من الذنوب واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة فمعنى بيت المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب ويقال المرتفع المنزه عن الشرك والبيت المقدس بضم الميم وفتح الدال المشددة اي المطهر وتطهيره اخلاؤه من الأصنام وبيت القدس بضم الدال وسكونها لغتان .

ومن اسماء بيت المقدس ورشلم بشين معجمة وتشديد اللام ويروى بالمهملة وكسر اللام ويروى شلم ومعناه بالعبرانية بيت السلام وصهيون بكسر الصاد المهملة ويقال لمسجد بيت المقدس الزيتون ولا يقال له الحرم .

وقد اختلف في اول من بنى مسجد بيت المقدس قبل داود عليه السلام .

فروى بعض العلماء ان اول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى ويقال ان الذي بناه اسرافيل عليه السلام .

وقد روى المحدثون عن ابي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله اي مسجد وضع في الأرض اولا؟ قال المسجد الحرام، قال: قلت ثم أي؟ قال المسجد الاقصى. قلت كم بينهما؟ قال اربعون سنة ثم اينما ادركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه وقد روى ان الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه. قال الامام ابو العباس القرطبي : يجوز ان يكون بناه يعني مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت المعمور باذن الله تعالى وظاهر الحديث يدل على ذلك والله اعلم .

ومن العلماء من قال : بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : اسسه سام بن نوح عليهما السلام ، ومنهم من قال : اول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام روى ان اباه اسحاق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح من بنات خاله فلما توجه الى خاله لينكح ابنته ادركه الليل في بعض الطريق فبات متوسداً حجراً فرأى فيما يرى النائم ان سلماً منصوباً الى باب من ابواب السماء والملائكة تعرج فيه وتنزل فأوحى الله اليه : اني انا الله لا إله إلا انا وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ثم انا معك احفظك حتى اردك الى هذا المكان فأجعله بيتاً تعبدني فيه فهو بيت المقدس. وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد ان بناء المسجد الاقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة على ان المراد به بناء يعقوب عليه السلام لمسجد بيت المقدس بعد بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة الشريفة والله اعلم .

والحديث الشريف المتقدم وهذه الأقوال تدل على ان بناء داود وسليمان عليهما السلام إياه انما كان على اساس قديم لا انهما المؤسسان له بل هما مجددان وكل قول من الأقوال الواردة في بناء المسجد الأقصى لا ينافي الآخر فانه يحتمل ان يكون بناه الملائكة اولا ثم جدده آدم عليه السلام ثم سام بن نوح عليهما السلام ثم يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ثم داود وسليمان عليهما السلام فان كل نبي منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل ان يجدد فيها البناء المتقدم قبله، والقول بأن سام بن نوح أسسه ظاهر فان سام ابن نوح هو الذي اختط مدينة بيت المقدس وبناها وكان ملكاً عليها فلا يبعد ان يكون اسس المسجد حين بنائه المدينة ولكن يحمل على تجديده للبناء القديم لا تأسيسه والله اعلم .

واما مدينة القدس فكانت ارضها في ابتداء الزمان صحراء بين اودية وجبال وهي خالية لا بناء فيها ولا عمارة فأول من بناها واختطها سام بن نوح عليهما السلام وكان ملكاً عليها وكان يلقب مليكيصادق بفتح الميم وسكون اللام وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الصاد المهملة وبعدها الف ثم دال مهملة مكسورة وبعدها قاف ومعناه بالعبرانية ملك الصدق .

ومما حكي في امر بناء القدس في تواريخ الامم السالفة ان مليكيصادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر امره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من ارض بيت المقدس وبالشام وسدوم وغيرها وعدتهم اثنا عشر ملكاً فحضروا اليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه واحبوه حباً شديداً ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت يروشلم وتقدم ان معناه بالعبرانية بيت السلام فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلهم ان يكون مليكيصادق ملكاً عليها وكنوه بأبي الملوك وكانوا بأجمعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها وسيأتي ذكر مولده ووفاته عند ذكر والده نوح ان شاء الله تعالى .

ولما بنيت مدينة بيت المقدس كان محل المسجد في وسطها وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود ثم سليمان كما سنذكر ان شاء الله تعالى.

﴿ ذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : اول ما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ فحفظه بما كتب الله فيه مما كان ويكون لا يعلم ما فيه إلا الله عز وجل وهو من درة بيضاء دفتاه ياقوتتان حمراوان وهو في عظم لا يوصف .

وخلق الله قلماً من جوهرة طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من اقلام اهل الدنيا المداد ثم نودي القلم ان اكتب فاضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع كترجيع الرعد ثم جرى في اللوح بما هو كائن وما هو فاعله في الوقت الذى يفعله الى يوم القيامة فامتلأ اللوح وجف القلم سعد من سعد وشق من شق .

وخلق الله الماء ثم خلق الله من بعد ذلك درة بيضاء في عظم السماوات والأرضين ثم نادها الرب سبحانه وتعالى فاضطربت وذابت من هول النداء حتى صارت ماء يموج بعضها في بعض ثم نودي ان اسكن فاستقر وهو ماء صافي لا كدر فيه ولا موج ولا زبد .

﴿ خلق العرش والكرسي والريح ﴾

ثم خلق الله تعالى العرش والكرسي من جوهرتين عظيمتين ووضعهما على تيار الماء قال الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل صانع بنى الاساس فاذا تم يتخذ عليه السقف وان الله تعالى خلق السقف اولا ثم خلق الاساس لأنه خلق العرش قبل السماوات والارضين ثم خلق الله الريح وجعل لها اجنحة لا يعلم كثرتها إلا الله وامرها ان تحتمل هذا الماء وكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله حملة العرش وهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله بأربعة اخر فذلك قوله

تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ، وهم في عظم لا يوصفون ثم خلق الله حول العرش حية محدقة به رأسها من درة بيضاء وجسدها من ذهب وعيناها ياقوتتان لا يعلم عظم تلك الحية إلا الله تعالى فالعرش عرش العظمة والكبرياء والكرسي كرسي الجلال او البهاء لأن الله تعالى لا حاجة له اليهما فقد كان قبل تكوينهما لا على مكان .

(خلق الأرضين والجبال والبحار)

لما اراد الله خلق الأرضين امر الريح ان تضرب الماء بعضه في بعض فلما اضطرب ازبد وارتفعت امواجه وعلا بخاره فأمر الله الزبد ان يجمد فصار يابسا فهو الأرض فدحاها على وجه الماء في يومين فذلك قوله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) ثم امر تلك الأمواج فسكنت فهي الجبال فجعلها عماد الأرض وذلك قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بكم فلولاها لماجت الأرض بأهلها) وعروق هذه الجبال متصلة بعروق جبل قاف وهو الجبل المحيط بالأرض ثم خلق الله تعالى سبعة ابحر فأولها محيط بالأرض وراء جبل قاف وكل بحر منها محيط بالبحر الذي تقدمه .

واما هذه البحار التي على وجه الأرض فانها بمنزلة الخليج لها وفي تلك البحار من الخلائق والدواب ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى وخلق الله تعالى هذه البحار وما فيها من الدواب في اليوم الثالث ثم خلق الله تعالى ارزاقها وقدرها في اليوم الرابع وذلك قوله تعالى (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) وهي سبع ارضين كل ارض تلي الاخرى . وكانت الأرض تموج بأهلها كالسفينة تذهب وتجيء لأنه لم يكن لها قرار فأهبط الله ملكاً ذا بهاء عظيم وقوة وامره الله ان يدخل تحتها فيحملها على منكبه فأخرج الله له يداً في المشرق ويداً في المغرب فقبض على اطراف الأرض وامسكها .

ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مرتفعة من ياقوتة خضراء وامرها حتى دخلت تحت قدمي الملك فاستقرت اقدام الملك عليها .

ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله للصخرة ثوراً عظيما صفته لا يحيط بها إلا الله تعالى لعظمها وامره ان يدخل تحتها فحملها على ظهره وقيل على قرونه .

ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله له حوتاً عظيما لا يقدر احد ان ينظر اليه لعظمه ولبروق عينيه وامره الله تعالى ان يصير تحت قوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره على الماء وتحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة والأرضون كلها على منكبي الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق بما تحت الظلمة .

(العقل)

ثم خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك بك آخذ وبك اعطي وعليك اثيب وبك اعاقب .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : العاقل هو الصادق الطويل صمته الذي يسلم الناس من شره فان الله تعالى يدخله الجنة وان الله تعالى ليعاقب العاقل يوم القيامة بما لا يعاقب به الجاهل وان الجاهل هو الكاذب بلسانه الخائض فيما لا يعنيه وان كان قارئاً او كاتباً ، ثم قال : ماتزين العبد بزينة احسن من العقل وما من شيء اقبح من الجهل فالعقل ما يحصل به التمييز وهو بعض العلوم الضرورية وهو غريزة نص عليه الامام احمد رضي الله عنه والمشهور عنه : انه في الدماغ وفاقا للحنفية ، وعند اصحاب احمد والشافعي والأطباء ان محله القلب وله اتصال بالدماغ قال اصحاب احمد العقل يختلف فعقل بعض الناس اكثر .

﴿ خلق الله السماوات وسكانها وصفة الملائكة وخلق الشمس والقمر ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : امر الله تعالى البخار الذي علا من الماء ان يعلو الهواء فخلق الله تعالى منه السماء في يومين فكانت ارضا واحدة في يومين وسماء واحدة في يومين وما بينهما في يومين ايام ثم تفتقت السماء والارض خوفا من ربها فصارت سبع سماوات وسبع ارضين وذلك قوله تعالى : (أولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ثم قال فقضاهن سبع سماوات في يومين واوحى في كل سماء امرها .

فالسماء الاولى من زبرجدة خضراء وسكانها ملائكة على صورة البقر .
والسماء الثانية من ياقوتة حمراء وسكانها ملائكة على صورة العقبان .
والسماء الثالثة من ياقوتة صفراء وسكانها ملائكة على صورة النسور .
والسماء الرابعة من فضة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الخيل .
والسماء الخامسة من ذهب وسكانها ملائكة على صورة الحور العين .
والسماء السادسة من درة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الولدان .

والسماء السابعة من نور يتلألأ وسكانها ملائكة على صورة بني آدم وهؤلاء الملائكة لا يفترون عن التسبيح فذلك قوله تعالى : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فأفضلهم جبريل وهو الروح الأمين له ستة اجنحة في كل جناح مائة جناح وله وراء ذلك جناحان اخضران ينشرهما ليلة القدر وجناحان ينشرهما عند هلاك القرى والاجنحة كلها من انواع الجواهر .

ويليه اسرافيل وهو ملك عظيم الشأن وله اربعة اجنحة جناح يسد به المشرق وجناح يسد به المغرب والثالث يسد به ما بين السماء والارض والرابع قد التثم به قدماه تحت الارض السابعة ورأسه قد انتهى الى اركان قوائم العرش وبين عينيه لوح من جوهرة فاذا اراد الله ان يحدث في عباده امراً امر القلم ان يخط في اللوح

ثم يدلي اللوح الى اسرافيل فيكون بين عينيه ثم ينتهي الوحي الى جبريل عليه السلام وهو اقرب من اسرافيل . ومن وراء البيت المعمور ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وفي السماء السابعة البحر المسجور .

وأما ملك الموت عزرائيل فسكنه في سماء الدنيا وقد خلق الله له عيونا بعدد من يذوق طعم الموت ، رجلاه في تخوم الارض ورأسه في السماء العليا عند آخر الحجب ووجهه مقابل للوح المحفوظ وهو ينظر اليه وكل الخلق بين عينيه ولا يقبض روح مخلوق إلا بعد ان يستوفي رزقه وينقضي اجله .

﴿ خلق الشمس والقمر ﴾

ثم خلق الله الشمس والقمر فالشمس من نور عرشه والقمر من نور حجابه الذي يليه واثنى الله تعالى عليهما فقال : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) ثم وكل بهما جمعاً من الملائكة يرسلونهما بمقدار ويقبضونهما بمقدار فذلك قوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) فما نقص من احدهما زاد في الآخر .

وقال اهل التوراة : ابتدأ الله تعالى الخلق في يوم الاحد وانتهى في السبت فاستوى على العرش فيه . فاتخذوا السبت عيداً .

وقالت النصارى : وقع الابتداء في يوم الاثنين والانتهاء في الاحد ثم استوى على العرش فيه . فاتخذوا الأحد عيداً .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الابتداء في السبت والانتهاء يوم الجمعة سيد الايام وهو عند الله اعظم من يوم الفطر ويوم الاضحية وفيه ستة فضائل : فيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه نفخ الروح فيه وفيه تاب الله عليه وفيه توفاه وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا اعطاه الله إياه مالم يكن حراماً وفيه تقوم الساعة .

﴿ ذكر الجنة والنار وما فيهما ﴾

ثم خلق الله الجنة وهي ثمان جنات : اولها دار الجلال من اللؤلؤ الابيض

ثم دار السلام وهي من الياقوت الاحمر ، ثم جنة المأوى وهي من الزبرجد الاخضر ثم جنة الخلد وهي من المرجان الاصفر ، ثم جنة النعيم وهي من الفضة البيضاء ، ثم الفردوس وهي من الذهب الاحمر ثم جنة دار القرار وهي من المسك ، ثم جنة عدن وهي من الدر وهي مشرفة على الجنان لها بابان من ذهب بين كل مصراع كما بين السماء والارض وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران وقصورها اللؤلؤ وغرفها الياقوت وابوابها الجوهر وفيها انهار منها نهر الرحمة ونهر الكوثر وهو لنبينا صلى الله عليه وسلم ونهر الكافور ثم التسنيم ثم السلسبيل ثم الرحيق وغير ذلك مما لايعلمه إلا الله تعالى ، وللجنان ثمانية ابواب وفيها من الحور العين ما لا يقدر على وصفهن إلا الذي خلقهن .

واما جهنم فلها سبعة ابواب : اولها جهنم والثاني لظى والثالث الحطمة والرابع السعير والخامس سقر والسادس الجحيم والسابع الهاوية ، ولها سبع طباق وفيها اشجار من النار شوكها كأمثال الرماح الطوال تتلظى بالنيران وعليها ثمار من نار في كل ثمرة حية تأخذ بأجفان عين الكافر وشفته تسقط لحمه الى قدميه وفيها عقارب واسود وذئاب وكلاب من نار وزبانية بأيديهم مقامع من نار ، وعليها تسعة عشر من الملائكة كما قال الله تعالى : (لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال الله تعالى : (عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون).

﴿ ذكر الجن والجان وما كان من ابتداء أمرهم وعبادة ابليس ﴾

روي عن وهب قال : خلق الله نار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان ، ثم خلق الله منها الجان فذلك قوله تعالى : (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) قال وخلق الله خلقاً عظيماً وسماه مارجاً وخلق منه زوجة وسماها مرجة فواقعها فولدت الجان وولد للجان ولد فسماه الجن فمنه تفرعت قبائل الجن ومنهم ابليس اللعين وكان يلد من الجان الذكر والانثى ومن الجن كذلك توأمين فصاروا سبعين

ألفاً وتوالدوا حتى بلغوا عدد الرمل فتزوج ابليس امرأة من ولد الجان فكثر اولاده وانتشروا حتى امتلأت الاقطار منهم ، ثم اسكن الله الجان في الهواء وابليس واولاده في سماء الدنيا وامرهم بالعبادة والطاعة فكانت السماء تفتخر على الارض بأن الله رفعها وجعل فيها ما لم يكن في الارض .

فشكت الارض الى خالقها الوحشة إذ ليس على ظهرها خلق يذكرون الله فنوديت الارض اسكني فاني خالق من اديمك صورة لا مثل لها في الجن وأرزقها العقل واللسان واعلمها من علمي وانزل عليها من كلامي فأملأ منها بطنك وظهرك وشرقك وغربك على مزاج تربتك في الالوان والخيرية والشرية فافتخري يا ارض على السماء بذلك . فاستقرت الارض وهي مع ذلك بيضاء نقية كأنها الفضة البيضاء. فأشرفت الجان على الارض وقالت ربنا اهبطنا الى الارض فأذن الله لهم بذلك على ان يعبدوه ولا يعصوه فأعطوه العهود على ذلك ونزلوا وهم الوف فعبدوا الله حق عبادته دهراً طويلا .

ثم اخذوا في المعاصي وسفك الدماء حتى استغاثت الارض منهم وقالت ان خلوي يارب أحب إلي من ان يكون على ظهري من يعصيك فأوحى الله اليها ان اسكني فاني باعث اليهم رسلي .

قال كعب الاحبار : فأول نبي بعثه الله من الجان نبياً منهم يقال له عامر بن عمير بن الجان فقتلوه . ثم بعث لهم من بعد عامر صاعق بن ماعق بن مارد بن الجان فقتلوه حتى بعث الله اليهم ثمانمائة نبي في ثمانمائة سنة في كل سنة نبياً وهم يقتلونهم فلما كذبوا الرسل اوحى الله الى اولاد الجن في السماء ان انزلوا الى الارض وقاتلوا من فيها من اولاد الجان وعليهم ابليس اللعين فقاتلهم ابليس اللعين هو ومن كان معه حتى ادخلهم الى بقعة من الارض فاجتمعوا فيها فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم وسكن ابليس الارض مع الجن وعبد الله حق عبادته فكانت عبادته اكثر من عباداتهم كلهم، ثم رفعه الله تعالى الى سماء الدنيا لكثرة عبادته فعبد الله فيها الف سنة حتى سمي فيها

العابد ، ثم رفعه الله تعالى الى السماء الثانية فعبد الله فيها الف سنة ، ثم رفعه الى الثالثة فعبدالله كذلك حتى رفعه الى السماء السابعة ، فيقال انه في يوم السبت يكون في الاولى ويوم الاحد في الثانية حتى اذا كان يوم الجمعة يكون في السماء السابعة يعبد الله في كل سماء يوماً .

وكان ابليس لعنه الله بمنزلة عظيمة بحيث اذا مر به جبريل او ميكائيل او غيرهما من الملائكة يقول بعضهم لبعض لقد اعطى الله هذا العابد من القوة على طاعة ربه ما لم يعط احداً من الملائكة . فلما كان بعد ذلك بدهر طويل امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يهبط الى الارض ويقبض قبضة من شرقها وغربها ووعرها وسهلها ليخلق منها خلقاً جديداً ليجعله افضل الخلائق فعرف ذلك ابليس فهبط الى الارض حتى وقف في وسطها وقال لها اني جئتك ناصحاً ، فقالت وما نصحك يازين العابدين وإمام الزاهدين ؟ فقال لها : ان الله يريد ان يخلق منك خلقاً يفضله على جميع خلقه واخاف منه ان يعصيه فيعذبه وقد ارسل الله اليك جبريل فاذا جاءك فأقسمي عليه ان لا يقبض منك شيئاً .

فلما هبط جبريل عليه السلام نادته الارض وقالت: يا جبريل بحق من ارسلك إلي ألّا تقبض مني شيئاً فاني اخاف ان يخلق الله مني خلقاً فيعصيه ذلك الخلق فيعذبه بالنار ، فارتعد جبريل من هذا القسم فرجع ولم يأخذ منها شيئاً ، فأخبر جبريل ربه بذلك، فبعث الله ميكائيل ليأتيه بالقبضة فكانت حاله كحالة جبريل فبعث الله ملك الموت فلما هم ان يقبض ما امره ربه اقسمت عليه ايضاً ، فقال ملك الموت عليه السلام : وعزة ربي لا اعصي له امراً ، فقبض منها قبضة من جميع بقاعها عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها ، وكل ابن آدم مخلوق من تلك القبضة . فلما رجع ملك الموت بالقبضة وقف في موقفه اربعين عاماً لا ينطق .

ثم اتاه النداء : ياملك الموت ما الذي صنعته ؟ ـ وهو اعلم ـ فأخبره بقسمه

وقسم الأرض عليه فقال تعالى: وعزتي وجلالي لأخلقن مما أتيت به خلقاً ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك بهم . فجعل نصف تلك القبضة في الجنة ونصفها في النار وقال : أنا الله الذي لا إله إلا أنا اقضي ولا يقضى علي .

﴿ ذكر آدم عليه السلام ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وما بين ذلك ومنهم الحزن والسهل وبين ذلك . وانما سمي آدم لأنه خلق من أديم الارض .

ولما خلق الله جسد آدم تركه اربعين ليلة وقيل اربعين سنة ملق بغير روح . (وقال الله تعالى للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم اجمعون * إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ولم يسجد كبراً وبغياً فأوقع الله تعالى على ابليس اللعنة والاياس من رحمته وجعله شيطاناً رجيما واخرجه من الجنة بعد ان كان ملكاً على سماء الدنيا والارض وخازناً من خزنة الجنة .

واسكن الله تعالى آدم الجنة ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حواء زوجته سميت بذلك لأنها خلقت من شيء حي فأوحى الله تعالى اليه : (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) . ثم اراد ابليس عليه اللعنة ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فعرض نفسه على دواب الارض ان تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبت ذلك إلا الحية فانها أدخلته الجنة بين نابيها وكانت اذ ذاك على غير شكلها الآن . فلما دخل ابليس الجنة وسوس لآدم وحواء وحسن عندهما الاكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها وهي الحنطة في قول وقرر عندهما بعد ان حلف لهما انهما إن أكلا منها خلدا ولم يموتا ، (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما) أي ظهرت لهما

عوراتهما ، وكانا لا يريان ذلك .

فقال الله تعالى : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) . وهم آدم وحواء وابليس والحية فأهبطهم الله من الجنة الى الارض وسلب عن آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة فهبط آدم بسر نديب من ارض الهند على جبل يقال له نود ، وحواء بجدة وابليس بايلة والحية باصفهان . فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي ذلك اليوم عرفة والموضع عرفات . وكان هبوط آدم من باب التوبة وهبوط حواء من باب الرحمة وابليس من باب اللعنة والحية من باب السخط ، وكان في وقت العصر .

وكان بين هبوط آدم والهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة على حكم التوراة اليونانية وهي المعتمدة عند المحققين من المؤرخين وفي ذلك خلاف لا فائدة لذكره خشية الاطالة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة وستة عشر سنة وهو المعتمد عند المؤرخين .

ولما هبط آدم الى الارض كان له ولدان هابيل وقابيل فقربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده على ذلك وكان لقابيل اخت توأمة وكانت أحسن من توأمة هابيل وكان آدم اراد ان يزوج توأمة قابيل بهابيل وعكسه فلم يطب لقابيل ذلك ورأى قربان اخيه قد تقبل دون قربانه ، فقتل اخاه هابيل واخذ قابيل توأمته وهرب بها . وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة وذلك باتفاق المؤرخين . وكان آدم رجلا طويلا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس وقد بلغ عدد ولده لصلبه وولد ولده لما توفى اربعين الفاً ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنى عشر مرة . وقد تقدم ذكر الخلاف في انه اول من بنى مسجد بيت المقدس .

وقد اختلف في مدفنه فقيل ان قبره في مغارة بين القدس ومسجد ابراهيم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام والخلاف في ذلك كثير .

ثم بعد قتل هابيل ولد لآدم شيث عليه السلام وهو وصيه ، وتفسير شيث هبةالله عاش تسعمائةسنة واثنى عشرسنة ومات لمضي الفومائة واثنين واربعين سنة لهبوط آدم والى شيث تنتهي انساب بني آدم كلهم ٠

ثم ولد لشيث انوش عاش تسعمائة سنة وخمسين سنة ٠ ثم ولد لأنوش قينان عاش تسعمائة وعشرين سنة ٠ ثم ولد لقينان مهلاييل عاش ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة ٠ ثم ولد لمهلاييل يود ـ بالدال المهملة ـ عاش تسعمائة واثنين وستين سنة ٠

ثم ولد ليود حنوخ ـ بخاءمهملة ونونوواووخاءمعجمة ـ وهوادريس عليه السلام وادرك ادريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة ، ولما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء ، وكان قد نبأه الله وانكشفت له الأسرار السماوية ونزل عليه جبريل عليه السلام اربع مرات وله صحف : (منها) لا تروموا ان تحيطوا بالله خبرة فانه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين إلا من اثره ٠

ثم ولد لحنوخ متوشلح ـ بتاء مثناة من فوق وآخره حاء مهملة ـ عاش تسعمائة وتسعاً وستين سنة ٠ ثم ولد لمتوشلح لامخ ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح ٠

﴿ ذكر نوح عليه السلام ﴾

واسمه عبد الغفار ولد بعد ان مضى الف وستمائة وثنتان واربعون سنة من هبوط آدم عليه السلام ٠ وكان بعد رفع ادريس الى السماء بمائة وخمس وسبعين سنة ويقال ان دمشق كانت دار نوح عليه السلام ٠ وارسله الله تعالى الى قومه وكانوا اهل اوثان فصار يدعوهم الى طاعة الله وهم لا يلتفتون اليه وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال: اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون ٠ وكانوا يضربونه حتى يظنوا انه مات. فاذا افاق اغتسل واقبل عليهم وهو يدعوهم الى الله تعالى ٠

فلما طال ذلك شكاهم الى الله تعالى ، فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك

إلا من قد آمن فلما ايس منهم دعا عليهم فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) فأوحى الله اليه ان اصنع السفينة فصنعها من خشب الساج .

فلما اقبل على عمل الفلك جعل يقطع الخشب ويضرب الحديد وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجاراً بعدالنبوة ويضحكون عليه فقال لهم (إن تسخروا منا فانا نسخر منكم اذا عاينتم عذاب الله كما تسخرون) . واتخذ السفينة وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وقيل غير ذلك .

فلما فار التنور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه حمل نوح من أمره الله بحمله من أهله وغيرهم سوى ولده كنعان فانه كان كافراً ، ثم ادخل في السفينة ما امره الله به من الدواب . واختلف في موضع التنور : فقيل كان بالكوفة ، وقيل بالشام وقيل غير ذلك .

فلما دخل نوح ومن معه السفينة فتح الله عز وجل عيون الماء ففارت الارض والتقت البحار وأمطر الله من السماء ماء فارتفع الماء وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال وعلا الماء على رؤوس الجبال اربعين ذراعاً فهلك كل من على وجه الأرض من حيوان ونبات سوى عوج ابن عناق ـ نسبة لأمه عناق بنت آدم ـ وهي اول من بغت على وجه الأرض وعمت الفجور وعملت السحر وجاهرت بالمعاصي وولدت عوج الجبار ولم يغرقه الطوفان ولا بلغ بعض جسده وطلب السفينة ليغرقها وكان طوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع بالهاشمي ، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر ويشويه في عين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله .

وعاش ثلاثة آلاف سنة وعمر الى زمان فرعون وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام ليطرحها عليهم ، وكان المعسكر فرسخاً في فرسخ فأرسل الله طيراً فنقر الصخرة فنزلت من رأسه الى عنقه ومنعته الحركة ، فوثب موسى وكانت

وثبته عشرة اذرع وطوله مثل ذلك وطول عصاه مثل ذلك ولم يلحق سوى عرقوبه فقتله وتركه بموضعه وردم عليـه بالصخر والرمل فكان كالجبل العظيم في صحراء مصر ، وقيل غير ذلك .

وكان بين أن ارسل الله ماء الطوفان وبين ان غاض ستة اشهر وعشر ليال وكان ركوب نوح في السفينـة في مستهل شهر رجب ، وقيل لعشر ليال مضت من رجب وكان أيضاً لعشر ليـال خلت من آب ، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم وكان استقرار السفينة على الجودي وهو جبل من ارض الموصل ٠

وقـد ورد حديث ان السفينة طافت بالبيت الحرام اسبوعاً ثم طافت ببيت المقدس اسبوعاً واستوت على الجودي ٠ وروي ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت باذن الله تعالى وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من اولادك ٠ وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفي سنة ومائتين واثنين واربعين سنة ، وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح ، وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائـة واربع وسبعون سنة ، وقد مضى من الهجرة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة ، فيكون الماضي من الطوفان الى سنة تسعمائة من الهجرة اربعة آلاف وثمانمائة واربعاً وسبعين سنة والله أعلم .

ولما مضت ثلثمائة وخمسون سنة للطوفان توفى نوح عليه السلام وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة ، هكذا وقع في كلام المؤرخين ان نوحاً عاش القدر المذكور فقط . وظاهر الآية الشريفة يخالفه لأنه يدل على انه لبث القدر المذكور في قومه بعد إرساله اليهم ينذرهم وان الطوفان وقع بعـد ذلك . وقيل ان عمر نوح الف واربعمائة وخمسون سنة وهو موافق للآية قال الله تعالى : (ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) وظاهر الآية الشريفة انه عاش اكثر مما ذكره المؤرخون والله أعلم ٠

ونزل عليه جبريل عليه السلام خمسين مرة وقبره بكرك نوح ومن اولاده

سام ولد قبل الطوفان بمائة سنة وعاش ستمائة سنة ووفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة وهو ابو العرب وفارس والروم وكان هو القيم بعد نوح في الأرض ومن ذريته الأنبياء كلهم عربهم وعجمهم . وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب ونزل بنوه سرة الارض وهو الذي اختط مدينة القدس واسس مسجدها وكان ملكاً عليها كما تقدم . وحام ابو السودان ، ويافث ابو الترك . ويأجوج ومأجوج والافرنج والقبط من ولد قوط بن حام .

ولما خرج نوح من السفينة قسم الأرض بين اولاده الثلاث فأعطى سام الحجاز واليمن والشام والجزيرة ، واعطى حام الغرب ، واعطى يافث الشرق . وولد لسام ولد سماه أرفخشد عاش اربعمائة وخمساً وستين سنة . ثم ولد لأرفخشد ولد سماه قينان عاش اربعمائة وثلاثين سنة ، وولد لقينان شالح عاش اربعمائة وستين سنة ، وولد لشالح غابر عاش اربعمائة واربعاً وستين سنة ، ثم ولد لغابر فالغ عاش ثلثمائة وتسعاً وثلاثين سنة ، ثم ولد لفالغ رعون عاش ثلثمائة وتسعاً وثلاثين سنة وعند مولد رعون تبلبلت الألسن وتقسمت الأرض وتفرق بنو نوح وذلك لمضي ستمائة وسبعين سنة للطوفان ، ثم ولد لرعون شاروع واسمه في التوراة سرور عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، ثم ولد لشاروع ناحور عاش مائتين وثماني وستين سنة ، ثم ولد لناحور ولد اسمه تارخ وهو آزر عاش مائتين وخمس سنين . وهوابو ابراهيم الخليل عليه السلام .

﴿ ذكر هود وصالح عليهما السلام ﴾

وهما نبيان ارسلا بعد نوح وقبل ابراهيم الخليل ، وارسل الله هوداً الى عاد وكانوا اهل اصنام وكان عاد وثمود جبارين طوال القامة ، فدعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم إلا القليل فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ـ والحسوم الدائم ـ فلم تدع غير هود والمؤمنين معه فانهم اعتزلوا

في حضرموت وبقي هود كذلك حتى مات وقبره بحضرموت . وقيل بالحجر من مكة ، وقيل ان هوداً هو غابر المتقدم ذكره . والذي صححه جماعة من أكابر العلماء ان هوداً هو ابن عبد الله بن رباح وليس هو غابر والله اعلم .

ويروى انه كان من عاد شخص اسمه لقمان وهو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد سيدنا داود عليه السلام .

(وأما صالح) : فهو ابن آسف ارسله الله الى ثمود فدعاهم الى التوحيد وكان مسكنهم بالحجر وهي مدينة بين المدينة الشريفة والشام فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ثم ان كفارهم عاهدوه على انه ان إتاهم بما يقترحونه عليه آمنوا ، واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة . فسأل الله تعالى في ذلك فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلا ، فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة ايام بصيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فأصبحوا في دارهم جاثمين .

وسار صالح الى فلسطين ، ثم انتقل الى الحجاز يعبد الله الى ان مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وورد انه توفي في فلسطين وأقام بها بعد أن هلك قومه ويقال ان قبره بالمغارة التي بالجامع الابيض بالرملة والله اعلم .

﴿ ذكر سيدنا ابراهيم الخليل وابنائه الكرام عليهم الصلاة والسلام ﴾

اقول وبالله التوفيق : ابراهيم خليل الرحمن وهو ابو الأنبياء الكرام من اولي العزم من المرسلين ، روي انه انزل الله عليه عشر صحف وكانت كلها امثالا وجعل له لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنا فليس احد من الامم إلا يحبه واكرمه الله تعالى بالخلة وجعل اكثر الانبياء من ذريته وختم ذلك بسيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، وابراهيم هو ابن تارخ وهو آزر. ولما اراد الله عز وجل ان يبعث السيد ابراهيم عليه السلام حجة على قومه

ورسولا الى عباده رأى النمرود في منامه كأن كوكباً قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع لذلك فزعاً شديداً وجمع السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له : هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة ويكون هلاكك وذهاب ملكك على يده . ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام. وكانت الملوك الذين ملكوا الارض اربعة : مؤمنان وهما سليمان بن داود وذو القرنين وكافران وهما نمروذ وبخت نصر .

فنمروذ هو ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض ودعا الناس الى عبادته ، فلما اخبر نمروذ بذلك امر بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل حامل اميناً فكانت الحامل اذا وضعت حملها فان كان ذكراً ذبحه . وقيل انه حبس جميع الحوامل إلا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم حملها وعميت عنها الابصار ، وخرج نمروذ يجمع الرجال الى المعسكر ونحاهم عن النساء كل ذلك تخوفاً من ذلك المولود الذي اخبر به .

وقيل : ان نمروذ لما خرج بعسكره بدت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها احداً من قومه سوى آزر وذلك قبل حمل ام ابراهيم به ، فبعث الى آزر وأسر له حاجته وقال له اما اني لم ابعثك إلا لثقتي بك فأقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك ، فقال آزر انا اشح على ديني منك ، ثم دخل آزر المدينة وقضى حاجته ثم بدا له الدخول على اهله لرؤية حالهم واصلاح شأنهم فلما دخل الدار واجتمع بأهله حكم عليه نفوذ القدر فنسي ما التزم به للنمروذ فواقع زوجته واسمها نونا . وقيل غير ذلك . فحملت بابراهيم عليه السلام فلما استقر في بطنها تنكست الاصنام وظهر نجم ابراهيم عليه السلام وله طرفان احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، فلما رأى نمروذ ذلك النجم تحير وازداد خوفه .

ولما تم حمل ابراهيم وجاء لأمه الطلق ارسل الله تعالى اليها ملكاً على احسن

صورة واجمل وجه من بني آدم فآنسها وسكن روعها وبشرها بولد يكون له شأن عظيم وهو خليل رب العالمين ، فلما ثقل عليها الحال قال لها انهضي معي فقامت معه وتبعته فتوجه بها حتى أدخلها غاراً هناك معمى عن الخلق . فلما دخلت الغار وجدت فيه جميع ما تحتاجه وخفف الله تعالى عنها الطلق فوضعت ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ليلة الجمعة وكانت ليلة عاشوراء .

وكان مولده لمضي الف واحدى وثمانين سنة من الطوفان ، وكان الطوفان بعد هبوط آدم عليه السلام بألفين ومائتين واثنين واربعين سنة وبين مولد ابراهيم الخليل عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية الفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عامنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من مولد سيدنا ابراهيم الخليل الى آخر تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة والاختلاف في ذلك كثير .

فلما سقط الى الارض نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته واذن في اذنه وكساه ثوباً أبيض ثم عاد بأمه الملك الى مكانها وتركت ولدها في الغار .

ولما طالت غيبة نمروذ عن ارضه وبلاده عاد الى تدبير ما كان قد اهمه ، فبينما هو جالس ذات يوم على سريره واذا هو بالسرير قد انتفض من تحته انتفاضاً شديداً فسمع نمروذ هاتفاً يقول تعس من كفر باله ابراهيم فقال لآزر هل سمعت ماسمعت؟ قال نعم ، قال فمن هو ابراهيم ؟ قال آزر انى لا اعرفه فأرسل للسحرة والكهنة يدلوك عليه . فأرسل نمروذ خلف السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فلم يخبروه بشيء مع علمهم به وكان ذلك في يوم ولادته ثم توالت على نمروذ الهواتف حتى نطقت الوحوش والطيور بمثل ذلك فكان نمروذ لا يمر بمكان إلا ويسمع قائلا يقول تعس من كفر باله ابراهيم فازداد همه ورأى رؤيا هائلة في منامه وذلك انه رأى القمر قد طلع من ضلع آزر وبقي نوره كالعمود الممدود بين السماء والارض وسمع قائلا يقول قد جاء الحق وزهق الباطل فنظر الى الاصنام فوجدها كلها منكسة

على رؤسها ، فاستيقظ النمروذ من منامه فزعاً خائفاً مرعوباً فقص رؤياه على آزر . فخاف آزر على نفسه منه وقال انما ذلك لكثرة عبادتي لها .

وكان نمروذ بليداً جباناً فرضي بقول آزر وسكت، ثم بدا له الدخول الى البلد فلما دخلها دخل آزر على الأصنام وكان هو القيم لها فلما وقع نظره عليها تساقطت عن كراسيها فسجد آزر حين رأى ذلك وانطقها الله تعالى وقالت يا آزر جاء الحق وزهق الباطل . ووافى نمروذ ما كان يحذره فدخل آزر بيته وكان قد توهم في زوجته انها حامل فلما رآها وهي نشطة سألها عن حالها فقالت ان الذي كان ببطني لم يكن ولداً وانما كان ريحاً وقد تصرف عني ، فصدقها على ذلك . وألقى الله تعالى على نمروذ النسيان لأمر ابراهيم فكانت امه تتوجه الى الغار في كل ثلاثة ايام مرة لترى حال ولدها فتراه في احسن هيئة ، فتوجهت اليه مرة فرأت الوحوش والطيور على باب المغارة فخافت واضطربت وظنت ان ولدها قد هلك ، فلما دخلت عليه وجدته بخير وعافية وهو جالس على فراش من السندس وهو مدهون مكحول بأحسن حال فلما رأت ذلك منه ازدادت فيه محبة وعظمته وعلمت ان له شأناً عظيما وان له رباً يحرسه ويتولاه فنظرت اليه فوجدته يمص في اصابعه فوجدت يخرج له من اصبع لبن ومن اصبع عسل ومن اصبع سمن ومن اصبع ماء صلوات الله وسلامه عليه وكان يشب شباً لا يشبه احداً من الغلمان يومه كالشهر وشهره كالسنة .

ولم يمكث في الغار سوى خمسة عشر شهراً وتكلم فقال لامه يوماً : يا اماه من ربي ؟ قالت : انا ، فقال لها : ومن ربك ؟ فقالت له : ابوك ، قال : فمن رب ابي ؟ قالت : نمروذ ، قال : فمن رب نمروذ ؟ فلطمته لطمة وقالت له : اسكت فسكت ، ورجعت الى زوجها وقالت له : يا آزر أرأيت الغلام الذي يتحدث به انه يغير دين اهل الارض ؟ قال: لا ، قالت : انه هو ابنك ثم اخبرته بأمره وبمكانه.

فأتاه ابوه ونظره وفرح به وقال له: انت ولدي ؟ فقال ابراهيم: نعم يا ابت ثم قال ابراهيم: يا ابتاه من ربي ؟ قال: امك قال: فمن رب امي ؟ قال أنا . قال فمن ربك؟ قال: نمروذ

قال : فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمة كادت ان تخرج عينيه وقال له: اسكت ، وذلك قوله تعالى : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) .

ثم ان ابراهيم قال لامه يوماً : اخرجيني من الغار ، فأخرجته عشاء . فلما خرج نظر وتفكر في خلق السماوات والارض ثم قال ان الذي خلقني ورزقني ويطعمني ويسقيني لربي ما لي إله غيره ثم نظر الى السماء فرأى كوا كبها ورأى كوكباً فقال : هذا ربي ، ثم اتبعه بصره حتى غاب وهو ينظر اليه فلما غاب قال : لا احب الآفلين وهذا يدل على كمال عقله وعلمه اذ الآفل لا يجوز ان يكون إلهاً ، ثم رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي فأتبعه بصره حتى غاب فسئمه وقال: انا لا احب الآفلين ورجع بفكره متوجهاً الى ربه وقال: (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : لئن لم يهدني ربي ان الهداية والتوفيق بيده سبحانه . ثم طلعت الشمس فقال : هذا ربي هذا اكبر فلما افلت سئمها وتوجه الى ربه بقلب سليم ووجه وجهه للحق بالصدق واليقين ونادى على قومه بالشرك المبين (وقال ياقوم اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) فنقله الله تعالى من علم اليقين الى عين اليقين .

ثم ان اباه ضمه اليه فشب شباباً حسناً ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم مجملا في جميع احواله حتى اكرمه الله تعالى بما اكرمه من الآيات البينات والكرامات الباهرات ثم البسه خلعة الخلة وجعله من اولي العزم من الرسل وجعله ابا الأنبياء وتاج الأصفياء ونصرة اهل الارض وشرف اهل السماء .

وكان مولده عليه السلام بكوثا من اقليم بابل من ارض العراق على ارجح الأقوال . وكان آزر ابو ابراهيم يصنع الأصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها ، فكان ابراهيم يقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوّب فيه رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته ، فحاجه قومه في دينه فقال لهم :

أتحاجوني في الله وقد هداني للتوحيد والحق ولا اخاف ما تشركون به ؟ وذلك انهم قالوا له ، احذر الأصنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لسبك إياها . فقال لهم : لا اخاف ما تشركون به إلا ان يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً – اي احاط علمه بكل شيء – أفلا تتذكرون .

ثم لما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يدعو قومه الى التوحيد دعا اباه فلم يجبه ، ودعا قومه وفشا امره واتصلت اخباره بنمروذ وهو ملك تلك البلاد . ثم جاهد ابراهيم قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه وقال : (أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الأقدمون * فانهم عدو لي إلا رب العالمين) فقالوا له : فمن تعبد انت ؟ قال : رب العالمين ، قالوا : نحن ربنا نمروذ ، قال : (انا عبد الله الذي خلقني فهو يهديني * والذي هو يطعمني ويسقيني * واذا مرضت فهو يشفيني * والذي يميتني ثم يحييني * والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين * رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي انه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم) .

قال : ففشا ذلك الخبر في الناس حتى بلغ النمروذ فدعاه اليه وقال : يا ابراهيم أرأيت الملك الذي بعثك وتدعو الناس الى عبادته وتذكر عظيم قدرته ما هو ؟ فقال له ابراهيم : هو ربي الذي يحيي ويميت . فقال نمروذ : انا احيي واميت قال ابراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل احدهما فأكون قد امته ثم اعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد احييته . قال فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى اعجز فان حجته كانت لازمة لأنه اراد بالاحياء إحياء الميت فكان له ان يقول فأحي من أمت ان كنت صادقاً فانتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى . (فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) اي تحير واندهش وانقطعت حجته .

ولما أراد ابراهيم عليه السلام ان يرى قومه ضعف الذي كانوا عليه وضعف الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وعجزها الزاماً للحجة عليهم فجعل ينتظر لذلك فرصة الى ان حضر عيد لهم . وكان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يعودون الى منازلهم .

فلما كان ذلك العيد قال آزر ابو ابراهيم لابراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا لأعجبك ديننا . فخرج معهم ، فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم فقعد ومضوا وهو صريع . فلما مضوا نادى في آخرهم ـ وقد بقي ضعفاء الناس ـ : (تالله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) . فسمعوا كلامه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة فاذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا تكون قد باركت الآلهة في طعامنا فنأكله .

فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الأصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم ـ على طريق الاستهزاء ـ (ألا تأكلون) ؟ فلم يجبه احد منهم . فقال لهم (ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين) وجعل يكسرهم بفاس في يده حتى لم يبق منهم إلا الصنم الكبير فعلق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى : (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون) .

فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذاً إلا كبيراً لهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) ـ اي المجرمين ـ قال الذين سمعوا كلام ابراهيم ـ حيث قال : وتالله لأكيدن اصنامكم . بعد ان تولوا مدبرين ـ : سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم وهو الذي نظن انه فعل هذا بآلهتنا . فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه قالوا : (فأتوا به على اعين الناس ـ اي ظاهراً ـ لعلهم يشهدون) عليه انه الذي فعله كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا)

غضب من ان تعبدوا معه هؤلاء الصغار وهو اكبر منهم فكسرهم . واراد ابراهيم عليه السلام بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله تعالى : (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) حتى يخبروا من فعل بهم ذلك .

روى ابو هريرة رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكذب ابراهيم ﷺ إلا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله عز وجل قوله : اني سقيم . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا . وقوله : لسارة هذه اختي . وليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله وانما اطلاق الكذب على هذا تجوز ، ويجوز ان يكون الله تعالى قد اذن له في ذلك لقصد الصلاح و توبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف عليه السلام حيث امر مناديه فقال لأخوته (ايتها العير انكم لسارقون) ولم يكونوا سرقوا ، فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا مانراه إلا كما قال انكم انتم الظالمون يعني بعبادتكم من لا يتكلم ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم (وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم ؟ .

فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً) ان عبدتموه ولا يضركم إن تركتم عبادته ، (اف لكم - اي نتناً لكم وقذراً لكم - ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) . فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) اي ان كنتم ناصرين لهـا .

فلما جمع نمروذ قومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحضيرة قيل طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب واوقدوا فيه النار ليطرحوه فيـه ، فلم يطيقوا لشدة حر النار ان يقربوها ولا علموا كيف يلقوه فيها فجـاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه . ثم عمـدوا الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق

مقيداً مغلولا والقوه في النار فكانت عليه برداً وسلاما ٠

ولما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال : يا ابراهيم إن اردت ان اخمد لك النار اخمدتها فقال : لا ٠ ثم أتاه خازن الرياح وقال له : إن شئت طيرت لك النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام : لا حاجة لي بكم حسبي الله ونعم الوكيل ٠

ولما القي في النار كان ابن ستة عشر سنة وقد مدحه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى : (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) والكلمات التي ابتلاه الله بها من اجل شرائع الاسلام واعز ما امتحن به اهل الايمان ، ولذلك مدحه الله تعالى بقوله : (وابراهيم الذي وفى) ومعنى التوفية هو الاتمام لما طلب به في دينه وماله ونفسه وولده فأتم الجميع على الوجه المطلوب ولما صنع له نمروذ المنجنيق والقاه في النار ظهر تحقيق الابتلاء وصدق الولاء وذلك انه لما نزل به من عدوه ما نزل ووضع في المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يارب هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما انت أعلم به ٠ فقال الله تعالى لجبريل : اذهب اليه فان استغاث بك فأغثه وإلا فاتركني وخليلي ٠ فتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهواء الى النار وقال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : اما اليك فلا ، واما الى الله فبلى ٠ قال جبريل : فسل ربك ٠ فقال ابراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي ٠

ولم يستعن بغير الله ، ولا جنحت همته لما سوى الله تعالى ٠ بل استسلم لحكمه مكتفياً بتدبيره عن تدبير نفسه فأثنى الله تعالى عليه بقوله : (وابراهيم الذي وفى) فقال الله تعالى للنار كوني بردا وسلاماً على ابراهيم ونجاه من النار ٠

قال كعب الاحبار رضي الله عنه : فجعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ فانه كان ينفخ في النار ٠ قال الثعلبي رضي الله عنه : فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها وسماها فويسقة ٠

وعن علي رضي الله عنه انه قال : ان البغال كانت تتناسل وكانت

اسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم ، فدعا عليها ابراهيم فقطع الله نسلها ·

وقال بعض العلماء : لو لم يقل الله سبحانه : « وسلاماً » لأهلكه بردها ·
وقيل انه لم يبق في ذلك الوقت نار تشتعل بمشارق الارض ولا بمغاربها إلا خمدت ظانة انها المعنية بالخطاب ·

وكان ابراهيم حين وضع في المنجنيق ورمي به جردت عنه ثيابه ولم يترك عليه سوى السراويل فقصد بعض السفهاء ان ينزع السراويل عنه فشلت يداه· وكان مقيدا بقيود فتلقاه جبريل عليه السلام ولم يضره الم الهوى ،فلما استقر على الارض وهي إذ ذاك جمر احمر تتلهب وتتوقد فلم يؤثر فيه شيء من حرارتها وظهر للناظرين اليه ان الارض التي سقط عليها مخضرة مونقة وجليسه جليس صالح حسن الوجه والهيئة كأحسن ما رآه راء ثم ألبسه قميصاً من ثياب الجنة وفك قيده وآنسه وقال له جليسه : ربك يقرئك السلام ويقول لك : اما علمت ان النار لا تضر احبابي ؟ فقال الخليل عليه السلام : حسبي الله ونعم الوكيل ·

وكان عليه السلام اول من جرد ثيابه في سبيل الله تعالى فلذلك كساه الله في ذلك المحل قميصاً من الجنة وادخر له كسوة يكتسي بها اول الخلق يوم القيامة كل ذلك وهو بمشهد من الخلق ينظرون اليه · فلما رآه قومه وقد اكرمه الله بما اكرمه به آمن بالله جمع كثير في السر خوفاً من نمروذ ·

وخرج ابراهيم من مكانه وهو يمشي وفارقه جبريل عليه السلام فأقبل نحو منزله فأرسل اليه نمروذ يسأله عن كسوته وعن رفيقه فقال له : انه ملك ارسله الي ربي وقص عليه قصته · فقال له نمروذ : ان إلهك الذي تعبده لإله عظيم واني مقرب قرباناً اليه وذلك لما رأيت من عزته وقدرته فيما صنع بك حين ابيت إلا عبادته · فقرب اربعة آلاف بقرة · ثم احترم ابراهيم بعد ذلك وكف عنه ·

وقد عذب الله النمروذ بارسال البعوض عليه وعلى حاشيته وجيوشه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاماً ،ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمروذ

فلبثت في منخره اربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها ، فكان يضرب رأسه بالمرازب في تلك المدة كلها حتى اهلكه الله تعالى بها وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى خربت.

قال الثعلبي رضي الله عنه : لما حاجه ابراهيم في ربه قال نمروذ : ان كان ما تقول حقاً فلا انتهي حتى اعلم ما في السماوات . فبنى صرحاً عظيماً ببابل ورام الصعود منه الى السماء لينظر الى إآله ابراهيم عليه السلام .

واختلف في طول الصرح في السماء فقيل خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان .

ثم عمد الى اربعة افراخ من النسور فأطعمها اللحم والخبز حتى كبرت ثم قعد في تابوت ومعه غلام له قد حمل القوس والنشاب معه وجعل لذلك التابوت باباً من اعلاه وباباً من اسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصى فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت النسور طمعاً في اللحم حتى ابعدت في الهواء وحالت الريح بينها وبين الطيران . فقال لغلامه : افتح الباب الأعلى فانظر . ففتحه فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ، ونودي ايها الطاغي أين تريد ؟ فعند ذلك امر غلامه فرمى سهماً فعاد السهم اليه وهو ملطخ بالدم فقال كفيت شر إآله السماء .

واختلف في ذلك السهم بأي شيء تلطخ . فقيل : سمكة في السماء من بحر معلق في الهواء ، وقيل : اصاب طيرا من الطيور فتلطخ بدمه .

ثم امر نمروذ غلامه ان يصوب العصي وينكس اللحم . ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت ، فسمعت الجبال خفقان هبوط التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث في السماء حادث او ان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى : (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) .

ثم ارسل الله تعالى على صرح نمروذ ريحاً فألقت رأسه في البحر وانكفأت بيوتهم واخذت نمروذ الرجفة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط الصرح من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة بها .

واستجاب لابراهيم عليه السلام جماعة من قومه حين رأوا صنع الله عز وجل من برد النار وغير ذلك من المعجزات ، فآمن به لوط وهو ابن اخيه وآمنت به سارة زوجته . وقد ذكر المؤرخون والمفسرون قصة ابراهيم عليه السلام مع نمروذ واخباره وما وقع له بأبسط من هذا . والغرض في هذا الكتاب الاختصار والله المستعان .

﴿ ذكر هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام ﴾

لما نجى الله تعالى خليله من نار النمروذ الجبار استجاب له رجال وآمن معه قوم على خوف من نمروذ وملأه . ثم ان ابراهيم ومن كان آمن معه من اصحابه اجمعوا على فراق نمروذ وقومهم (فقالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) ورحل هو واهله ومن معه من قومه ونزلوا بالرها . ثم سار الى مصر ويقال الى بعلبك وصاحبها يومئذ فرعون ، فذكر لفرعون حسن سارة وجمالها ـ زوجة الخليل عليه السلام وهي ابنة عمه هاران ـ فسئل ابراهيم عنها فقال هذه اختي ـ يعني في الاسلام ـ خوفاً ان يقتله . فقال له : زينها وارسلها إلي .

فأقبلت سارة الى الجبار ، وقام ابراهيم يصلي . فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها واراد ان يتناولها بيده فأيبس الله يده وجله . فلما تخلى عنها اطلق الله يده ورجله . فعاد اليها فصار له كالاولى ، حتى صار له ذلك مراراً . وكان هذا تكرمة منه تعالى . قال : فأطلقها ووهبها هاجر .

وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وبين سارة حتى ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها كرامة لها وتطييباً لقلب ابراهيم عليه السلام .

ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام ، واقام بين الرملة وايليا فهو اول من هاجر من وطنه في ذات الله تعالى حفظاً لايمانه . ولما نزل بالموضع الذي يعرف بوادي السبع وهو شاب لا مال له ، فأقام حتى كثر ماله وشاخ وضاق على اهل البلد مواضعهم من كثرة ماله ومواشيه . فقالوا له : يا شيخ ارحل عنا فقد آذيتنا بمالك ايها الشيخ الصالح ـ وكانوا يسمونه بذلك ـ . فقال لهم : نعم ارحل عنكم .

فلما هم بالرحيل قال بعضهم لبعض : انه جاء عندنا وهو فقير وقد جمع عندنا هذا المال كله فلو قلنا له اعطنا شطر مالك وخذ الشطر . فقالوا له ذلك ، فقال لهم : يا قوم صدقتم جئتكم وكنت شاباً واليوم صرت شيخاً فردوا عليّ شبابي وخذوا ما شئتم من مالي . فخصمهم ورحل عنهم .

فلما كان وقت ورد الغنم الماء جاؤا يستقون فاذا الآبار قد جفت ، فقال بعضهم لبعض : الحقوا الشيخ الصالح الذي كنتم في بركته واسألوه الرجوع فانه إن لم يرجع هلكنا وهلكت مواشينا . فلحقوه فوجدوه في الموضع المسمى بالغار وسألوه الرجوع ، فقال : اني لست براجع ودفع لهم سبع شياه من غنمه وقال لهم : اذهبوا بها معكم فانكم اذا اوردتموها البئر ظهر لكم الماء حتى يكون عيناً تجري فاملؤا واشربوا واسقوا مواشيكم ولا يقربها امرأة حائض .

فرجعوا بالاغنام ، فلما وقفت على البئر ظهر لهم الماء فكانوا يشربون منها وهي على حالها لم تنقص ابداً ، واستمرت على تلك الحالة حتى اتت امرأة حائض واغترفت منها فغاض ماؤها .

ورحل ابراهيم عليه السلام ونزل اللجون واقام بها ما شاء الله تعالى . ثم اوحى الله اليه ان انزل حبرى . فنزل بها ، ونزل عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام بحبرى وهما يريدان قوم لوط عليه السلام . فخرج ابراهيم عليهم ليذبح لهم عجلاً فانفلت العجل منه ولم يزل حتى دخل مغارة حبرون فنودي يا ابراهيم سلم على عظام أبيك آدم عليه السلام . فوقع ذلك في نفس ابراهيم عليه السلام ثم انه ذبح العجل

وقربه اليهم . وكان من شأنه ما نص الله عز وجل في كتابه العزيز وسنذكر ملخص القصة عند ذكر سيدنا اسحاق عليه السلام .

فمضى ابراهيم معهم الى قرب ديار قوم لوط فقالوا له اقعد هاهنا فقعد وسمع صوت الديكة في السماء فقال : هـذا هو الحق اليقين . فأيقن بهلاك القوم . فسمي ذلك الموضع مسجد اليقين ، وهو على نحو فرسخ من بلد سيدنا ابراهيم الخليل . ثم رجع ابراهيم الخليل عليه السلام .

وسيأتي ذكر القصة عند سيدنا لوط عليه السلام .

﴿ قصة بناء الكعبة المشرفة وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام ﴾

قد تقدم ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سار الى مصر ومعه زوجته سارة ووهبها فرعون مصر هاجر فلما قدم الى الشام واقام بين الرملة وايليا وكانت سارة لا تحبل وهبت هاجر لابراهيم عليه السلام فواقعها فحملت وولدت اسماعيل عليه السلام. ومعنى اسماعيل بالعبرانية : مطيع الله . وكانت ولادته لمضي ست وثمانين سنة من عمر ابراهيم عليه السلام .

فغارت سارة وحزنت لذلك فوهبها الله تعالى اسحاق ولدته ولها تسعون سنة . ثم غارت سارة من هاجر ومن ولدها اسماعيل وطلبت من ابراهيم ان يخرجهما عنها . فأخذهما ابراهيم وسار بهما الى ارض الحجاز وتركهما بمكة وذلك كله باذن الله تعالى ، وليس بمكة يومئذ احد ولا بها ماء . فوضع هـاجر واسماعيل ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفل ابراهيم عليه السلام منطلقاً .

فنهضت ام اسماعيل خلفه وقالت : يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيـه أنيس ولا شيء ؟ وقالت له ذلك مراراً ، فلم يلتفت اليها . فقالت له: الله آمرك بهذا ؟ فقال : نعم . فقالت : اذاً لا يضيعنا ربنا ثم رجعت .

وانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث انهما لا يرونه استقبل القبلة بوجهه ودعا بهذه الدعوات ورفع يديه (فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

واما ام اسماعيل فجعلت ترضع اسماعيل عليه السلام وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما في السقاء فعطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر اليه وهو يتلوى من شدة العطش ، فانطلقت كراهة ان تنظر اليه وهو على تلك الحالة فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض اليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي وجعلت تنظر اليه املها تنظر احداً ، فلم تنظر احداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي وهي تنظر لخالقها ، ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احداً ، فلم تر احداً . ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلذلك سعى الناس بينهما .

فلما اشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت مه ـ تريد نفسها ـ . ثم تسمعت فسمعت الصوت ثانياً ، فقالت قد اسمعت ان كان عندك غوث فأغث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه حتى ظهر الماء . فجعلت تحوطه وتقول بيديها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تقول ـ بعدما تغرف ـ زم زم.

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم ـ او قال لو لم تغرف من الماء ـ لكان زمزم عيناً معيناً .

قال فشربت وارضعت ابنها ، فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان هاهنا بيت الله الحرام وسيبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .

ثم نزل هناك ابيات من جرهم . وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية

منهم ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت امه هاجر . فجاء ابراهيم عليه السلام فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا الصيد . ثم سألها عن عيشهم فقالت نحن بشر ، وشكت اليه بعلها . فقال لها : اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه .

فلما جاء اسماعيل اخبرته بما كان ، قال ذلك أبي امرني ان افارقك فالحقي بأهلك . فطلقها وتزوج باخرى منهم .

فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله تعالى ثم اتاهم بعد ذلك فلم يجده فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا صيداً . فقال لها : كيف انتم ؟ فقالت : نحن بسعة وبخير من الله تعالى ، واثنت على بعلها خيراً ، وشكرت الله تعالى . فقال لها : ما طعامكم ؟ قالت اللحم . قال فما شرابكم ؟ قالت الماء . فقال اللهم بارك لهم في اللحم والماء . ثم قال لها اذا جاء زوجك فاقرئي عليه مني السلام وأمريه ان يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل اخبرته بما قال . فقال ذلك أبي وأنت العتبة أمرني ان امسكك .

ثم انه لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك - وكان اسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم - فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد . والولد بالوالد ثم شرعا في بناء الكعبة .

وقد اختلف في أول من بنى الكعبة : فقيل الملائكة باذن الله تعالى . وقيل آدم عليه السلام ، ولكن اندرس في زمان الطوفان ، ثم اظهره الله تعالى لابراهيم عليه السلام حتى بناه . وقصة بناء ابراهيم عليه السلام مشهورة وملخصها

ان ابراهيم عليه السلام لما سار من الشام وقدم مكة قال يا اسماعيل ان الله امرني ان ابني له بيتاً هاهنا ، واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها . فقال اسماعيل السمع والطاعة لما قال ربنا . قال ابراهيم وقد امرك ان تعينني . فقال اسماعيل إذاً افعل . فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة فكانا كلما بنيا دعوا فقالا : (ربنا تقبل منا

انك انت السميع العليم) . وكان وقوف ابراهيم على حجر وهو يبني وذلك الموضع هو مقام ابراهيم .

واستمر البيت على ما بناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه . وكان بناء الكعبة بعد مضي مائة سنة من مولد ابراهيم عليه السلام ، فيكون بالتقريب بين بناء الكعبة وبين الهجرة الشريفة الفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة ، فيكون الماضي من بناء ابراهيم الخليل الكعبة الشريفة الى آخر تسعمائة سنة من الهجرة النبوية ثلاثة آلاف وستمائة وثلاث وتسعين سنة والله أعلم .

وسيأتي ذكر ما وقع في الكعبة الشريفة من الهدم والبناء في السيرة الشريفة المحمدية ، وفي ذكر بناء عبد الملك بن مروان لمسجد بيت المقدس ان شاء الله تعالى .

﴿ ذكر قصة الذبيح ﴾

ثم امر الله ابراهيم عليه السلام ان يذبح ولده ، وفداه الله تعالى بكبش .

وقد اختلف في الذبيح هل هو اسحاق ام اسماعيل . فالكتابيون يقولون : انه اسحاق . وهو قول علي وابن مسعود و كعب ومقاتل وقتادة وعكرمة والسدي .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو اسماعيل . وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد . وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال ان الذبيح اسحاق فقد احتج بقوله عز وجل : (فبشرناه بغلام حليم) فلما بلغ معه السعي أمره بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد غير اسحاق . ومن قال ان الذبيح اسماعيل احتج له بما قيل ان ذكر البشرى باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى : (وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين) فدل على ان المذبوح غيره .

واما قصة الذبيح : فقال البغوي قال السدي : لما دعا ابراهيم عليه السلام وقال (رب هب لي من الصالحين) وبشر به فقال : هو اذاً ذبيح ، فلما ولد وبلغ معه السعي قال له اوف بنذرك . هذا هو السبب في امر الله تعالى اياه بذبح ابنه فعند ذلك قال لابنه : انطلق بنا لنقرب قرباناً لله عز وجل . فأخذ سكيناً وحبلاً وانطلق معه حتى ذهب بين الجبال فقال له الغلام : يا أبت أين قربانك ؟ فقال (يابني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر . . . فلما اسلما ـ اي انقادا لأمر الله تعالى وخضعا ـ وتله للجبين) ـ اي صرعه على الأرض ـ فقال له ابنه الذي أراد ذبحه : يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص اجري وتراه امي فتحزن علي واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرىء عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فعسى أنه يكون اسلاء لها عني . فقال له ابراهيم : نعم العون انت يا بني على امر الله تعالى .

قال ففعل ابراهيم ما امره الغلام وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي ثم وضع السكين على حلقه وجعل يجرها على حلقه فلا تقطع فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني على وجهي فانك إذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك الرأفة فتحول بيني وبينك وبين امر الله تعالى وأنا لا انظر الشفرة فأجزع . ففعل ابراهيم ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . فنظر ابراهيم فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش املح اقرن وقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه . فكبر جبريل عليه السلام وكبر الكبش وكبر ابراهيم عليه السلام وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه . وكان ذلك الذبيح كبشاً رعى في الجنة اربعين خريفاً .

قال القرطبي : سئل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجلا كان من علماء اليهود ـ اسلم وحسن اسلامه ـ أي ابني ابراهيم امر بذبحه ؟ فقال : اسماعيل .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على ان يكون ابو كم هو الذبيح ويزعمون انه اسحاق ابوهم ٠

وروى الثعلبي عن الصهاجي قال : كنا عند معاوية فذكروا اسماعيل الذبيح او اسحاق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل وقال له يابن الذبيحين ٠ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد اولاده ٠ فخرج السهم على ولده عبد الله فمنعه اخواله من ذلك وقالوا له بل افد ولدك بمائة من الابل ففداه ٠ والثاني اسماعيل عليه السلام ٠

ومن زعم ان الذبيح اسحاق فيقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من ايليا ٠ وهي بيت المقدس وزعمت اليهود انه كان على صخرة بيت المقدس ٠ ومن يقول ان الذبيح اسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة المشرفة ٠

وارسل الله اسماعيل الى قبائل اليمن والى العماليق ٠ وزوج اسماعيل ابنته من ابن اخيه العيص بن اسحاق ٠ وعاش اسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ومات بمكة ودفن عند قبر امه هاجر بالحجر ٠ فكانت وفاته بعد وفاة ابيه ابراهيم عليه السلام بثمان واربعين سنة ٠

ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر تزوج ابراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه ستة وهم يقشان وزمران ومدان ومديان ويشق وشرخ ٠

ثم تزوج امرأة اخرى فولدت له خمسة بنين ٠ فكان جميع اولاد ابراهيم ثلاثة عشر ولد مع اسماعيل واسحاق ، فكان اسماعيل اكبر اولاده ٠ فآثر اسماعيل ارض الحجاز ، واسحاق ارض الشام ، وفرق سائر ولده في البلاد والله اعلم ٠

﴿ ذكر شراء المغارة ﴾

عن كعب الاحبار رضى الله عنه قال : اول من مات ودفن في حبرون سارة وذلك انها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعاً ليقبرها فيه ورجا ان يكون موضعاً بقرب حبرى ، فمضى الى عفرون وكان ملك الموضع وكان مسكنه حبرى فقال له ابراهيم بعني موضعاً اقبر فيه من مات من اهلي . فقال له عفرون الملك قد ابحتك فادفن موتاك حيث شئت من ارضي . فقال ابراهيم عليه السلام اني لا احب ذلك إلا بالثمن . فقال له ايها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت . فأبى عليه .

وطلب منه المغارة فقال له : ابيعكها بأربعة آلاف درهم كل درهم وزن خمسة دراهم وكل مائة درهم ضرب ملك . واراد بذلك التشديد عليه كي لا يجد شيئاً من ذلك فيرجع . . . الى قوله : فخرج ابراهيم الخليل من عنده فاذا جبريل عليه السلام واقف فقال له يا ابراهيم ان الله قد سمع مقالة الجبار لك وهذه الدراهم ادفعها اليه فانها كما طلب . قال فأخذ ابراهيم عليه السلام الدراهم ودفعها الى الجبار . فقال له من أين لك هذه الدراهم ؟ فقال له من عند إلٰهي وخالقي ورازقي . فأخذها منه .

وحمل ابراهيم عليه السلام سارة ودفنها في المغارة ، فكانت اول من دفن فيها ، وتوفيت ولها من العمر مائة وسبعة عشر سنة . وقيل مائة وسبع وعشرون سنة .

ثم لما توفى الخليل عليه السلام دفن بحذائها من جهة الغرب . وسنذكر تاريخ وفاته فيما بعد ان شاء الله تعالى . ثم توفيت ربقة زوجة اسحاق فدفنت فيها بحذاء سارة من جهة القبلة . ثم توفي اسحاق عليه السلام فدفن بحذاء زوجته من جهة الغرب .

ثم توفى يعقوب عليه السلام فدفن عند باب المغارة وهو بحذاء قبر الخليل

عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال . ثم توفيت ليقا زوجته فدفنت بحذائه من جهة الشرق. فاجتمع اولاد يعقوب والعيص واخوته وقالوا ندع باب المغارة مفتوحاً وكل من مات منا دفناه فيها . فتشاجروا فرفع واحد من اخوة العيص يده ولطم العيص لطمة فسقط رأسه في المغارة . وقيل كان الضارب للعيص واحد من اولاد يعقوب . ولما سقط رأسه في المغارة حملوا جثته ودفنوها بغير رأس وبقى الرأس في المغارة . وحوطوا عليها حائطاً وعملوا فيها علامات القبور في كل موضع وكتبوا عليه هذا قبر ابراهيم ، وهذا قبر زوجته سارة ، وهذا قبر اسحاق ، وهذا قبر زوجته ريقة ، وهذا قبر يعقوب ، وهذا قبر زوجته ليقا .

وخرجوا وطبقوا الباب. وكل من جاء اليه يطوف به ولا يصل اليه احد حتى جاءت الروم بعد ذلك ففتحوا له باباً ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة . ثم اظهر الله الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار وهدموا الكنيسة وبالقرب من مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قرية تسمى سعير وهي الفاصلة بين أعمال القدس والخليل بها قبر بداخل مسجدها يقال انه قبر العيص عليه السلام . وقد اشتهر ذلك عند الناس وصاروا يقصدونه للزيارة . والله أعلم .

وروي عن وهب بن منبه انه قال : اصبت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام مكتوباً حلقة في حجر :

غر جهولاً أمله يموت من جا أجله لن تغني عنه حيله

زاد بعض اهل العلم :

والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله .

وحدث محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد الخليل عليه السلام قال : سمعت محمد بن اسحاق النحوي يقول : خرجت مع القاضي ابي عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فأقمنا به ثلاثة ايام ، فلما كان في اليوم الرابع جاء الى النقش المقابل لقبر ريقة زوجة اسحاق عليه السلام فأمر بغسله حتى

ظهرت كتابته وتقدم الي بأن انقل ماهو مكتوب في الحجر الى درج كان معنا على التمثيل فنقلته . ورجعنا الى الرملة فأحضر اهل كل لسان ليقرأه عليه فلم يكن فيهم احد يقرأه ولكنهم اجمعوا على انهذا بلسان اليوناني القديم وانهم لايعلمون انه بقي احد يقرأه غير شيخ كبير بحلب فعمدوا الى احضاره . فلما حضر عنده احضرني فاذا هو شيخ كبير فأملى عليّ الشيخ المحضر من حلب ما نقلته في الدرج على التمثيل أوله : بسم إلهي إله العرش القاهر الهادي الشديد البطش العليم الذي لا يحد هذا قبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، والعلم الذي بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته سارة ، والعلم الاقصى الموازى لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب والعلم الذي يليه من الشرق قبر ايليا زوجته صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وكتبه العيص بخطه . واسم زوجة يعقوب اليا ، وفي بعض الكتب ليا ، والمشهور ليقا . والله اعلم .

وهذا الحجر المنقوش موجود الى يومنا هذا ، وقد اشتهر عند الناس مكانه بمقام آدم . ويقال انه عند رأس آدم عليه السلام .

قال الحافظ بن عساكر : قرأت في بعض كتب أصحاب الحديث ونقلت منها قال محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام ـ وكان قاضياً بالرملة في ايام الراضي بالله في سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة وما بعدها ، وله رواية في الحديث سمع من جماعة وحدث عن جماعة من أهل العلم ـ قال : سمعت محمد بن احمد بن علي بن جعفر الانباري يقول: سمعت ابا بكر الاسكافي يقول : صح عندي ان قبر ابراهيم عليه السلام في الموضع الذي هو الآن فيه لما رأيت وعاينت وذلك انني وقفت على السدنة وعلى الموضع اوقافاً كثيرة تقرب من نحو اربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله عز وجل وطلبت ان اعلم صحة ذلك حتى ملكت قلوبهم بما كنت عملت معهم من الجميل والكرامة والملاطفة والاحسان اليهم واطلب بذلك ان اصل الى ما يصح وحاك في صدري فقلت لهم يوماً من الأيام ـ وقد جمعتهم عندي

بأجمعهم ـ : اسألكم ان توصلوني الى باب المغارة كي انزل الى حضرة الأنبياء صلوات الله عليهم واشاهدهم .

فقالوا : قد اجبناك الى ذلك لأن لك علينا حقاً واجباً ولكن لا يمكن في هذا الوقت لأن الطارق علينا كثير ولكن حتى يدخل الشتاء . فلما دخل كانون الثاني خرجت اليهم فقالوا اقم عندنا حتى يقع الثلج . فأقمت عندهم حتى وقع الثلج وانقطع الطارق عنهم فجاؤا الى صخرة ما بين قبر ابراهيم الخليل وقبر اسحاق عليهما السلام وقلعوا البلاطة ونزل رجل منهم يقال له صعلوك ـ وكان رجلا صالحاً فيه خير ولين فنزلت انا معه ، فمشى وانا من ورائه فنزلنا اثنين وسبعين درجة فاذا عن يميني دكان عظيمة من حجر اسود واذا عليه شيخ خفيف العارضين طويل اللحية ملقى على ظهره وعليه ثوب اخضر ، فقال لي صعلوك : هذا اسحاق عليه السلام .

ثم سرنا غير بعيد واذا بدكان اكبر من الاولى وعليها شيخ ملقى على ظهره وله شيبة قد اخذت ما بين منكبيه ابيض الرأس واللحية والحاجبين واشفار العينين وتحت شيبته ثوب اخضر قد جلل بدنه والرياح تلعب بشيبته يميناً وشمالا . فقال لي صعلوك : هذا ابراهيم الخليل عليه افضل الصلاة واتم التسليم . فسقطت على وجهي ودعوت الله عز وجل بما فتح علي .

ثم سرنا واذا بدكان لطيفة وعليها شيخ لطيف آدم شديد الادمة كث اللحية وتحت منكبيه ثوب اخضر قد جلله فقال لي صعلوك : هذا يعقوب النبي . ثم اننا عدلنا يساراً لننظر الى الحرم . فحلف ابو بكر الاسكافي ما ان تممت الحديث .

قال : فقمت من عنده في الوقت الذي حدثني فيه من وقتي الى مسجد ابراهيم عليه السلام ، فلما وصلت الى المسجد سألت عن صعلوك فقيل لي : الساعة يحضر . فلما جاء قمت اليه وجلست عنده وطارحته بعض الحديث فنظر الي بعين منكر للحديث الذي سمعه ، فأومأت اليه بلطف تخلصت به من الاثم ثم قلت له : ان ابا بكر الاسكافي عمي ، فأنس عند ذلك . فقلت : ياصعلوك بالله عليك لما عدلتا

نحو الحرم ماذا كان وما الذي رأيتما ؟ فقال : ما حدثك ابو بكر . فقلت : اريد أن اسمع منك ايضاً .

فقال : سمعنا من نحو الحرم صائحاً يصيح وهو يقول: تجنبوا الحرم رحمكم الله . فوقعنا مغشياً علينا ، ثم افقنا وقد ايسنا من الحياة وايست الجماعة منا . قال: فقال لي الشيخ . وعاش ابو بكر الاسكافي بعد ما حدثني زماناً يسيراً ومات . وكذلك صعلوك رحمهما الله تعالى .

وروى الحسن بن عبد الواحد بن رزق الرازي قال : قدم ابو زرعة القاضي بفلسطين الى مسجد ابراهيم عليه السلام فجئت لأسلم عليه وقد قعد عند قبر سارة في وقت الصلاة فدخل شيخ فدعاه وقال له ياشيخ ايما هو قبر ابراهيم بين هؤلاء ؟ فأومأ الشيخ بيده الى قبر ابراهيم عليه السلام ثم مضى الشيخ . وجاء شاب فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم ومضى . ثم جاء صبي فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم عليه السلام . فقال ابو زرعة : أشهد ان هذا قبر ابراهيم الخليل عليه افضل الصلاة والسلام لا شك فيه ولا خفاء نقله الخلف عن السلف كما قال مالك بن انس رضي الله عنه : ان نقل الخلف عن السلف اصح الحديث لأن الحديث ربما يقع فيه الخطأ والنقل لا يقع فيه خطأ ولا يطعن فيه إلا صاحب بدعة ومخالف . ثم قام ودخل الى داخل فصلى الظهر ثم رحل من الغد .

وقال ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسي في كتاب البدائع في تفصيل مملكة الاسلام : حبرى هي قرية ابراهيم الخليل عليه السلام ، فيها حصن عظيم يزعمون انه من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة ووسطه فيه حجارة اسلامية على قبر ابراهيم عليه السلام . وقبر اسحاق قدام في المغطى . وقبر يعقوب في المؤخر . عند كل نبي امرأته . وقد جعل الحصن مسجداً وبنى حوله دور للمجاورين به واتصلت العمارة به من كل جانب ولهم قناة ماء ضعيفة ، وبهذه القرية الى نصف مرحلة من كل جانب قرى وكروم واعناب وتفاح وعامتها تحمل الى مصر

وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون ، وهم يقدمون العدس بالزيت لكل من يأتي ويحضر عندهم من الفقراء ويدفع الى الاغنياء اذا أخذوا .

وحكى الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه في تاريخه في وقائع سنة ثلاثة عشر وخمسمائة : ان في تلك السنة ظهر قبر ابراهيم عليه السلام وقبر ولديه اسحاق ويعقوب عليهما السلام ايضاً بالقرب من بيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم ، وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة . ولم يذكر كيف كان ظهور ذلك .

وفيه اشكال لأن في التاريخ المذكور كان بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام في يد الافرنج وليس للمسلمين عليها تكلم . ولا اعلم هل كانت الافرنج يمكنون المسلمين من البلاد حين استيلائهم عليها ؟ والله اعلم بحقيقة الحال .

ذكر ختانه وتسروله عليه السلام وشيبته

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم ـ وهو بالتخفيف والتشديد ـ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ربط ابراهيم عليه السلام غرلته وجمعها اليه وحد قدومه وضرب عليه بعمود كان معه فندرت بين يديه بلا ألم ولا دم ، وختن اسماعيل عليه السلام وهو ابن ثلاثة عشرة سنة ، وختن اسحاق وهو ابن سبعة أيام .

وعن عكرمة انه اختتن ابراهيم الخليل عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة فأوحى الله تعالى اليه : انك قد اكملت ايمانك إلا بضعة من جسدك فالقها . فختن نفسه بالفاس . وسبب ختانه انه أمر بقتال العمالقة فقاتلهم فقتل خلق كثير من الفريقين فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فأمر بالختان ليكون علامة للمسلم . وختن نفسه بالقدوم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان ابراهيم اول من لبس السراويل وذلك انه كان عليه السلام كثير الحياء وكان من حيائه يستحي ان ترى الأرض مذاكيره فاشتكى الى الله عز وجل . فأوحى الله الى جبريل عليه السلام فهبط عليه بخرقة من الجنة ففصلها جبريل عليه السلام سراويل وقال له : ادفعها الى سارة ـ وكان اسمها يسارة ـ ومرها ان تخيطه . فلما خاطته ولبسه ابراهيم قال: ما أحسن هذا وما أستره يا جبريل ؟ فانه نعم الستر للمؤمن . فكان ابراهيم عليه السلام اول من لبس السراويل واول من فصل جبريل ، واول من خاط سارة بعد ادريس عليه السلام .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب ، وكان الرجل يأتي القوم وفيهم الوالد والولد فيقول : أيكم الأب من الابن ؟ . فقال ابراهيم: رب اجعل لي شيئاً اعرف به . فأصبح رأسه ولحيته ابيضين .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : اول من سمانا المسلمين ابراهيم عليه السلام ، وهو اول من ضرب بالسيف من الأنبياء وكسر الأصنام واختتن ولبس السراويل والنعلين ورفع يديه في الصلاة في كل خفض ورفع وصلى اول النهار اربع ركعات جعلهن على نفسه . فسماه الله وفياً فقال تعالى : (وابراهيم الذي وفى) . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هي الأربع في اول النهار ، وهو اول من أضاف الضيف وثرد الثريد وفرق الشعر واستنجى بالماء وقلم الظفر وقص الشارب ونتف الابط وهو اول من استاك وتمضمض واستنشق بالماء وحلق العانة واول من صافح وعانق وقبل بين العينين موضع السجود واول من شاب فقال ما هذا ؟ فقال الله تعالى : هذا وقار . فقال ابراهيم : يا رب زدني وقاراً . فما برح حتى ابيضت جميع لحيته .

واول من جر الذيل هاجر امرأته ، فصارت سنة في النساء . فغارت منها سارة وحلفت انها تملأ يدها من دمها فقال ابراهيم عليه السلام : خذيها واختنيها كي يكون ذلك سنة بعدكما وتخلصي من يمينك . ففعلت فكانت هاجر اول من اختتن

من النساء وابراهيم اول من اختتن من الرجال ·

﴿ ذكر رأفته بهذه الامة صلى الله عليه وسلم ﴾

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال لي : يا محمد اقرىء امتك مني السلام وقل لهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر · وفي رواية فرأيت ابراهيم الخليل فرحب بي وسهل ثم قال لي : مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال: وما غراس الجنة ؟ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله · وفي رواية فقال ابي ابراهيم : مرحباً بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا نبي الله انك لاق ربك الليلة وان امتك هي آخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك او جلها في امتك فافعل .

﴿ ذكر ضيافته واكرامه للضيف واخلاقه الكريمة ﴾

وروي ان ابراهيم عليه السلام كان اذا اراد ان يأكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يأكل معه ، وكان يكنى بأبي الضيفان · ولصدق نيته في الضيافة دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا ينقضي يوم ولا ليلة إلا ويأكل عنده جماعة ·

وحكي : ان رجلا شريف القدر من اهل دمشق ذا وجاهة كان يزور الخليل عليه السلام في كل حين وكان يؤتى بالضيافة التي جرت العادة بها لزواره فيردها ولا يأكل منها شيئاً · فجاء مرة وهو ملهوف وجعل يطلبها ويجد في طلبها حتى قيل انه كان يتتبع ما بقي في القصع ويلتقط ما يجد من لباب الخبز وفتاته فيأكله · فقيل له في ذلك ، فقال رأيت الخليل صلى الله عليه وسلم فقال لي : ما اكلت ضيافتنا فنحن ما قبلنا منك زيارتك ·

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ان الله تعالى وسع على ابراهيم

الخليل عليه السلام في المال والخدم ، فاتخذ بيتاً لضيافته وجعل له بابين يدخل الغريب من احدهما ويخرج من الآخر ووضع في ذلك البيت كسوة للشتاء و كسوة للصيف ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس ان كان عرياناً ، وابراهيم يجدد في كل حين مثل ذلك .

وروي ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قرب العجل الى الضيوف ورأى ايديهم لا تصل اليه قال لم لا تأكلون ؟ قالوا : لا نأكل طعاماً إلا بثمنه . قال : أوليس معكم ثمنه ؟ قالوا : وأنى لنا ثمنه ؟ قال : تسمون الله تبارك وتعالى اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم . قالوا : سبحان الله لو كان ينبغي لله ان يتخذ خليلا من خلقه لاتخذك يا ابراهيم خليلا . فاتخذ الله تعالى ابراهيم خليلا .

وقيل : ان الملائكة لما رأت ازدياد ابراهيم في الخير واقبال الدنيا عليه ولم يشغله ذلك عن الله طرفة عين تعجبت من ذلك وقالت : ان ظاهره حسن وانه لا يؤثر على ربه شيئاً فهل هو في قلبه هكذا ؟ . فعلم الله سبحانه وتعالى ذلك منهم قبل ما تكلموا به فأمر الله ملكين من اجلاء الملائكة ـ وقيل انهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ـ ان ينزلا عليه ويستضيفاه ويذكراه بربه ويرفعا صوتهما عنده بالتسبيح والتقديس لله تعالى . فنزلا على صورة بني آدم فسألاه الاذن لهما في المبيت عنده فأذن لهما واكرم نزلهما ورفع محلهما .

فلما كان في بعض الليل ـ وهو يسامرهما في الكلام ـ إذ رفع احدهما صوته وقال : سبحان ذي الملك والملكوت ، ثم رفع الآخر صوته وقال : سبحان الملك القدوس ـ بصوت لم يسمع مثله ـ . قال : فاغمي على ابراهيم عليه السلام ولم يملك نفسه من الوجد والطرب . ثم افاق بعد ساعة وقال لهما : اعيدا عليَّ ذكركما . فقالا له : انا لم نفعل حتى تجعل لنا شيئاً معلوماً . فقال لهما : خذا ما تختارا من مالي . فقالا له : اعطنا ما شئت . فقال : لكما جميع مالي من الغنم ـ وكان شيئاً كثيراً ـ فرضيا بذلك . ثم رفعا صوتهما وقالا كالاولى . فأغمي عليه ، فلما افاق وعلم انهما

لايقولان شيئاً إلا بعلوم قال : لكما جميع مالي من البقر . فرضيا واعادا ، ولم يزالا يكرران عليه الذكر ويتحلى به وهو يستغرق في لذاته حتى اعطاهما جميع موجوداته من ماله واهله ولم يبق إلا نفسه فباعها لهما ورضى ان يكون في رقهما وجعل في عنقه شداداً وسلمهما نفسه وقال لهما : لعلكما ان تجودا علي بالذكر مرة اخرى .

فلما رأيا منه ذلك قالا له : يحق لك ان يتخذك الله خليلا ، ثم حكيا له ما كان من الملائكة . فتبسم وقال : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم قالا له : امسك عليك مالك بارك الله لك وعليك وعلى ذريتك .

فمن الله عليه سبحانه بابقاء ذريته وسماطه وزاده بركة وخيراً وجعل سماطه ممدوداً من يومه الى يومنا هذا جعله الله دائماً الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى .

واما اخلاقه الكريمة : فقد سماه الله تعالى حليماً اواهاً منيباً . والحليم الرشيد الذي يملك نفسه عند الغضب ، والأواه الذي يكثر التأوه من الذنوب ، والمنيب المقبل على ربه عز وجل في شأنه كله .

روى الثعلبي عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله كم من كتاب انزل الله عز وجل ؟ قال رسول الله : انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب : انزل تعالى على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى ابراهيم الخليل عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وانزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور والفرقان .

قال : قلت : يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت امثالا : « ايها الملك المغرور المبتلى اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فاني لا اردها وان كانت من كافر » . وكان فيها امثال كثير : (منها) .. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ان يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ويتفكر في صنع الله ، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر

وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام في المطعوم والمشروب وغيرهما وعلى العاقل ان يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه · والله اعلم ·

﴿ معنى الخلة ﴾

أصل الخلة : الاستصفاء . وسمي ابراهيم خليل الله : لأنه يوالي في الله ويعادي في الله ، وخلة الله له نصره وجعله إماماً لمن بعده . والخليل أصله : الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة · سمي بها لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمته ولم يجعل له ولياً غيره حيث قال له جبريل عليه السلام ـ وهو في المنجنيق ليرمى به في النار ـ : ألك حاجة ؟ فقال : اما اليك فلا ·

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل : يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلاً ؟ قال لاطعامه الطعام .

وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا · واختلف في تفسير الخلة واشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس له في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال . واختلف أيضاً هل الخلة والمحبة بمعنى واحد ؟ أو احداهما ارفع من الاخرى ؟ . فقيل هما بمعنى واحد والحبيب خليل وعكسه ، لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة . وقيل الخلة أرفع للحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام فلم يتخذ أبا بكر خليلا . وأطلق على نفسه الشريفة المحبة له ولعائشة ولفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم ·

والأكثر على ان المحبة أرفع لأن درجة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم أرفع من درجة ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب وهذا فيمن يتأتى منه الميل وهي درجة المخلوقين ، أما الخالق جل جلاله فمنزه

عن ذلك فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه لطاعته وافاضة رحمته عليه سبحانه وتعالى ٠

﴿ ذكر وفاته عليه السلام ﴾

قد تقدم ان بين الهجرة الشريفة النبوية المحمدية ومولده عليه السلام الفين وثمانمائة سنة وثلاثاً وتسعين سنة على اختيار المؤرخين ٠ واختلف في عمره : فقيل ان ابراهيم الخليل عاش مائة وخمساً وسبعين سنة وهو الذي ذكره الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه . وقيل مائة وخمساً وتسعين . وقيل مائتي سنة . ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنين واربعين مرة ٠

قال أهل السير لما أراد الله عز وجل قبض روح خليله ابراهيم عليه السلام ارسل اليه ملك الموت في صورة رجل شيخ هرم . قال الثعلبي قال السدي باسناده قال : كان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة فبعث اليه رجلا بحماره واركبه حتى اتاه واطعمه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ليدخلها فاه فيدخلها في عينه وتارة في اذنه ثم يدخلها فاه فاذا حصلت في جوفه خرجت من دبره ـ وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ـ فلما رأى حال الشيخ قال له يا شيخ مالك تصنع هكذا ؟ قال يا ابراهيم من الكبر ٠ فقال ابن كم أنت يا شيخ؟ ٠ قال فزاد على عمر ابراهيم سنتين ٠ فقال ابراهيم انا بيني وبينك سنتان فاذا بلغت ذلك صرت مثلك ٠ قال : نعم ٠ فقال ابراهيم : اللهم اقبضني اليك قبل ذلك ٠ فقام الشيخ وقبض روح ابراهيم ٠ وكان ملك الموت صلوات الله وسلامه عليهما ٠ وحكي غير ذلك ٠

فيكون بين وفاة الخليل عليه السلام والهجرة النبوية على القول الأول في عمره الذي ذكره صاحب حماه الفان وسبعمائة وثمانية عشر سنة ومضى من الهجرة الشريفة

النبوية الى عصرنا هذا تسعمائة سنة · فيكون الماضي من وفاة ابراهيم الى سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وثمان عشرة سنة · وقيل : غير ذلك ·

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اول من يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام بخلته ، ثم انا بصفوتي ثم علي بن ابي طالب يزف بيني وبين ابراهيم الخليل زفاً الى الجنة ·

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ : اول من يكسى من الخلائق يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام ·

وروي انه قال : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عزلا فيقول الله تعالى : مالي أرى خليلي عرياناً فيكسى ثوباً ابيض فهو اول من يكسى يوم القيامة صلى الله عليه وسلم ·

﴿ ذكر قصة الاسكندر ﴾

(وكان في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام)

الاسكندر المشهور بذي القرنين الذي ذكره الله في القرآن هو من ذرية نوح عليه السلام ، ومما ورد في أمره : انه انما سمي بذي القرنين لأنه كان عبداً صالحاً بعثه الله عز وجل الى قومه ولم يكن نبياً فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله تعالى ثم بعثه مرة اخرى اليهم فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله فسمي ذا القرنين · وقيل غير ذلك ·

وتوفي الاسكندر بناحية السواد في موضع يقال له شهرزوز بعد ان غزا الهند حتى انتهى الى البحر المحيط فهال ذلك ملوك الغرب فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة · ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي في بحر الشمس في اربعمائة رجل من اصحابه يطلب عين الحياة فلم يصبها فسار فيه ثمانية عشر يوماً وبنى اثني

عشر مدينة سماها كلها بالاسكندرية . ولما مات عرض الملك بعده على ابنه فأبى واختار النسك والعبادة .

وكانت مدة تملكه اثنى عشر سنة . وقيل ثلاثة عشر سنة . وقيل اربعة عشر سنة . وكان عمره ستاً وثلاثين سنة بالاتفاق والله اعلم .

﴿ ذكر بناء سليمان عليه السلام الحير الذي على المغارة بوحي من الله تعالى ﴾

روي ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس أوحى الله تعالى اليه : يابن داود ابن على قبر خليلي حيراً حتى يكون لمن يأتي من بعدك لكي يعرف . فخرج سليمان وبنو اسرائيل من بيت المقدس حتى قدم ارض كنعان وطاف فلم يصبه فرجع الى بيت المقدس فأوحى الله تعالى اليه : يا سليمان خالفت امري . فقال : يارب قد غاب عني الموضع . فأوحى الله اليه : امض فانك ترى نوراً من السماء الى الأرض فانه موضع قبر خليلي ابراهيم .

فخرج سليمان مرة ثانية فنظر وامر الجن فبنوا في الموضع الذي يقال له : الرامة ، وهو بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال قبلي قرية حلحول التي بها قبر يونس عليه السلام . فأوحى الله تعالى اليه ان هذا ليس هو الموضع ولكن انظر الى النور المتدلي من السماء الى الأرض فابن . فخرج سليمان عليه السلام ونظر فاذا النور على بقعة من بقاع حبرون فعلم ان ذلك هو المقصود فبنى الحير على البقعة .

وسنذكر وصف هذا البناء وذرعه طولا وعرضا فيما بعد ان شاء الله تعالى . ويأتي ذكر ما مضى من تاريخ بناء سليمان عليه السلام مسجد بيت المقدس فيعلم منه تاريخ بناء الحير الذي على مقام سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام .

﴿ ذكر فضل سيدنا الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام وفضل زيارته ﴾

قد نص الله تعالى في كتابه العزيز على فضله في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) الى غير ذلك مما انزل الله في حقه من الآيات المخصوصة به .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ياخير الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك ابراهيم عليه السلام . وفي رواية مسلم : قال له : يا خير البرية . قال : ذلك ابراهيم .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما اسري بي الى بيت المقدس مرَّ بي جبريل عليه السلام على قبر ابراهيم عليه السلام فقال لي : انزل فصل ركعتين هاهنا فان هاهنا قبر أبيك ابراهيم الخليل عليه السلام .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام .

وعن كعب الأحبار رضي الله عنه انه قال : اكثروا من الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهروا الصلاة عليه وعلى صاحبيه ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما قبل ان تمنعوا ذلك ويحال بينكم وبين ذلك بالفتن وفساد السبل فمن منع ذلك او حيل بينه وبين الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجعل رحلته واتيانه الى قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وليظهر الصلاة عليه وليكثر من الدعاء عنده فان الدعاء عند قبر سيدنا ابراهيم الخليل مستجاب ولم يتوسل به احد الى الله في شي إلا أجابه ولم يبرح من مكانه حتى يرى الاجابة في ذلك عاجلا او آجلا .

(قلت) : وهذا مما لا شك فيه فاني جربته في أمر وقع لي من امور الدنيا فكنت اتوقع الهلاك منه فتوجهت من بيت المقدس الى بلد سيدنا الخليل عليه السلام في ضرورة اقتضت سفري ، فلما أن دخلت مسجده ودخلت الى الضريح المشهور

بأنه قبر ابراهيم الخليل عليه السلام تعلقت بأستاره ودعوت الله تعالى فيما كنت ارجوه فما كان بأسرع من ان فرج الله عني كربتي ولطف بي وازال عني كلما ازعجني ، فلله الحمد سبحانه .

وحكي عن رجل من اهل بعلبك انه قال زرنا قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وكان معنا رجل مغفل من اهل بعلبك فسمعناه وقد زار القبر وهو يبكي ويقول : حبيبي ابراهيم سل ربك يكفيني فلاناً وفلاناً فانهم يؤذونني . ونحن نضحك منه ونتعجب. ثم رجعنا بعد مدة الى يافه فوصل قارب من بيروت وفيه رجل من اهل بعلبك فاخبرنا ان الثلاثة الذين سماهم ماتوا .

القول في آداب الزيارة

يستحب لمن قصد زيارة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ان يقلع عن الذنوب وان يتوب الى الله توبة نصوحاً ثم ينوي زيارته ويتوجه نحوه بعزم ورغبة ويكثر في الطريق من الصلاة عليه وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

فاذا اتى باب المسجد وقف يسيراً ثم يقدم رجله اليمنى ويدعو بما يستحب أن يدعى به اذا دخل المساجد ثم يقول : بسم الله اللهم صل على محمد وافتح لي ابواب رحمتك ، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد ، ثم يقصد قبر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فيقف على باب حجرته مطرقاً رأسه ، ثم يستغفر الله تعالى ويصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وانك عبد الله ورسوله وخليله جزاك الله عنا خيراً كما هو اهله .

ثم يقول : صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين من اهل السماوات واهل الأرضين عليك يا ابا الأنبياء

يا خليل الله وعلى ولدك السيد الكامل الفاتح الخاتم سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى حبيب رب العالمين وعلى آلكما واصحابكما كما ذكركما الذاكرون وغفل عن ذكركما الغافلون . ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة .

ثم يلتفت نحو السيدة سارة ويقول : السلام عليكم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته . ثم يقول : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ثم يتوجه الى قبر السيد اسحاق عليه السلام ويقول : السلام عليك ايها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ويدعو عنده بما شاء .

ثم يلتفت عن شماله ويسلم على زوجته السيدة الجليلة ربقة ويقول : السلام عليكم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته .

ثم يمضي بأدب وسكون ويقصد السيد الجليل نبي الله يعقوب عليه السلام ويفعل عنده كما فعل عند اسحاق ابيه ، وكذلك عند زوجته السيدة ليقا .

ثم يقصد نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ويفعل كما فعل .

ثم يقصد شباك سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي تجاه قبر سيدنا يعقوب ويقف بالقرب منه ويسلم ويدعو الله بما شاء فان الدعاء هناك مستجاب .

ثم يتوجه الى الله تعالى بجميع انبيائه خصوصاً بسيد الأولين والآخرين ثم يمسح وجهه ويمضي مسروراً مقبولاً ان شاء الله تعالى .

وكل ما ذكره العلماء رضي الله تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهو سائغ في حق هذا النبي الكريم خليل الله ابراهيم اللهم صل عليه وعلى جميع اولاده الأكرمين .

﴿ فصل فى حكم السور السليمانى ﴾

وهو البناء المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام المحيط بقبر سيدنا ابراهيم عليه السلام قد صار مسجداً وثبت له احكام المساجد .

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال : ان آدم عليه السلام رأسه عند الصخرة الشريفة ورجلاه عند مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام فسماه مسجداً .

وفي رواية ان قبره في مغارة بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام ، واذا كان مسجداً جاز الدخول اليه . وسماه السبكي وكتب بخطه في آخر جزء حديث يسمى تحفة اهل الحديث في سماعه على الشيخ برهان الدين الجعبري ، وذكر جماعة سمعوه معه بالحرم . ثم قال : وصح وثبت في يوم السبت ثامن عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة بحرم الخليل عليه السلام وأطلق على المشهد المذكور حرماً ، وكلامه صريح في انه دخله هو والشيخ برهان الدين الجعبري والسامعون معه ، فدل على جواز دخوله وعمل الناس اليوم على دخوله وزيارتهم للقبور الشريفة والوقوف عند الاشارات التي عليها وصلاة الجماعة والجماعات هناك فانه بنى به محراب شريف ووضع الى جانبه منبر وقد مضى على ذلك ازمنة متطاولة والعلماء وأئمة الاسلام مطلعون على ذلك . وقد اقره الخلفاء وملوك الاسلام ولم ينكره منكر فصار كالاجماع .

واذا تقرر هذا ثبتت له احكام المساجد من جواز الاعتكاف فيه وتحريم المكث على الحائض والجنب فيه وفعل التحية ولا يقال انه مقبرة فان الأنبياء الذين فيه صلوات الله تعالى وسلامه عليهم احياء في قبورهم ، واما النساء فعلى خلاف فيه والله اعلم .

﴿ ذكر ذرعه طولا وعرضاً ﴾

وهذا المقام الكريم الذي هو داخل السور السليماني طوله في سمته قبلة بشمال من صدر المحراب الذي عند المبر الى صدر المشهد الذي به ضريح سيدنا يعقوب عليه

السلام ثمانون ذراعاً بذراع العمل ينقص يسيراً نحو نصف ذراع او ثلثي ذراع تقريباً وعرضه شرقاً بغرب من السور الذي به باب الدخول الى صدر الرواق الغربي الذي به شباك يتوصل منه الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام احد واربعون ذراعاً ويزيد على ذلك يسيراً نحو ثلث ذراع او نصف ذراع تقريباً بذراع العمل المذكور وهو الذراع الذي تذرع به الأبنية في عصرنا هذا . وسمك السور ثلاثة أذرع ونصف من كل جانب ، وعدة مداميكه في البناء خمسة عشر مدماكا من اعلى الأماكن وهو الذي عند باب القلعة من جهة الغرب الى القبلة وارتفاع البناء عن الأرض من المكان المذكور ست وعشرون ذراعاً بذراع العمل غير البناء الرومي الذي فوق السليماني ومن جملة الاحجار بالبناء السليماني حجر عند مكان الطبلخانه طوله احد عشر ذراعاً بالعمل وعرض كل مدماك من البناء السليماني نحو ذراع وثلثي ذراع بالعملي ، وعلى السور المذكور منارتان احداهما من جهة الشرق مما يلي القبلة والثانية من الغرب مما يلي الشمال وبناؤهما في غاية اللطف .

واما صفة البناء الموجود بداخل السور على ما هو عليه في عصرنا وقد صار مسجداً كما تقدم القول فيه فهو يشتمل على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف من جهة القبلة الى جهة الشمال . والبناء من عهد الروم وهو ثلاثة اكوار الأوسط منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة المشرق والمغرب والسقف مرتفع على اربعة اسوار محكمة البناء وبصدر هذا البناء المعقود تحت الكور الاعلى المحراب والى جانبه المنبر وهو من الخشب في غاية الاتقان والحسن وهذا المنبر عمل في زمن المستنصر بالله ابي تميم معد الفاطمي خليفة مصر بأمر بدر الجمالي مدبر دولته برسم مشهد عسقلان الذي زعمت الفاطمية ان به رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وكان عمل المنبر في سنة أربع وثمانين واربعمائة وعليه تاريخ عمله مكتوب بالكوفي . والظاهر ان الذي نقله ووضعه بمسجد الخليل عليه السلام الملك الناصر

صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله لما هدم عسقلان ، وهذا المنبر موجود الى عصرنا هذا ٠ ويقابل ذلك دكة المؤذنين على عمد من رخام في غاية الحسن . والرخام مستدير على حيطان المسجد من الجهات الأربع وهو من عمارة تنكر نائب الشام في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ٠

والقبور الشريفة بداخل السور منها تحت البناء المذكور قبر سيدنا اسحاق عليه السلام الى جانب السارية التي عند المنبر . ويقابله قبر زوجته ربقة الى جانب السارية الشرقية ٠ وهذا البناء له ثلاثة ابواب تنتهي الى صحن المسجد احدها وهو الاوسط ينتهي الى الحضرة الشريفة الخليلية وهو مكان معقود والرخام مستدير على حيطانه الاربعة وبه الى جهة الغرب الحجرة الشريفة التي بداخلها القبر المنسوب لسيدنا ابراهيم الخليل . ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته سارة . والباب الثاني من جهة الشرق عند باب السور السليماني خلف قبر سارة ٠ والباب الثالث من جهة الغرب خلف قبر ابراهيم عليه السلام .

والى جانبه محراب المالكية وينتهي هذا الباب الى الرواق وفتح هذا الباب وعمر محراب المالكية الأمير شهاب الدين اليغموري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق وفتح الشباك بالسور السليماني المتوصل منه الى مقام السيد يوسف الصديق وعمر الاروقة مكان القلال التي كانت هناك ورتب قراءة سبع وشيخاً لقراءة البخاري ومسلم في الاشهر الثلاثة وذلك في شهر رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة ٠ وبآخر الساحة التي بداخل السور السليماني من جهة الشمال الضريح المنسوب لسيدنا يعقوب وهو من جهة الغرب بحذاء قبر ابراهيم الخليل عليه السلام . ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته ليقا ٠

وصحن المسجد المكشوف تحت السماء بين مقام الخليل ومقام يعقوب عليهما السلام والقباب المبنية على الاضرحة المنسوبة للخليل وزوجته سارة ويعقوب وزوجته ليقا أخبرت انها من بناء بني امية وجميع الارض التي بداخل السور مما هو تحت

السقف وبالساحة السماوية مفروشة بالبلاط السليماني الذي رؤيته من العجائب لكبره وهيئته وبجوار قبر الخليل عليه السلام من داخل البناء المعقود سفل الارض مغارة تعرف بالسرادب بداخلها باب لطيف ينتهي الى المنبر وقد نزل اليه بعض الخدام من مدة قريبة نحو السنة لسبب أوجب ذلك وهو : ان شخصاً معتوهاً من الفقراء سقط فيه فنزل اليه جماعة من الخدام ودخلوا من هذا الباب فانتهى بهم الحال الى المنبر تحت القبة التي على عمد الرخام بجوار بيت الخطابة . واخبرني الذي نزل أنه عاين سلماً من حجر عدته خمسة عشر درجة مبني عند آخر هذا المغار من جهة القبلة وقد سد بالبناء من آخره فالظاهر ان هذا الباب كان عند المنبر منه يتوصل الى السرداب .

وبظاهر السور السليماني من جهة الشرق مسجد في غاية الحسن ، وبين السور السليماني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الابهة والوقار والذي عمر هذا الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية وهو من العجائب قطع في جبل ويقال انه كان مقبرة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبنى السقف عليه والقبة وهو مرتفع على اثنى عشر سارية قائمة في وسطه ، وفرش ارض المسجد وحيطانه وسواريه بالرخام ، وعمل شبابيك حديد على آخره من جهة الغرب ، وهذا المسجد طوله من القبلة بشام ثلاثة واربعون ذراعاً وعرضه شرقاً بغرب خمسة وعشرون ذراعاً بذراع العمل . وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وانتهت العمارة في ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومكتوب في حائطه ان سنجر عمر ذلك من خالص ماله ولم ينفق عليه شيئاً من مال الحرمين الشريفين .

وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي يعمل فيه الدشيشة

للمجاورين والواردين وعلى باب المطبخ تدق الطبلخانة في كل يوم بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم .

وهذا السماط من عجائب الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردون وهو خبز يعمل في كل يوم ويفرق في ثلاثة اوقات بكرة النهار وبعد الظهر لأهل المدينة وبعد العصر تفرقة عامة لأهل البلد والواردين ، ومقدار ما يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيف ويبلغ الى خمسة عشر الف رغيف في بعض الاوقات اذا كان عندهم زائر .

واما سعة وقفه : فلا تكاد تنضبط .واما سماطه الكريم فانه لا يمنع منه أحد لا من الأغنياء ولا من الفقراء . واما السبب في دق الطبلخانة كل يوم عند تفرقة السماط بعد العصر فيقال : ان الأصل في ذلك ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كانت تأتيه الضيوف ويصنع لهم ما يأكلون ويكونون جماعة متفرقين في المنازل التي أنزلهم فيها فاذا قصد اطعامهم دق لهم الطبل ليعلموا انه هيئ لهم الطعام فاذا سمعوا بادروا واجتمعوا لأكل سماطه. فصارت سنة بعده تعمل في كل يوم عند تفرقة السماط بحضرته الشريفة . وعلى باب المسجد الذي تدق عنده الطبلخانة المكان الذى يصنع فيه خبز السماط من الافران والطواحين وهو مكان متسع يشتمل على ثلاثة أفران وستة احجار للطحن ، وعلو هذا المكان الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير ورؤية هذا المكان علواً وسفلا من العجائب فانه يدخل اليه بالقمح فلا يخرج منه إلا وقد صار خبزاً .

وأما الاهتمام بعمل السماط من كثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره فذلك من العجائب لا يكاد يوجد مثل ذلك عند ملوك الارض . ولا يستكثر مثل ذلك في معجزات هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ذكر اسحاق عليه السلام

هو اسحاق بن خليل الرحمن النبي بن النبي بن النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وامه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط ، وولدته ولها من العمر تسعون سنة ومن ولده الروم واليونان والارمن ومن يجري مجراهم وبنو اسرائيل . وكان ابراهيم عليه السلام يضيف من نزل به ، وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم .

ولما اراد الله تعالى هلاك قوم لوط أمر رسله من الملائكة ان ينزلوا بابراهيم ويبشروه هو وسارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام كان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه ، وكان لا يأكل إلا مع الضيف ما امكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى اضيافاً لم يضفه مثلهم حسناً وجمالا . فقال : لا يخدم هؤلاء القوم إلا أنا . فخرج الى اهله فجاء بعجل سمين حينئذ وهو المشوي بالحجارة فلما رأى ايديهم لا تصل اليه - اي العجل - نكرهم واوجس منهم خيفة . وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يأتهم بخير وانما جاءهم بشر . قالوا: لا تخف يا ابراهيم إنا ملائكة الله تعالى ارسلنا الى قوم لوط . وكانت امرأته سارة قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم وابراهيم جالس معهم فضحكت لزوال الخوف عنهما حين قالوا لابراهيم : لا تخف . وقيل : ضحكت بالبشارة .

وقال ابن عباس ووهب : ضحكت تعجباً من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها . وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير تقديره: (وامرأته قائمة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وقالت ياويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً) . وكان سن ابراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة في قول ابن اسحاق (ان هذا لشيء عجيب * قالوا - يعني الملائكة - أتعجبين من امر الله

رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) .

وسنذكر ما تكلم به ابراهيم عليه السلام مع الملائكة في امر قوم لوط عند ذكره عليه السلام .

ثم ان اسحاق عليه السلام تزوج بنت عمه ربقة بنت تنويل - وكان اسحاق ضريراً - وولدت له العيص ويعقوب . ولم يمت ابراهيم عليه السلام حتى بعث الله اسحاق عليه السلام الى ارض الشام ، وبعث يعقوب الى ارض كنعان واسماعيل الى جرهم ، ولوطاً الى سدوم . فكانوا كلهم انبياء على عهد ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة . ومات بالأرض المقدسة ودفن عند ابيه ابراهيم الخليل عليهما السلام .

﴿ ذكر سيدنا يعقوب عليه السلام ﴾

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم النبي بن النبي ابن ابي الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين وهو الذي يسمى اسرائيل . قيل : معناه صفوة الله . وهو أخو العيص وسمي يعقوب لأنه كان هو والعيص توأمين فخرج من بطن امه آخذاً بعقب اخيه العيص . قيل: وفيه نظر لأن هذا الاشتقاق عربي ويعقوب اسم اعجمي .

وكان مولده بعد مضي ستين سنة من عمر ابيه اسحاق . ورزق يعقوب من زوجته ليا روبيل وهو اكبر أولاده ، ثم شمعون ولاوي ويهوذا . ثم تزوج اختها راحيل فرزق منها يوسف عليه السلام وبنيامين . وولد له من سريتين ستة اولاد . فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا وهم الاسباط الاثنا عشر وهم : روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخر وزبلون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وكاد واشر .

وسموا بالأسباط لأنه ولد لكل منهم جماعة . وعاش لاوى بن يعقوب مائة

وسبعاً وثلاثين سنة . وولد له قاهث وعاش مائة وسبعاً وعشرين سنة . ثم ولد لقاهث عمران وعاش مائة وستاً وثلاثين سنة . ثم ولد لعمران موسى عليه السلام . وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وعاش يعقوب مائة وسبعاً واربعين سنة . ومات بمصر واوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند ابيه وجده . فحمله ابنه يوسف ودفنه عندهما . وسنذكر ذلك في قصة ولده يوسف ان شاء الله تعالى .

وتقدم ذكر الخلاف في ان يعقوب اول من بنى مسجد بيت المقدس وأري موضعه بوحي من الله تعالى ، وتقدم لفظ الأثر الوارد في ذلك ونقل بلفظ آخر غير المتقدم وهو : أن والده اسحاق اوصى اليه ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وان ينكح من بنات خاله - وكان مسكن يعقوب القدس - . فتوجه الى خاله فأدركه الليل في الطريق فبات متوسداً حجراً فرأى فيما يرى النائم : ان سلماً منصوباً الى باب من ابواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل عليه وتعرج منه .

فأوحى الله تعالى اليه : اني إلهك وإله آبائك ابراهيم واسحاق وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة لك ولذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت لكم الكتاب والحكم والنبوة ثم أنا معك احفظك حتى اردك الى هذا المكان فأجعله بيتاً تعبدني فيه انت وذريتك .

وقد حكى الحافظ ابو محمد هذا الأثر والأثر المتقدم قبله وليس في احدهما ما ينافي الآخر سوى اختلاف في بعض اللفظ .

﴿ ذكر يوسف عليه السلام ﴾

هو يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . فهو نبي الله بن نبي الله بن نبي الله وخليله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

ولد يوسف عليه السلام لما كان ليعقوب من العمر احدى وتسعون سنة .

ولما صار ليوسف ثمانية عشر سنة كان فراقه ليعقوب وبقيا متفرقين احدى وعشرين سنة . ثم اجتمع يعقوب بيوسف في مصر وليعقوب من العمر مائة وثلاثون سنة . وبقيا مجتمعين سبعة عشر سنة . وقيل غير ذلك ٠

وسبب فراق يوسف عن ابيه : حسد اخوته فألقوه في الجب كما اخبر الله تعالى في كتابه العزيز ٠ واختلف في الجب : فقال قتادة : هو في بيت المقدس ٠ وقال وهب : في ارض الاردن ٠ وقال مقاتل : هو على ثلاثة فراسخ من منزل ابيه يعقوب ٠ وكان بالجب ماء وبه صخرة فأوى اليها واقام بالجب ثلاثة ايام فمرت به السيارة فأخرجوه واخذوه ٠ فجاء اخوه يهوذا بطعام الى الجب ليوسف فلم يجده في الجب ورآه عند تلك السيارة فأخبر يهوذا بقية اخوته بذلك ٠ فأتوا الى السيارة وقالوا : هذا عبدنا أبق منا فاشتروه من اخوته بثمن بخس . قيل : عشرون درهماً . وقيل : اربعون درهما ٠ ثم ذهبوا به الى مصر فباعوه لاستاذهم الذي على خزائن مصر واسمه العزيز ٠

وكان فرعون مصر حين ذلك الريان بن الوليد رجلاً من العماليق ٠ والعماليق هم ولد عملاق بن سام بن نوح ، فهويته امرأته راعيل وراودته عن نفسها فأبى وهرب ٠ فلحقته من خلفه وامسكته بقميصه فانقد ٠ ووصل امرهما الى زوجها العزيز وابن عمها بتحقيق وبيان وظهر لهما براءة يوسف ٠ ثم بعد ذلك مازالت تشكو الى زوجها وتقول له : انه يقول للناس : اني راودته عن نفسه وفضحني ٠ فحبسه زوجها سبع سنين ٠ ثم اخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التي رآها ٠

ثم لما مات العزيز جعل فرعون مصر موضعه يوسف على خزائنه وجعل القضاء اليه ٠ ثم دعا يوسف الريان فرعون مصر الى الايمان ، فآمن به ٠ وبقي كذلك الى ان مات الريان فرعون مصر وملكها ٠ وملك مصر بعده قابوس بن مصعب من العمالقة أيضاً ولم يؤمن .

وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر يتلألأ نوره على الجدران ، وكان

من صفته عليه السلام انه ابيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق غليظ الساعدين والعضدين والساقين اقنى الانف صغير السرة بخده الأيمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وبين عينيه شامة تزيده حسناً وجمالا كأنه القمر ليلة البدر . وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه ، واذا تكلم رأيت شعاع النور يثور من بين ثناياه صلى الله عليه وسلم .

ووصل الى يوسف أبوه يعقوب واخوته جميعهم من كنعان ، وهي ارض الشام . وقد ذكر الله تعالى قصته في القرآن مبسوطة مفصلة . ومات يعقوب واوصى ولده يوسف ان يدفنه عند ابيه اسحاق فسار به الى حبرون ودفنه عند ابيه وقبره بحذاء قبر جده الخليل عليه السلام من جهة الشمال . وهو مشهور .

وكان عمر يوسف لما توفي والده يعقوب ستاً وخمسين سنة ، ولما دفنه عاد الى مصر . وعاش يوسف مائة وعشرين سنة . وبينه وبين سيدنا موسى عليه السلام اربعمائة سنة . ونزل عليه جبريل اربع مرات . وتوفي بمصر ودفن بها حتى كان زمن موسى عليه السلام وفرعون .

فلما سار موسى من مصر ببني اسرائيل الى التيه نبش على يوسف وحمله معه في التيه حتى مات موسى . فلما قدم يوشع بن نون ببني اسرائيل الى الشام دفنه بالقرب من نابلس . وقيل : عند الخليل . وهو المشهور عند الناس فان قبره عند الخليل ظاهر مشهور وقد استفاض عند الناس فلم ينكر .

وروي ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام : ان احمل يوسف الى بيت المقدس عند آبائه . فلم يدر أين هو فسأل بني اسرائيل فلم يعرف احد منهم أين قبره فقال له شيخ ـ عمره ثلثمائة سنة ـ : يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف إلا والدتي . فقال له موسى عليه السلام : قم معي الى امك .

فقام معه الى منزله ، فدخلا المنزل وأتاه بقفة وفيها والدته . فقال لها موسى «ع» ألك علم بقبر يوسف ؟ قالت : نعم . قال : فدليني عليه . قالت : أدلك على قبره

بشرط ان تدعو الله ان يرد علي شبابي الى سبعة عشر سنة وان يزيد لي في عمري مثل ما مضى . قال : فدعا . فقال لها موسى عليه السلام : كم عشت ؟ فقالت : تسعمائة سنة . فعاشت الفاً وثمانمائة سنة ، وأرت موسى عليه السلام قبر يوسف «ع» وكان في وسط نيل مصر في صندوق من رخام . وذلك انه لما مات تشاجر عليه الناس وكل اراد ان يدفن في محلته لما يرجو من بركته عليه السلام . فاختلف رأيهم في ذلك حتى ارادوا ان يقتتلوا فرأوا ان يدفن في النيل ليمر عليه الماء فتصل بركته الى جميع مصر وما حولها فيكونون كلهم في بركته مشتركين . ففعلوا ذلك .

ولما علم موسى مكانه اخرجه وهو في التابوت وحمله على عجل من حديد الى بيت المقدس . وقبره في البقيع خلف الحير السليماني حذاء قبر يعقوب وجوار جديه ابراهيم واسحاق عليهما السلام .

وعن ابراهيم بن احمد الخلنجي : انه لما سألته جارية المقتدر - وكانت تعرف بالعجوز وكانت مقيمة ببيت المقدس - الخروج الى الموضع الذي روي ان قبر يوسف فيه واظهاره والبناء عليه . قال : فخرجت والعمال معي فكشف البقيع الذي روي انه فيه خارج الحير حذاء قبر ابيه يعقوب عليهما السلام .

قال : فاشتري البقيع من صاحبه واخذ في كشفه فخرج في الموضع الذي روي انه فيه حجر عظيم فأمر بكسره فكسر منه قطعة . قال : وكنت معهم في الحفر فلما شالوا القطعة من الحجر واذا هو يوسف عليه السلام على الصفة بحسنه وجماله وصارت روائح الموضع مسكاً ، ثم جاء ريح عظيم فأطبق العمال الحجر على ما كان سابقاً ، ثم بني عليه القبة التي هي عليه الآن على صحة من رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو خارج السور السليماني من جهة الغرب بداخل مدرسة منسوبة للسلطان الملك الناصر حسن . وتسمى الآن بالقلعة ، ويدخل اليه من عند باب المسجد الذي عند السوق تجاه عين الطواشي وهو موضع مأنوس وفيه الضريح .

ثم ان بعض النظار على وقف سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وهو

شهاب الدين احمد اليغموري فتح باباً في السور السليماني من جهة الغرب بحذاء القبر المنسوب لسيدنا يوسف الصديق عليه السلام وجعل فوق القبر السفلي اشارة تدل عليه كبقية الاضرحة الكائنة بمسجد سيدنا الخليل عليه السلام ، وذلك في سلطنة السلطان الملك الظاهر برقوق .

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انّ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبته .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اكرم الناس ؟ قال: أتقاهم لله . فقالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فأكرم الناس يوسف الصديق نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله .

فهؤلاء الأنبياء الأربعة وهم ابراهيم الخليل وولده اسحاق وولده يعقوب وولده يوسف قبورهم في محل واحد وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

﴿ ذكر لوط عليه السلام ﴾

هو لوط بن أخي ابراهيم الخليل عليهما السلام ، واسم ابيه هاران بن آزر . قال الثعلبي : وانما سمي لوطاً : لأن حبه ليط بقلب ابراهيم عليه السلام اي تعلق ولصق . وكان ابراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان ممن آمن بعمه ابراهيم وهاجر معه الى مصر حين هاجر من نمروذ ، وعاد معه الى الشام .

فأرسله الله تعالى الى اهل سدوم وكانوا اهل كفر وفاحشة . ودام لوط يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم فلم يلتفتوا اليه . وكانوا على ما اخبر الله عنهم في قوله تعالى : (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) . وكانوا يقطعون الطريق واذا مرّ بهم

احد من المسافرين أمسكوه وفعلوا به اللواط · وهو ينهاهم فلم ينتهوا ولم يزدهم وعظه إلا تمادياً وضلالا · فسأل الله تعالى النصرة عليهم فأرسل الله الملائكة لقلب سدوم وقراها المؤتفكات وهي خمس مدائن ·

وكان الملائكة قد اعلموا ابراهيم الخليل مما امرهم الله تعالى به من الخسف بقوم لوط حين قدموا عليه وبشروه باسحاق ـ كما تقدم ـ فسأل ابراهيم جبريل فيهم وقال له : أرأيت ان كان فيهم خمسون رجلا من المسلمين ؟ فقال جبريل : ان كان فيهم خمسون من المسلمين لا يعذبهم الله . فقال ابراهيم : واربعون ؟ قال جبريل : واربعون · قال ابراهيم : وثلاثون؟ قال جبريل : وثلاثون · قال ابراهيم : ولم ازل كذلك حتى قال لي جبريل : وعشرة · قال ابراهيم : فقلت : ان هناك لوطاً · فقال جبريل والملائكة : (نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله إلا امرأته كانت من الغابرين) ·

قال : ولما وصلت الملائكة الى لوط هم قومه ان يلوطوا بهم ، لأن الملائكة جاؤا اليه على صورة غلمان حسان الوجوه · (فقال لهم لوط : يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) ـ يعني بالتزويج ـ فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ؟ · فلم يرضوا بقوله وقالوا : (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) اي من حاجة وشهوة وانك لتعلم ما نريد من اتيان الرجال فعالجهم وناشدهم وهم على العناد والغي فأعماهم جبريل بجناحه . وقالت الملائكة للوط (نحن رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد إلا امرأتك) انه مصيبها ما أصابهم ·

قال : ولما خرج لوط بأهله قال للملائكة أهلكوهم الساعة . فقالوا . لم نؤمر إلا بالصبح (أليس الصبح بقريب) ·

فلما كان الصبح قلبت الملائكة سدوم وقراها الخمس بمن فيها وكان فيها اربعمائة ألف . وقيل اربعة آلاف الف. فرفعوا المدائن كلها حتى سمع اهل السماء

صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ، ثم قلبوها فجعلوا عاليها سافلها . فسمعت امرأة لوط الهدة فقالت ' وا قوماه . فأدركها حجر فقتلها . وامطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى فأهلكهم .

واما قبر لوط عليه السلام فهو في قرية تسمى كفر بريك تبعد عن مسجد الخليل عليه السلام نحواً من فرسخ . ونقل ان في المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبياً منهم عشرون مرسلا ، فصار هذا المكان مشهوراً يقصد للزيارة .

وعلى فرسخ من حبرون جبل صغير مشرف على بحيرة زغر وموضع قرى لوط . ثم مسجد بناه ابو بكر محمد بن اسماعيل الصياحي فيه مرقد ابراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر نحواً من ذراع . يقال ان ابراهيم لما رأى قرى لوط وهي طائرة في الهواء وقف . وقيل : رقد . ثم قال: أشهد ان لا إله إلا الله وان هذا هو الحق اليقين . ولذلك سمي ذلك المسجد مسجد اليقين . وكان بناء ذلك المسجد في شهر شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة . وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي :

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه   بالرغم مني بين الترب والحجر
أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة   بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

ذكر أيوب عليه السلام

هو رجل من امة الروم لأنه من ولد العيص وهو ايوب بن موص بن واذح ابن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان له زوجة يقال لها : رحمه ، وكان صاحب اموال عظيمة ، وكانت له الثنية جميعها ـ من اعمال دمشق ـ ملكاً . فابتلاه الله تعالى بأن أذهب امواله فصار فقيراً . ثم ابتلاه في جسده حتى تفجر دماً ودوداً . وبقي مرمياً على مزبلة لا يطيق احد ان يشم رائحته ، وزوجته

صابرة تخدمه . فتراآى لها ابليس اللعين وقال لها اسجدي لي وانا ارد لكما مالكما.
فاستأذنت ايوب فغضب وحلف ليضربنها مائة سوط .

ثم عافاه الله ورزقه ورد على امرأته حسنها وجمالها وشبابها وولدت له ستاً وعشرين ولداً بعد ان عافاه الله تعالى مما ابتلاه به . فلما عوفي امره الله تعالى ان يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته رحمه كي يبر يمينه . ففعل .

وكان ايوب نبياً في زمن يعقوب وعاش ثلاثاً وتسعين سنة . ومن اولاد ايوب ابنه بشر .

وبعث الله بشراً بعد ايوب وسماه ذا الكفل . وكان مقامه بالشام ، وقبره في قرية كفل حارس من اعمال نابلس .

﴿ ذكر شعيب عليه السلام ﴾

وهو نبي بعثه الله الى اصحاب الأيكة واهل مدين . وقد اختلف في نسب شعيب فقيل : انه من اولاد ابراهيم . وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بابراهيم .
وكانت الأيكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا به .

فأهلك الله اصحاب الايكة بسحابة امطرت عليهم ناراً يوم الظلة ، وذلك انهم رأوا حراً شديداً فدخلوا الاسراب فوجدوها اشد حراً . فخرجوا منها فرأوا سحابة فاستظلوا بها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .

وأهلك الله اهل مدين بالزلزلة .

وجاء في الخبر : ان شعيباً كان خطيب الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وكان ضرير البصر . وقبر شعيب بقرية يقال لها : حطين ـ من اعمال مدينة صفد ـ وهو بعيد عن بيت المقدس نحو ثلاثة ايام .

﴿ ذكر سيدنا موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم ﴾
(وأخيه هارون عليه السلام)

(أقول ـ وبالله التوفيق ـ) : موسى نبي الله وكليمه وهو ابن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل سلام الله عليهم .

ولد لمضي الف وخمسمائة وست وستين من الطوفان . واسم امه يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب . وكان فرعون مصر الوليد بن مصعب وكان قد تزوج آسية بنت مزاحم .

وقد روي ان الله تعالى لما خلق الحور العين في نهاية الحسن والجمال قالت الملائكة : إلهنا ومولانا وسيدنا هل خلقت خلقاً أحسن منهن ؟ فجاءهم النداء من العلي الأعلى : اني خلقت سيدات نساء العالمين وفضلتهن على الحور العين كفضل الشمس على الكواكب ، وهن آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما وصفت آسية لفرعون أحب ان يتزوج بها فتزوجها على كره منها ومن ابيها لكنه بذل لهم اموالا جزيلة وزفت اليه ودخل عليها . فلما هم بها اخذه الله عنها فلم يقدر عليها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر اليها . فبينما هو معها في قبتها اذ سمع هاتفاً يقول . ويلك يافرعون لقد قرب زوالك وزوال ملكك على يد نبي من بني اسرائيل . فقال فرعون لآسية : سمعت هذا ؟ قالت له : سمعت لكن هذا من عمل النساء .

ثم ان فرعون رأى عدة منامات ازعجته فاستدعى بالمعبرين وقص عليهم ما رآه . فقال احدهم : هذه الرؤيا تدل على مولود يولد من بني اسرائيل يسلبك ملكك ويزعم انه رسول إله السماء والأرض يأتي اليك وسيكون هلاكك وهلاك قومك على يديه . فلما سمع فرعون ذلك لحقه غم شديد فجمع وزراء مملكته

واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه ان يوكل على النساء الحبالى من يحملهن الى داره حتى تكون ولادتهن عنده فان كان المولود ذكراً قتله وان كان انثى تركها . ففعل ذلك . ولم يزل حتى قتل اثنى عشر الف مولود . وكان يعذب النساء الحبالى حتى يسقطن حملهن .

فضجت الملائكة من ذلك الى ربهم فأوحى الله اليهم : ان اسكنوا فان له اجلاً ممدوداً الى وقت محدود . ثم بشرهم الله تعالى بمولود هو موسى عليه السلام وحملت امه به .

وكان فرعون قد منع وزراءه وكبراء مملكته من الاجتماع بأهلهم . لأنه كان قد بلغه ان المولود يكون من اقرب الناس اليه . وكان عمران من اقرب الناس اليه ، فكان شأنه ان لا يفارقه . فبينما عمران قاعد عند رأس فرعون إذ نظر الى امرأته وقد حملت اليه على جناح ملك . فلما نظر اليها فزع فزعاً شديداً وقام على قدميه وقال لها : ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟ فقال له الملك : ان الله يأمرك ان تواقع زوجتك على فراش فرعون ليكون ذلك هواناً له . ثم جذب الملك فراش فرعون من تحته والقاه لعمران وتوارى الملك . فواقعها فحملت بموسى «ع» ثم احتملها الملك الى دارها . هذا وكان على باب فرعون الف من الحراس والاعوان .

فلما اصبح دخل عليه المنجمون والكهنة وقالوا لفرعون : ان المولود الذي كنا نحذرك منه قد حملت به امه في هذه الليلة وقد ظهر نجمه وعلا شعاعه . قال : فاشتد فزع فرعون وزاد اختباطه .

ولما مضت مدة الحمل اخذ امه الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها احد إلا اختها . فلما وضعته نظرت الى نوره وهو يتلألأ ففرحت به إلا انها مكروبة لخوفها عليه من فرعون واعوانه ، فسألت الله تعالى ان يحفظه عليها وان يرزقها الصبر . فما استتمت دعاءها ونظرت الى موسى فاذا هو قد استوى قاعداً وقال لها : يا امي لا تخافي ولا تحزني ان الله معنا .

وسمع فرعون في تلك الليلة هاتفاً في قصره وهو يقول : ولد موسى وهلك فرعون • فصار كل صنم في تلك الليلة منكساً • فأصبح فرعون ممتلئاً غيظاً وشدد في طلب المولودين تلك الليلة •

وكانت ام موسى اذا خرجت في حاجة تعمد الى موسى وتضعه في مهده وتضعه في التنور وتغطيه• فاتفق انها خرجت يوماً من الأيام وكانت اختها قدعجنت عجيناً وارادت ان تخبز فأمرت بسجر التنور فسجروه ولم تعلم ان فيه موسى وكان موسى في التنور• وقد وقع في قلب هامان ان المولود في بيت عمران ، فكبس داره وقال : هاهنا مولود • فقالت اختها : كيف يكون ها هنا مولود وعمران محبوس عندكم ؟ فجعل هامان يفتش حتى جاء الى التنور فوجده يسجر ناراً فانصرف وقال : لا يكون مولود في النار •

ثم رجعت ام موسى واذا بالاعوان والحراس قد خرجوا من دارها ، فلما رأتهم وقد خرجوا من دارها كادت روحها ان تزهق من الهم والغم • فدخلت منزلها وقالت : هل نظر هامان الى ولدي في التنور؟ قالوا: لا • ثم اسرعت ام موسى نحو التنور فاذا هو مسجور والنار تعلو منه • فلطمت على وجهها وقالت : ما تغني الحذر قد احرقتم ولدي• فنادها موسى: لا تخافي علي يا اماه فان الله تعالى قد منعني من النار وان النار لا تحرقني فمدي يدك إلي فان النار لا تصل الينا ولا تحرقنا • فأدخلت يدها في التنور واخرجته ولم تمسها النار •

﴿ قصة التابوت ﴾

فلما كان بعد أربعين يوماً صنعت له تابوتاً ـ وكان عمران توفى قبل ان يتم لموسى اربعون يوماً ـ فعمدت الى ذلك التابوت وفرشته وارضعت موسى وكحلته ودهنته والقته في التابوت واغلقت عليه بابه وهي تبكي • ثم احتملت التابوت في نصف الليل ومعها اختها وجاءت الى شاطىء النيل فألقته في اليم وبكت • فسمعت النداء

من العلا : (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ٠

وبقي التابوت في النيل اربعين يوماً ٠ وقيل: ثلاثة ايام ٠ وقيل ليلة واحدة .

وصعد فرعون الى صرح له فجلس وهو مشرف على النيل فألقت الريح التابوت تحت قصره ، وكان له سبع بنات ليس منهن واحدة إلا وبها سائر الامراض . وكان في داره حوض يركد فيه الماء من النيل وهو حوض عظيم ، وكن البنات يغتسلن فيه٠ فلم تزل الريح بأمر الله تعالى تسوق التابوت الى ان دخل في ذلك الحوض وركد فبادرت البنت الكبيرة واخذت التابوت وفتحته واذا فيه موسى عليه السلام وله شعاع ونور كشعاع الشمس فأخرجتـه . فلما لمسته ذهب ما كان بها من البلاء . فتناولته الثانية ولمسته فعوفيت . ولم يزلن يتناولنه حتى عوفيت السبع بنات مما كن فيه من الأمراض وصرن صحاحاً من بلائهن ببركته . فأخذنه ودخلن به الى آسية وذكرن لها القصة . فلما رأتهن قد عوفين احبته ونظرت اليه وقبلته وحملته الى فرعون .

فلما رآه فرعون فزع منه فقالت له : ايها الملك لاتخف، وذكرت له حديث التابوت وكيف عوفيت البنات ببركته . فقال : يا آسية اني اخاف ان يكون هـذا عدوي وأنا لابد لي من قتله ٠ (فقـالت له قرة عين لي ولك لا تقتلـه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً) وقالت له : ايها الملك انه في قبضتك وانك من قتله متمكن في أي وقت شئت وانت ليس لك ولد ذكر فأطعم الناس لأجله . ولم تزل به حتى فعل ذلك ٠ فجاع الطفل فأتى اليه بالمراضع فلم يقبل موسى ثدي واحـدة منهن وذلك قوله تعالى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل) . معناه لا يرضع من غير امـه ٠

﴿ ذكر قصة الرضاع ﴾

ثم بلغ امـه وصول التابوت الى قصر فرعون فقالت لبنتها كلثوم اخرجي فقصي امره. فجاءت قصر فرعون فاذا هو في حجر آسية ٠ فقالت لهـا : (هل

ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) . فلم تعلم آسية انها ابنة عمها لرثاثة ثيابها . فقال فرعون : من هؤلاء القوم ؟ فقالت : هم من آل ابراهيم . فأمر باتيانهم فحضرت ام موسى فعرفتها آسية انها امرأة عمها عمران فأعطتها الصبي . فلما اخذته ضحك ورضع منها .

فقال لها فرعون : اني أرى لك لبناً كثيراً فهل لك ولد ؟ فقالت : هل ترك اهلك واعوانك ولداً ولم يقتلوه ؟ فقال لها فرعون : ويلك من قتل ولدك ؟ فقالت : الملك اعلم بذلك . - ولم يعلم فرعون انها امرأة عمران - . واستمرت عند آسية ترضعه سنة كاملة ، ثم انصرفت من عندها مسرورة مستبشرة .

فلما صار لموسى ثلاث سنين دعا به فرعون واقعده في حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى عليه السلام بيده لحية فرعون ولطمه بالاخرى . فقال فرعون في نفسه : لا شك ان هذا الذي يكون عدوي فهمّ بقتله . فأسرعت اليه آسية وقالت له : ان الصبيان لهم حركة ولعب من غير معرفة ولا عقل وأنا اريك انه لا يعقل . فأمرت باحضار طشت من فضة ووضعت فيه تمرة وجمرة وقدمته لموسى عليه السلام وقالت : يا ولدي خذ أيهما شئت . فأراد موسى ان يمد يده ويأخذ التمرة فضرب جبريل يده على الجمرة فأخذ موسى بيده الجمرة ورفعها الى فيه فاحترق لسانه فرماها من فيه وبكى بكاء شديداً .

فقالت له : أرأيت لو كان له عقل أكان يؤثر الجمرة على التمرة ؟ فسكت فرعون بعد ذلك . ثم اظهر الله آياته ، وبانت معجزات موسى عليه السلام ، وانبته الله نباتاً حسناً وأعطاه حكماً وعلماً في دينه ودين آبائه .

(فلما بلغ اشده واستوى) قال ابن عباس : الأشد : ما بين ثمان وعشرين الى ثلاثين سنة ، واستوى : إذ صار ابن اربعين سنة . وكان يذكر لبني اسرائيل ما في فرعون وما هو عليه من الضلال . وكان موسى يأمر فرعون بالمعروف وينهاه عن المنكر ويعظه وينهاه عن الكفر حتى شاع ذلك في البلد وانه مخالف رأي فرعون .

﴿ قصة القبطي ﴾

وقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) . وذلك ان موسى عليه السلام كان يمشي في بعض الأيام فوجد اسرائيلياً وقبطياً يختصمان فاستغاثه الاسرائيلي. فوكز موسى القبطي في صدره فمات . فندم موسى بفعله وقال (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) . فذهب بعض القبط الى فرعون وأعلمه بذلك . فلم يصدق .

ثم اصبح موسى وهو خائف أن يؤخذ بدم القتيل . فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر من القبط ـ والقبطي يقول قتل ابن عمي بالأمس ـ . فقال : يا موسى اعني على هذا القبطي فانه يريد ان يحملني الى فرعون . فقال له موسى ـ كما اخبر الله تعالى ـ : (انك لغوي مبين) . فحزن الفتى وعلم من كلامه ان موسى ندم على ما كان منه بالأمس .

ثم ان موسى لم يجد بداً من نصرته لأنه قد استغاث به فدنا موسى من القبطي ونزع الاسرائيلي من يده فظن انه يريد قتله فقال ـ كما اخبر الله تعالى ـ : (يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض وما تريد ان تكون من المصلحين) .

ثم دخل القبطي على فرعون واخبره ان موسى قتل نفساً بالأمس . فأرسل فرعون في طلبه واذن لأولياء المقتول ان يقتلوه حيثما وجدوه فسمعه رجل مؤمن من آل فرعون فأقبل على موسى واخبره وقال ـ كما قال الله تعالى ـ : (يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب) .

﴿ قصة أرض مدين ﴾

فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى صار في أرض مدين في اليوم السادس او السابع وبه جهد من الجوع والعطش واذا بجماعة من اهل مدين على بئر لهم يسقون اغنامهم فنظر موسى امرأتين تذودان - اي تمنعان - اغنامهما عن الماء من بين الرعاة وهم ما بين العشرة الى الاربعين . فقال موسى للمرأتين : ما خطبكما ؟ - اي ما قصتكما - . قالتا: لا نسق حتى يصدر الرعاء - اي يصرفوا مواشيهم عن الماء - لأننا امرأتان لا نطيق ان نسقى ولا نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ كبير وهو شعيب نبي القوم وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله من الغنم وغيرها · فقال لهما موسى : وهذا الماء لهم خاصة ؟ قالتا : لا بل لجميع الخلق ·

وكانوا اذا فرغوا عمدوا الى حجر كبير عظيم يطبقونه على رأس البئر لا يقدر احد على تنحيته ·

فسكت موسى عليه السلام حتى فرغ الناس من سقي اغنامهم فاجتمعوا وطبقوا الحجر وانصرفوا · فقام موسى عليه السلام وقال للمرأتين: قربا أغنامكما الى الحوض· ثم انه تقدم الى البئر وضرب الصخرة برجله فرماها اربعين ذراعاً على ضعفه من الجوع ولما فرغ من سقي اغنامهما تولى الى الظل وهي شجرة كانت هناك فقال : (رب اني لما انزلت إلي من خير فقير) ·

فانصرفت المرأتان الى ابيهما شعيب واخبرتاه بما كان · فقال لأحدهما : اذهبي فأتيني به · فأقبلت الى موسى واومأت اليـــه وقالت : ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا · فقام موسى ومرت المرأة بين يديه فكشفت الريح عن ساقها فقال لها موسى : تأخري خلفي ودليني على الطريق · فتأخرت وكانت تقول: عن يمينك عن شمالك خلفك وقدامك حتى وقف على باب شعيب فبادرت المرأة الى ابيها واخبرته فأذن له بالدخول· - وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره -·

فسلم موسى عليه السلام فرد عليه السلام وعانقه ثم اجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقصته فأخبره بخبره وقص عليه قصته. فقال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين. وأتاه بطعام فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وأكل، ولما فرغ من أكله حمد الله تعالى واثنى عليه بالجميل . فقالت بنت شعيب - واسمها صافورا -: (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين).

فرغب شعيب فيه لقوته وأمانته فقال (اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك ايما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على مانقول وكيل). فرضي شعيب وجمع المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صافورا . ودخل موسى البيت وجعل يرعى الغنم فرعى غنم شعيب عشر حجج وهي عشر سنين .

﴿ قصة رجوعه من أرض مدين ﴾

ثم قصد موسى السير الى اهله فبكى شعيب وقال: يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت ؟ فقال موسى : قد طالت غيبتي عن امي وخالتي وهارون أخي واختي فانهم في أسر فرعون . فقام شعيب وبسط يديه الى ربه وقال : يا رب ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري . فأمن موسى على دعائه ، فرد الله عليه بصره وقوته . ثم أوصاه بابنته .

وسار موسى واهله وضرب خيمته على الوادي وأدخل اهله فيها . وهطلت السماء بالمطر والثلج . وكانت امرأته حاملاً فأخذها الطلق فأراد ان يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك واذا هو بنار من بعد (فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون) . فأتى نحو النار فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير

وخاف فلما أتاهـا نودي من شاطىء الوادي الأيمن من الشجرة (ان يا موسى اني أنا الله ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) ثم قال (وماتلك بيمينك ياموسى *قال هي عصاي اتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى) قال الله عز وجل (ألقها ياموسى * فألقاها فاذا هي حية تسعى * فلما رآها ولى مدبراً) ولم يعقب فسمع النداء : هل يملك احد الموت والحياة غير الله عز وجل ؟ فرجع موسى الى موضعه والحية على حالها فقال الله تعالى (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) فأدخل يده في كمه ليأخذها فسمع النداء : أرأيت لو اذنت لها ان تضربك أكان يغنيك كمك ؟ فكشف يده وادخلها في فمها فاذا هي عصا كما كانت ·

قال الله عز وجل : (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) اي من غير برص . آية اخرى مع العصا · فعند ذلك انس موسى وذهب عنه الخوف. قال الله : يا موسى اني اخترتك على الناس برسالاتي وبكلامي لأبعثك لعبد من عبيدي كفر بنعمتي وتسمى باسمي واستعبد عبيدي ولولا حلمي وكرمي لأهلكته ولكن هان علي وأنا مستغن عنه أمهله لأقيم عليه حجتي فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي .

فقال موسى : (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي - يعني يعرفوا كلامي - واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري) يعني يكون عوناً لي على الرسالة . قال الله تعالى : (قد اوتيت سؤلك ياموسى . ثم تذكر ما كان منه من قتل النفس فخافهم (فقال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون * قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) ثم قال (اذهبا - يعني هو وهارون - الى فرعون انه طغى *

ـ في القول والفعل ـ فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر او يخشى * قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى * ـ فيقتلنا ـ قال لا تخافا انني معكما أسمع وارى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل . .) .

وهذه المخاطبة كانت له وحده والرسالة له ولأخيه هارون ·

ومرَّ موسى في المخاطبة مع ربه عز وجل وزوجته صافورا بنت شعيب قد اشتد بها الطلق فسمع انينها سكان ذلك الوادي فأتوا اليها واوقدوا عندها ناراً وجلسوا عندها . ثم اقبل موسى الى اهله فسار بهم نحو مصر حتى اتاها ليلا ·

قصة دخوله إلى مصر

فأوحى الله تعالى الى اخيه هارون بقدوم موسى الى مصر · وهارون كان يومئذ وزيراً من وزراء فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهاراً وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق ثم قال له : امض ياهارون واستقبل اخاك . فقال له هارون : وكيف أسلك الطريق في هذا الليل وانا لا أعرفه فنزل عليه جبريل وبشره بالرسالة مع اخيه موسى الى فرعون ثم احتمله الملك حتى أتى به الى شاطىء النيل. فالتقى بأخيه موسى وتعانقا وبشره بالرسالة · ثم اقبلا يريدان امهما فاجتمعا بها واخبرها موسى بما كان من امره · ثم حمل جبريل هارون من عند امه الى منزل فرعون ·

ثم خرج موسى متنكراً ينظر ما احدثه فرعون بأرض مصر من البنيان ثم قصد الاجتماع بفرعون فحضر الى بابه فمنهم من يعرفه ومنهم من ينكره · ثم علم به فرعون فتغير لونه وارتعدت مفاصله · ثم ان هامان أمسكه وحبسه واخبر فرعون بأمره وانه حبسه · فدعا فرعون بالفراشين وزين قصره وأحضره ·

فلما نظر فرعون الى موسى عرفه ولكنه قال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله وكليمه · فقال فرعون : انك عبدي وابن امتي · فقال موسى : ان الله عز وجل أعز من ان يكون له ند او ضد · فقال له فرعون : يا موسى انت رسول

إليّ وحدي ؟ فقال موسى : اليك والى جميع اهل مصر · فقال فرعون : بماذا ارسلت ؟ قال : أن تقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده ورسوله · قال له فرعون فما حجتك فان لكل مدع بينة وبرهاناً · فقال موسى: إن اتيتك ببينة واحدة تؤمن بي ؟ قال : نعم · قال موسى ! يا هارون انزل عن الكرسي . فنزل هارون . ثم قال : (يا فرعون إنا رسولا ربك اليك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم - يعني بالبناء ونقل الاحجار - قد جئناك بآية من ربك).

قال : فتحير فرعون لأن هارون كان عنده وهو يظن انه يساعده على اخيه لاختصاصه به وقربه منه ·

ثم قال : فمن ربكما يا موسى ؟ (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) . وكان هارون كلما تكلم اخوه موسى بشيء صدقه فيه واعانه عليه · فغضب فرعون على هارون فخلع ما كان عليه من اللباس حتى بقي هارون بالسراويل. فبادر موسى عليه السلام ونزع مدرعة مما عليه وألبسها لهارون · ثم نزل جبريل عليه السلام بقميص من الجنة فأفرغه على هارون ·

فتحير فرعون في امره ثم امر هامان بحملهما الى داره ومداراتهما على ان يرجعا الى طاعته فلم يلتفتا الى قوله . فجاء هامان واخبر فرعون انهما لم يقبلا ذلك ولم يلتفتا الى قوله ·

فأحضرهما فرعون وقال لموسى (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت - يعني القتل - قال فعلتها إذاً وانا من الضالين* ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) يعني اليك يافرعون. ثم قال له (وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل - يعني انك جعلت بني اسرائيل عبيداً لك - تذبح ابناءهم وتستحيي نساءهم) · وكان فرعون متكئاً فاستوى جالساً (فقال وما رب العالمين* قال موسى رب السماوات والارض ومابينهما إن كنتم موقنين* فالتفت فرعون الى من حوله وقال ألا تسمعون * - يعني الى

قول موسى ـ قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين * قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون * قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون * قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أولو جئتك بشيء مبين * ـ يعني بآية بينة ـ قال فأت بها إن كنت من الصادقين) .

﴿ قصة الحية واليد البيضاء ﴾

فبينما هما في المجادلة اذا بالعصا قد اضطربت في كف موسى فناداه جبريل : (القها يا موسى * فألقاها فاذا هي حية تسعى) اي ثعبان مبين والناس ينظرون اليه وقام على رجليه حتى اشرف على الحائط وجعل يقلع الصخور من قصر فرعون ويهدمها وجعلت تتنفس في البيوت والخزائن واشتعلت ناراً وجعلت تهيج كما يهيج الجمل ولها صوت كالرعد القاصف والناس يهربون منها وآسية تنظر وتتعجب من ذلك . فلما نظر فرعون الى ذلك وثب عن سريره وقد احدث في ثيابه واخذت الحية ذيل ثيابه حتى رمى بنفسه خلف السرير وقال ياموسى بحق التربية والرضاع وبحق آسية . قال : فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلب فأدخل يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت بقدرة الله تعالى .

فلما نظر فرعون الى ذلك قال : يا موسى لقد حويت سحراً عظيما هل عندك غير هذا ؟ قال : نعم . فأدخل يده في جيبه ثم اخرجها وهي بيضاء ولها نور . ثم ردها الى جيبه واخرجها واذا هي على لونها الأول كما كانت .

فأقبل فرعون على قومه وقال (ان هذا لساحر عليم * يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون) .

﴿ قصة السحرة ﴾

ثم اقبل الملأ من قوم فرعون عليه وقالوا (ايها الملك إن هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما فاخرجهما وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك

بكل ساحر عليم) . فأمر فرعون بذلك وارسل قصاده الى جميع البلاد فاجتمع اليه سبعون الف ساحر وهم احذق الخلق . ثم بعث الى موسى ودعاه وقال فرعون للسحرة : اجتهدوا ان تغلبوا موسى .

ثم اجتمع الناس في صعيد واحد لينظروا من يكون الغالب. وخرج فرعون بجنده فأقبل موسى وهارون وقد أحدقت بهم الملائكة وكان السحرة قد اخرجوا ثلثمائة وقر من الحبال والعصي وسحروا أعين الناس فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فامتلأ الوادي من العصي والحبال وجعلت تركب بعضها على بعض (فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك انت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فزال عن موسى الخوف وقال (ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) . ثم ألقى عصاه في وسط الوادي وبطل ما اظهروه من السحر واذا هو حبال وعصي فصارت عصا موسى ثعباناً لها سبع رؤس ، ثم اتت على حبالهم وعصيهم فابتلعتها عن آخرها وجميع ما في الوادي من زينة فرعون ، ثم حملت على السحرة فولوا هاربين على وجوههم ، ثم اجتمعوا في موضع واحد وقالوا : ما هذا سحر إنا آمنا بربنا ثم خرجوا بأجمعهم ساجدين .

فاغتم فرعون لذلك وقال للسحرة (آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون) فأمر بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وامر بصلبهم أجمعين .

﴿ قصة الصرح ﴾

ثم اقبل فرعون على هامان وقال له (ابن لي صرحاً ـ يعني قصراً مشيداً ـ لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذباً) يعني في رسالته . فجمع هامان خمسين الف بناء وصانع واخذ في ذلك ولم يزالوا حتى

بنوا الصرح وارتفع في الهواء ارتفاعاً لم يبلغه احد من بني آدم .

قال واشتد ذلك على هارون وموسى لأن بني اسرائيل كانوا معذبين في بنائه. فلما فرغوا من بنائه وارتفاعه ارتقى فرعون فوقه واخذ سهماً ورمى به نحو السماء فرد اليه وهو ملطخ بالدم . فقال الكاب : قد قتلت إله موسى . فأمر الله عز وجل جبريل ان يهدم الصرح . فجعل عاليه سافله ومات كل من كان فيه من الفعلة ممن كان على دين فرعون .

﴿ قصة الآيات التسع ﴾

ثم ان الله تعالى حبس عن قوم فرعون المطر فأجدبت الارض عليهم وماتت المواشي وخرب الصرح وجاءهم الطوفان فدام عليهم ثمانية ايام بلياليها وبعث الله عليهم الجراد فأكل جميع ما عندهم . ثم بعث الله القمل حتى اكل جميع ما على وجه الارض ووقع في ثيابهم فقرضها وقرض ايديهم . ثم ارسل الله عليهم الضفادع فكانت عليهم اشد من الكل لأنها كانت تقتحم في طعامهم وفي دورهم وفي ثيابهم . ثم اوحى الله تعالى الى موسى (ان اضرب بعصاك البحر) . فصار دماً عبيطاً من وقته فاشتد بهم العطش .

وكان الفرعوني والاسرائيلي يعمدان الى موضع واحد يستقيان فاذا اخذ الاسرائيلي يكون ماء واذا اخذ الفرعوني يكون دما . فدام ذلك عليهم ثمانية ايام حتى اجهدهم العطش . وكان بين كل آية اربعون يوماً ، فهذه الآيات التسع .

﴿ قصة المسخ وقتل آسية ﴾

ثم دعا عليهم موسى وامن على دعائه هارون فمسخ الله سبحانه وتعالى كثيراً منهم حتى اصبح الرجال والنساء والصبيان حجارة .

ثم ان آسية اظهرت الانكار على فرعون وواجهته بقبيح القول فقتلها لعنة الله عليه.

ثم بعث الله الظلمة على اهل مصر ثلاثة ايام فلم يعرفوا الليل من النهار .

﴿ قصة النيل ﴾

وانقطع عنهم النيل فضجوا الى فرعون فخرج بهم على ان يجري لهم النيل . فلما قرب من النيل اوقفهم وانفرد عنهم بحيث لا يرونه فنزل عن فرسه ومرغ وجهه على الارض ورفع يديه الى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي علمت انك إله السماء والارض لا إله فيهما سواك حلمك الذي حملني ان اسألك ما ليس بحق وانت المتكفل بالارزاق اللهم اني اسألك ان تجرى لهم هذا النيل .

قال: فأجرى الله لهم النيل. فلما رآه القوم ظنوا انه اجرى لهم النيل فسجدوا له وازدادوا كفراً وعصياناً وقالوا : قد اتانا بالماء والنيل في طاعته . وعلم الله منه انه لا يزداد إلا كفراً لكنه اراد ان يؤكد الحجة عليه .

وبلغ ذلك موسى وهارون فتعجبا من لطف الله تعالى .

﴿ قصة غرق فرعون وخروج موسى من مصر ﴾

ثم اوحى الله الى موسى : ان قد اقترب اجل فرعون وهلاكه . واهبط الله تعالى جبريل عليه السلام على صورة رجل حسن الوجه فدخل على فرعون فقال له فرعون : من انت ؟ قال : انا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتياً على عبد من عبيدي مكنته من نعمتي فاستكبر وبغى وجحد حقي وتسمى باسمي وادعى في جميع ما انعمت عليه انه له . فقال فرعون . بئس ذلك العبد بين العبيد . فقال جبريل عليه السلام : فما جزاؤه ؟ قال : يغرق في البحر . قال جبريل عليه السلام : اني اسألك ان تكتب لي خطاً بيدك . فكتب له خطاً بيده .

فأخذه جبريل وخرج من عنده حتى صار الى موسى فأخبره بذلك وقال له : ان الله يأمرك ان ترحل من موضعك . فنادى موسى في بني اسرائيل بالرحيل . فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة الف .

فلما سمع فرعون ذلك نادى في جنوده ، وكان في كثرة لا يحصون عدداً .

وسار فرعون بجنده في تبع موسى وبني اسرائيل فانه كان معتقداً انهم خرجوا هاربين منه فسار حتى قرب من بني اسرائيل. فلما رأوه قالوا لموسى: يا موسى قد لحقنا فرعون وجنوده. فقال موسى: (كلا ان معي ربي سيهدين) قالوا له: قد قرب القوم وليس بين ايدينا شيء سوى البحر وما خلفنا سوى السيوف وقد هلكنا. فأوحى الله الى موسى: (ان اضرب بعصاك البحر) فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقاً للأسباط الاثني عشر. فجعلوا يسيرون فيه ويحدث بعضهم بعضاً وموسى بين ايديهم وهارون من ورائهم.

فأقبل فرعون وهامان بين يديه ومن ورائه وزراؤه وحجابه فنظروا الى البحر يابساً والى تلك الطرق فأحب لحوق موسى فتقدم وهو على فرسه فتأخر الفرس ونفر. فهبط جبريل على فرسه وتقدم الى فرس فرعون فاشتم رائحة فرس جبريل فاتبعها فرعون ولحقه جنوده وجبريل يقول: ايها الملك لا تعجل. وجعل ميكائيل يسوق الناس خلفه. فأخرج جبريل الصحيفة وقال لفرعون: ايها الملك أتعرف هذه الصحيفة التي كتبتها بيدك؟ فلما فتحها علم انه هالك.

وجعل البحر ينضم بعضه الى بعض والناس يغرقون وفرعون ينظر اليهم. فلما استيقن بالموت قال: (آمنت انه لا إ له إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين). فقال له جبريل عليه السلام: (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فلما اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قال بنواسرائيل: ما مات فرعون. فأمر الله البحر فألقاه على الساحل فرآه بنو اسرائيل.

فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً ابداً بل يلقيه، وذلك قوله تعالى: (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) ـ عبرة وموعظة ـ.

فغرق القوم كلهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم كيف يغرقون.

ولما عبر موسى البحر ببني اسرائيل إذ رأوا في طريقهم قوماً يعبدون الأصنام فقال سفهاؤهم: (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم

تجهلون * ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . ثم قال : (أغير الله ابغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين) . ثم قال لهم : استغفروا الله مما قلتم . فساروا وفي قلوبهم حب الأصنام .

فلما قرب موسى من الطور استخلف اخاه هارون على قومه وخرج موسى الى البقعة التي كلمه الله فيها وهو صائم فتطهر وطمع ان الله يكلمه وهو في ذلك يكثر التسبيح والتقديس والتمجيد .

قصة السامري

ثم ان السامري عمل لبني اسرائيل بعد رواح موسى الى مناجاة ربه فأخذ منهم ما كان معهم من الزينة والحلي واتخذ لهم عجلا ، وكان معه قبضة من الرمل من الساحل من تحت فرس جبريل وطرحها في جوف ذلك العجل فصار له خوار . فقال لبني اسرائيل : هذا إلهكم وإله موسى . فمال اليه خلق وامتنع آخرون . وبلغ هارون ذلك فقال لهم : (ان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) فاهتم لذلك ولم يمكنه التغيير عليهم خشية الفتنة . وموسى لا يعلم .

فأوحى الله الى موسى . وما اعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال : هم اولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى . قال: فانا قد فتنا قومك من بعدك . واحتمل جبريل موسى الى الموضع الذي كلمه فيه ربه فوقف وذلك قوله تعالى : (وقربناه نجيا) فسمع موسى في ذلك الوقت صرير القلم حين يجري في اللوح واللوح من الزمرد الأخضر واوحى الله الى القلم ان اكتب . فقال القلم : يا رب وما اكتب ؟ فنودي يا موسى انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً فمن أشرك بي ادخلته النار ، يا موسى لا تسرق مال غيرك فيحل عليك عذابي في الدنيا والآخرة . وكتب غير ذلك .

﴿ ذكر قصة الرؤية ﴾

وسار ببنى اسرائيل مستقبلين الأرض المقدسة فلما أتوا الى جانب الطور أمره الله تعالى ان يقيم ببني اسرائيل في ذلك المكان وأن يستخلف عليهم هارون. و ظلل الغمام ذلك الجبل كله ثم دنا منه موسى فأمره الله ان يقطع الألواح من صخرة صماء فقطعها و كتب الله فيها التوراة بيد القدرة ، وكان موسى يسمع جريان القلم . فحدث نفسه بالرؤية لله عزوجل (فقال رب أرني أنظر اليك) فأنت الحنان المنان ذو الفضل والاحسان متفضل علي بكرمك فلا تحرمني النظر الى وجهك الكريم يا ذا الجلال والاكرام . فأوحى الله اليه : يا موسى سألت شيئاً لم يسأله احد من خلقي فهل تستطيع ذلك يا موسى فانه لا يراني احد من خلقي إلا خر صعقاً ؟ فقال موسى : يا رب أراك واموت أحب إلي من ان لا اراك وأحيا .

فأوحى الله اليه : (يا موسى انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني * فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) لا يعقل من امره شيئاً . ثم ازال الله خوفه فذلك قوله : (فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين) معناه : وانا اول المصدقين بأنه لا يراك احد في الدنيا.

ثم اوحى الله اليه : (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) . ثم اوحى الله اليه : (إنا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري بعبادة العجل) .

(فرجع موسى الى قومه غضبان اسفاً) واشتد غضبه عليهم (وقال بئسما خلفتموني من بعدي) . ثم القى الالواح وعمد الى اخيه هارون واخذ بلحيته وقال له : لم لاتبعتني لما رأيتهم ضلوا أفعصيت أمري ؟ فبكى هارون وقال :(يا بن امي لا تأخذ بلحيتي) ولا برأسي فارفق بي فاني اكبر منك سناً (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم

الظالمين . فاستحيا موسى منه ثم خلاه وضمه الى صدره وسأل الله المغفرة والرحمة له ولأخيـه .

ثم اقبل موسى على بني اسرائيل يعاتبهم فأخبروه بقول السامري . فأقبـل على السامري وهو مغضب . فسأله عن امره فأخبره بما كان . فهم بقتله فأوحى الله اليه : لا تقتله فانه سخي في قومه ولكن اخرجه عن عسكرك . ثم عمد موسى الى صخرة عظيمة ولم يزل يضرب بها العجل حتى تقطع ثم احرقه بالنـار حتى صار رماداً وذراه في البحر وقال : لو كان هذا إلهاً كان يدفع عن نفسه . وسكت عن موسى الغضب فأقبل على بني اسرائيل وقال لهم : (انكم ظلمتم انفسكم باتخاذ كم العجل) . فقالوا : يا موسى اسأل ربك لنتوب .

فأوحى الله اليه : ان لا توبة لهم لأن في قلوبهم مرضاً من حب العجـل فاخرج من رماد العجل والقه في الماء ثم مرهم ليشربوا منه فانه يظهر ما في قلوبهم على وجوههم . فلما فعل ذلك لم يبق احد ممن في قلبه مرض او غم من كسر العجل إلا اصبح مصفراً لونه فلمـا رأوا ذلك ايقنوا بالموت . فقالوا : يا موسى ما لنا غير التوبة الخالصة وقد اخلصنا في توبتنا حتى انك لو سألت ربك ان نقتل انفسنا لقتلناها .

فأوحى الله الى موسى : اني رضيت عليهم بحكمهم في انفسهم . فذلك قوله تعالى : (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) . فقـالوا : كيف نقتل انفسنا ونحن اهل واقارب . فأنزل الله عليهم ظلمة فلم يبصر بعضهم بعضاً حتى ان الرجل كان يأتي الى اخيه وابن عمه فيقتله وهو لا يعرفه وكان السلاح لا يعمل فيمن لم يعبد العجل فلم يزالوا كـذلك حتى خاضوا في الدماء فاستغاثوا يا موسى العفو العفو . فبكى موسى ودعا الى الله تعالى بالعفو عنهم فارتفعت عنهم الظلمة .

ثم اقبل عليهم موسى بالتوراة وقال : هذا كتاب ربكم فيه الحلال والحرام والاحكام الشرعية والسنن والفرائض والرجم للزاني والزانية المحصنين والقطع للسارق

والقصاص من كل ذنب يكون منكم · فضجوا من ذلك وقالوا : لا حاجة لنا بهذه الاحكام وما كنا عليه من عبادة العجل كان ارفق بنا فلم يكن في عبادته علينا قطع ولا رجم ولا قصاص ·

﴿ قصة الجبل ﴾

فقال موسى : يا رب انك تعلم انهم قد ردوا كتابك وكذبوا بآياتك · فأمر الله جبريل ان يرفع طور سيناء في الهواء على عسكر بني اسرائيل · فرفعه على رؤوسهم في الهواء حتى انهم لم يروا السماء منه · ونودوا : يا بني اسرائيل إن قبلتم هذا الكتاب وإلا القي عليكم هذا الجبل ·

فلما نظروا الى الجبل وهو يدنو منهم حتى ظنوا انه ساقط عليهم وايقنوا بالموت خروا سجداً وقبلوا الكتاب · فلما قبلوا الكتاب رد الله عنهم الجبل ·

﴿ قصة الحجر ﴾

وكان بنو اسرائيل اذا اغتسلوا في مواضعهم يكشفون عوراتهم وكانوا يرون موسى في اغتساله مستوراً فاعتقدوا فيه ان ببدنه عيباً وكان اذا اغتسل وضع ثوبه على حجر هناك ثم يضرب الحجر بعصاه حتى ينبع منه الماء فيغتسل ففعل ذلك يوماً من الأيام فانقلع الحجر من مكانه باذن الله تعالى وسار على وجه الارض فعدا موسى خلفه وهو عريان وصار ينادي ويقول ايها الحجر قف باذن الله تعالى حتى وقف على جماعة من بني اسرائيل فنظروا الى موسى فلم يروا في بدنه عيباً من العيوب فندموا على ما قالوا فذلك قوله تعالى : (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) .

﴿ قصة طلب الرؤية ﴾

ثم طلب بنو اسرائيل من موسى الرؤية (فقالوا أرنا الله جهرة) · فأوحى الله اليه : ان اختر من قومك سبعين رجلا وسر بهم الى الطور واحمل معك أخاك

هارون واستخلف على قومك يوشع بن نون . ففعل ذلك وسار بهم نحو الجبل فنودوا من السماء : ان يا بني اسرائيل فصعقوا كلهم وماتوا فحزن عليهم موسى وقال (رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا[1] بما فعل السفهاء منا - يعني الذين عبدوا العجل - إن هي إلا فتنتك - يعني ابتلاؤك - تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا . .) الآية .

فرد الله عليهم ارواحهم وذلك قوله تعالى: (ثم بعثناكم من بعد موتكم) . ورجعوا الى معسكرهم فرحين واخبروا قومهم بما رأوه ثم انهم بدلوا التوراة بعد ذلك وزادوا ونقصوا منها وذلك قوله تعالى: (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

قصة الجبارين والتيه والحطة

ثم اوحى الله اليه : ان يسير بهم الى الارض المقدسة فاذا اردتم دخولها فلا تدخلوها إلا ساجدين شاكرين لربكم على تبليغكم إياها فقاتلوا الجبارين وجاهدوهم فاستثقلوا ذلك واستبعدوا الأرض المقدسة واختاروا ايام فرعون على هذه الأيام .

فأوحى الله الى موسى : اني ممطر عليهم المن وآمر الريح ان تأتيهم بالسلوى والحجر ان ينفجر لهم بماء عذب وأمرت الغمام ان يسير معهم واخفافهم لا تنقب وثيابهم تكون بقدر صغارهم وكبارهم . فلما سمعوا ذلك طابت نفوسهم وساروا والأمر على ذلك .

ثم اختار موسى اثنى عشر رجلا باذن الله تعالى ووجههم الى اريحا مدينة الجبارين ليأتوه بخبرها وصفة اهلها . فخرجوا ومنهم يوشع بن نون . فلما قربوا من المدينة استقبلهم رجل من الجبارين فساقهم بين يديه الى اريحا فاجتمعوا عليهم يتعجبون من ضعف ابدانهم وقالوا : هؤلاء الذين يزعمون انهم يخرجوننا من مدينتنا . وهموا بقتلهم ، ثم اقتضى رأيهم ان يدعوهم ليكونوا عبيداً لهم . فلما اقبل الليل هربوا على وجوههم ولم يزالوا حتى وصلوا الى معسكر بني اسرائيل واخبروهم بذلك .

فبلغ موسى ما صنعوا فدعاهم وقال لهم : ألم اقل لكم اكتموا ما ترون فلم تقبلوا حتى هولتم عليهم وارعبتم قلوبهم . ثم دعا عليهم فمات منهم عشرة وبقي رجلان يوشع وكالب فانهما كانا كتماه .

ثم وقع الخوف في بني اسرائيل من الجبارين وقالوا : يا موسى ان مملكة فرعون كانت اخف علينا مما نحن فيه ودخول مدينة الجبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون واختلفوا عليه وهو يقول لهم : (يا قوم لا ترتدوا على ادبار كم فتنقلبوا خاسرين) . فقال عند ذلك يوشع ابن نون وكالب (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون) فلم يلتفت الى قولهما (فقال موسى رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فأوحى الله تعالى اليه يقول : (فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) .

ولم يدخل الارض المقدسة احد ممن ولد بمصر .

وسلط الله عليهم التيهان فكان كلما خرج واحد منهم يتيه في الأرض فلا يهتدي ان يرجع حتى يموت . واما المؤمنون فلا يموتون وإن تاهوا . فلم يزالوا كذلك حتى انقرض آخرهم على رأس اربعين سنة .

وسار موسى الى باب حطة وعليه مكتوب اسم الله الأعظم . واقبل المؤمنون فسجدوا عند الباب ، ودخل اولاد الفاسقين وهم يقولون حنطة حمراء . فذلك قوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) . يعني اخذهم الطاعون حتى ماتوا جميعاً .

ثم غلب موسى عليه السلام على اهل مدينة أريحا واسر من كان فيها من الجبارين وتفرقوا على البلاد حتى اهلكهم الله تعالى .

وسار موسى عليه السلام ببني اسرائيل يريد مدينة بلقا فجاءها وقتل ملكها

وغنم بنو اسرائيل من ارض البلقا من النساء والولدان شيئاً كثيراً ٠

ثم ان بني اسرائيل ملوا من أكل المن والسلوى (فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فانا لن نصبر على طعام واحد فقال لهم موسى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير). فأبدلهم الله بالمن والسلوى ما سألوا ورفع عنهم ذلك وذلك قوله تعالى : (اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم) ٠ وهم يزيدون على اربعين الفاً ٠

﴿ قصة قارون ﴾

وكان لموسى رجل يقال له قارون بن مصعب ، وهو ابن عم موسى ٠ وكان فقير جداً فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم اخت موسى وكانت تعرف ذلك ٠ فرزق مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر ٠ وكانت مفاتيح كنوزه تحمل على اربعين بغلا وبنى داراً وصفحها بالذهب وجعل ابوابها من ذهب ٠ وتكبر بسبب كثرة ماله على موسى وقذفه وخرج من طاعته واحضر امرأة بغياً وامرها بقذف موسى بنفسها ٠

فبلغ ذلك موسى فغضب وقال : يا رب ان قارون قد بغى علي فانصرني عليه . فأوحى الله اليه : اني قد امرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه ٠ فأقبل موسى حتى دخل على قارون وقال : ياعدوالله بعثت الي المرأة واتهمتني على رؤوس بني اسرائيل وانت تريد فضيحتي ! يا ارض خذيه ٠ فساخت داره في الارض ذراعاً وسقط قارون من علو سريره فأخذته الأرض الى ركبتيه ٠ فقال : ياموسى اغثني ٠ فقال : ياعدو الله تبني مثل هذه الدار وتشرب في آنية الذهب والفضة وأنا أدعوك الى حظك فلا تقبله وتقول انما اوتيته على علم عندي ! يا أرض خذيه ٠ فأخذته الأرض وذلك قوله تعالى : (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه

بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . .) الآية .
قال الله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) .

﴿ قصة الخضر واجتماعه مع موسى عليهما السلام ﴾

أذن الله تعالى لموسى عليه السلام في الاجتماع بالخضر عليه السلام ، وكان مسكنه في جزيرة من جزائر البحر . فانطلق اليه موسى واجتمع به فكان من شأنهما ما نص الله عليه في كتابه العزيز .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (وكان تحته كنز لهما) . قال : كان لوحاً من ذهب مكتوب عليه : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجباً لمن يعلم بالموت وان الموت حق كيف يفرح ، وعجباً لمن يرى الدنيا وتصاريف اهلها كيف يطمئن اليها .

ولما فارق موسى الخضر عليهما السلام وودعه سار عنه حتى عاد الى بني اسرائيل.

﴿ قصة البقرة ﴾

وكان في زمن بني اسرائيل وايام موسى عبد صالح فمات وترك امرأته حاملا فولدت بعده غلاماً فسمته امه ميشا . فكبر وكان صالحاً باراً بأمه فأعلمته امه ان أباه خلف عجلة وانها دفعتها للراعي وهي عنده وأمرته بأخذها منه . فتوجه الى الراعي وأخذها منه .

فلما عاد قالت له امه : هذه بقرتك بارك الله لك فيها فانطلق بها الى السوق. فتعرض له ملك من الملائكة وقال له : ايها الفتى البار لامه بكم تبيعها ؟ فقال الفتى : بثلاثة دنانير بشرط ان استأذن امي . فقال له : خذ لك خمسة دنانير ولا تستأذن امك . فأبى وعاد الى امه فأخبرها . فقالت له : يا بني ارجع وبعها بخمسة دنانير .

فعاد بها الى السوق فجاءه الملك وقال : بكم تبيعها ؟ فقال : بخمسة دنانير على أن استأذن امي . فقال له الملك : خذ لك عشرة دنانير ولا تستأذن امك · فلم يفعل وعاد الى امه واخبرها فقالت له : يا بني في غد بعها بعشرة دنانير على اذني واعلم يابني انها لا تساوي عشرة دنانير غير ان الذي يتعرض لك في شرائها ملك يستخبرك كيف برك لامك وطاعتك إياها فاذا جاءك فقل له : ايها الملك المقرب فبكم ابيعها وافعل ما يقول لك ·

فلما كان من الغد جاءه الملك وقال له : قد جئتك اطلب بقرتك ثلاث مرات فلم تبعني إياها فقال له : ان امي اخبرتني انك لست بآدمي وانما انت ملك من الملائكة فاخبرني ما اصنع ببقرتي ؟ فقال له الملك · ردها الى منزلك فانه سيقتل في بني اسرائيل قتيل ولا يعرفون قاتله فيشترون بقرتك ليحيى القتيل بها فتبيعها بما تريد · فانصرف الفتى الى امه واخبرها بذلك ·

ثم قتل في بني اسرائيل قتيل دعوه اقاربه الى ضيافة لهم فقتلوه ثم حملوه الى قرية اخرى وألقوه على باب من ابواب اهل القرية واستعدوا الى موسى وادعوا على الذي وجدوا القتيل على بابه · فحلف الذي وجد على بابه بين يدي موسى «ع» اربعين يميناً أنه ما قتله وشهد من بني اسرائيل اربعون شاهداً بصلاح المتهم · فتحير موسى من ذلك · فأوحى الله اليه : ان قل لأولياء المقتول يشتروا بقرة ويذبحوها ويضربوا ببعضها بدن المقتول حتى يحييه الله تعالى لهم ويخبرهم بالذي قتله . فقال لهم موسى ذلك · (فقالوا أتتخذنا هزواً) فقال لهم (اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ماصفة البقرة · فأوحى الله اليه : (انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) يعني لا كبيرة ولا صغيرة · فقال لهم موسى ذلك (فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) ·

فلما قال لهم ذلك (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وإنا

ان شاء الله لمهتدون) . فأوحى الله اليه (انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث) اي لا مذللة للعمل تثير الارض: تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث: اي بسانية (مسلمة ـ بريئة من العيوب ـ لا شية فيها) وانما لونها واحد .

فلما سمعوا ذلك من موسى اجتهدوا في طلبها فلم يجدوا هذه الصفة إلا عند ميشا البار بامه ولو كانوا في ابتداء الأمر ذبحوا بقرة سواها كانت اغنت عنها بظاهر الأمر الأول غير انهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم .

فجاؤا الى ميشا ليبعهم البقرة فامتنع وقال: انا ابيعها لموسى . فرضوا بذلك . واخرج ميشا بقرته وسار بها الى موسى فقال له موسى : بكم هذه ؟ فقال ميشا البار بامه : ابيعها بملأ جلدها ذهباً لا يزيد ولا ينقص . فقالوا له : هذا شيء كثير لا قدرة لنا عليه . فقال لهم موسى عليه السلام : ان ذلك من اجل تشديدكم في الأمر . فضمن موسى ثمن البقرة على بني اسرائيل وسلم اليهم البقرة . قال الله تعالى : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) . يعني ما كادوا معتقدين بوفاء ثمنها .

فلما ذبحوها قطعوا ذنبها وضربوا به القتيل فاستوى قاعداً . فسألوه عن الذي قتله . فقال لهم: قتلني فلان وفلان ، ثم خر ميتاً . فقتلهما موسى « ع » بذلك القتيل . ثم امرهم بسلخ البقرة فسلخوها وملئوا جلدها ذهباً ودفعه موسى لصاحبها ميشا وذلك قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) .

﴿ ذكر وفاة هارون عليه السلام ﴾

ثم نظر هارون الى جبل بالتيه وهو بعيد عن معسكر بني اسرائيل فقال : يا موسى ألا تنظر الى ذلك الجبل وما فيه من الخضرة ؟ فقال له : بلى ولكن الى غد إن شاء الله نمضي اليه . فلما كان من الغد مضيا اليه ومع هارون أولاده ، فلما وصلوا الجبل واذا فيه كهوف كثيرة واذا بكهف منها يسطع منه النور فتبادروا

اليه. فلما دخلوا الكهف نظروا فيه سريراً من الذهب وعليه أنواع الفرش ومكتوب على حافته بالعبرانية : هذا السرير لمن كان على طوله ٠

فصعد موسى على السرير فلما مد رجليه فضلت من طوله ، فنزل موسى عنه ٠ وصعد هارون واضطجع عليه فاذا هو على طوله فهم أن ينزل فاذا هو بملك الموت قد دخل عليهم فسلم عليهم وأعلمهم انه ملك الموت ارسله الله تعالى ليقبض روح هارون ٠ فدمعت عيناه وقال لأخيه موسى ـ وهو ينظر الى ملك الموت ـ : ياموسى اوصيك بأولادي وأهلي تقربهم اليك وتقرىء سلامي على بني اسرائيل ٠ ثم امر ملك الموت موسى ان يخرج من الكهف ، فخرج ٠ فقبض الملك روح هارون «ع» قبضة الملائكة ٠

ثم دخل موسى وأولاد هارون الكهف ، فأخرجوا هارون وغسلوه وصلوا عليه ووضعوه في الكهف وسدوا بابه ٠

وانصرف موسى الى بني اسرائيل واخبرهم بموت أخيه فاتهموه بقتله . فقال لهم موسى : يا سفهاء بني اسرائيل ماذا لقيت منكم أقتل اخي وشقيقي وعضدي؟ ودعا ربه ان يبرئه عندهم . فأمر الله الملائكة ليحملوا سرير هارون . فحملوه حتى نظره بنو اسرائيل ، ونادت الملائكة : يا بني اسرائيل لا تتهموا موسى بقتل اخيه هارون فهذا سرير هارون وقد قبضه الله اليه ٠ فبكوا وحزنوا عليه لأنهم كانوا يحبونه .

ثم خلفه من بعده ابنه العيزار واعطاه الله وقار هارون ولينه وسكونه وشبهه فكانوا لا يشكون انه هارون فأحبوه حباً شديداً ٠

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

ثم لما قرب اجل موسى عليه السلام قام في بني اسرائيل خطيباً فخطب لهم ووعظهم وخوفهم وانذرهم وحذرهم واشهدهم على انفسهم واشهد الله عليهم انه بلغهم الرسالة وأمرهم بالطاعة والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخلف يوشع بن نون على بني اسرائيل ٠

ولما فرغ من وصيته اوحى الله اليه : اني قابض روحك وذكره بما أنعم عليه من النبوة والرسالة والتكليم . فاعترف بنعمة الله وحمده واثنى عليه . ثم نزل عليه ملك الموت وهو جالس يتلو التوراة فسلم عليه وقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أرسل الله ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه عز وجل وقال : يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت . قال : فرد الله اليه عينه وقال له : ارجع اليه وقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. فجاءه وقال له ذلك. فقال : يارب ثم وما بعد ذلك ؟ قال : ثم الموت. فقال : الآن . فسأل الله ان يدنيه من الأرض المقدسة برمية حجر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر.

وكانت وفاته في التيه في سابع شهر آذار لمضي الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان . وكان موته بعد اخيه هارون باحدى عشرة سنة وقيل غير ذلك . وكان هارون اكبر من موسى بثلاث سنين . وعاش موسى مائة وعشرين سنة. ونزل عليه جبريل عليه السلام أربعمائة مرة .

وكان جملة مقام بني اسرائيل بمصر حين اخرجهم موسى مائتين وخمسة عشر سنة . وبين وفاة موسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية الفان وثلاثمائة وثمان واربعون سنة على اختيار المؤرخين . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة . فيكون الماضي من وفاة موسى الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف ومائتين وثمانياً واربعين سنة .

ومات موسى ولم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ولا أين توجه . فماج الناس في أمره ولبثوا كذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل ، فلما كان ثالث ليلة غشيتهم سحابة على قدر بني اسرائيل فسمعوا منها منادياً يقول بأعلى صوته : مات موسى واي نفس لا تموت . ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فهمه الناس كلهم

وعلموا انه قد مات فلم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ٠ وتقل انه دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها ٠

واختلف الناس في محل قبره فقيل ـ وهو المشهور عند الناس ـ : انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه ويوضع على قبره في ايام موسم زيارته ستر من حرير اسود وعلى الستر طراز احمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب . والاكثرون على انهذا قبره ٠ وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ به ليلة الاسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر ٠

والذي بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ثمان وستين وستمائة ٠ ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة . ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من اريحا الغور من اعمال بيت المقدس واهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام ٠

وقد ظهر في هذا المكان أشياء من انواع المعجزات منها : انه عند الضريح الذي بداخل القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال اشباح الوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس ابيض ومنهم لابس اخضر ويصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات . وللناس في ذلك اقوال مختلفة فيقال : انهم ملائكة . ويقال : انهم الصالحون . وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والاطفال ولا يخفون على احد .

واذا دخل المسجد امرأة من النساء يكون عليها حيض او جنابة او فعل احد حول المسجد منكراً من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على

رؤية من بجانبه وتتقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها . وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على انه صلى الله عليه وسلم مدفون هناك في هذا المكان .

﴿ فائدة ﴾

فان قيل : لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الأرض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس ؟ .

فالجواب عنه : ما رواه القرطبي في تفسيره : بأنه انما سأل الدنو من الارض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكاناً معروفاً : خوفاً من ان يعبد ، ولا ينافي سؤاله الدنو من الارض المقدسة القول بأن قبره ببيت المقدس فانه سأل شيئاً أعطاه الله فوقه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب ، واما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الاكرام والتشريف لأن الأنبياء عليهم السلام حبب اليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلازمون ذلك وتوافقوا عليه فشرفهم الله تعالى بابقائهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فعله في الدنيا فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها .

واما رأفته بهذه الامة فسيأتي طرف منها في قصة الاسراء .

﴿ ذكر السبب فى ملك سيدنا داود عليه السلام ﴾

أقول ـ وبالله التوفيق ـ : لما توفي سيدنا موسى الكليم عليه السلام قام بعد وفاته بتدبير بني اسرائيل يوشع وهو من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام وبعثه الله نبياً وامره بقتل الجبابرة فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا الغور واحاط بها ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط السور فدخلوا وقاتلوهم وهجموا على الجبابرة فهزموهم وقتلوهم وكان يوم الجمعة

فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال : اللهم اردد الشمس علي وسأل الشمس ان تقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت . فوقفت الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين . وتتبع ملوك الشام واستباحهم . وملك يوشع الشام وفرق عماله واستمر يدبر بني اسرائيل ثمانية وعشرين سنة .

ثم توفي يوشع وله من العمر مائة وعشرون سنة ودفن في كفل حارث وهي قرية من اعمال نابلس ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى . وقيل انه مدفون في المعرة .

ثم ولي على بني اسرائيل جماعة من الملوك واحد بعد واحد ولا حاجة الى ذكر اسمائهم لأن المراد هنا الاختصار .

ثم ولي عليهم شمويل عليه السلام وكان مولده بقرية يقال لها سيلوا . وقيل انها القرية المشتهرة الآن بالسيلة من اعمال جبل نابلس . وتنبأ بعد ان صار له من العمر اربعون سنة . فدبر شمويل بني اسرائيل احدى عشرة سنة ومنتهى هذه الاحدى عشرة سنة هي آخر سني حكام بني اسرائيل وقضاتهم فيكون انقضاء سني حكمهم في سنة ثلاث وتسعين واربعمائة لوفاة موسى عليه السلام .

ثم حضر بنو اسرائيل الى شمويل وسألوه ان يقيم فيهم ملكاً . فأقام فيهم شاول وهو طالوت بن قيس من سبط بنيامين ولم يكن طالوت من أعيانهم قيل : انه كان راعياً . وقيل : كان سقاء . وقيل : دباغاً . فملك طالوت سنتين واقتتل هو وجالوت . وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين وكان ملكه بجهات فلسطين وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم .

فلما برزوا للقتال طلب طالوت داود عليه السلام - وكان اصغر بني ابيه - وأمره بمبارزة جالوت بعد ان رأى فيه العلائم التي يستدل بها على انه هو الذي يقتل جالوت وهي دهن كان يستدير على رأس من يكون فيه السر ، واحضر أيضاً تنوراً حديداً وقال : الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملأ هذا التنور فلما اعتبر داود ملأ

التنور واستدار الدهن على رأسه . ولما تحقق ذلك منه بالعلامة أمره طالوت ان يبارز جالوت فبارزه وقتل داود جالوت . وكان عمر داود إذ ذاك ثلاثين سنة .

ثم بعد ذلك مات شمويل فدفنه بنو اسرائيل في الليل وناحوا عليه . وكان عمره اثنين وخمسين سنة .

وأحب الناس داود ومالوا اليه بالمحبة فحسده طالوت حسداً عظيما وقصد قتله مرة بعد اخرى فهرب داود منه وبقي متحرزاً على نفسه . ثم ندم طالوت بعد ذلك على ما كان منه في حق داود على ما قصد من قتله . ثم ان طالوت قصد فلسطين للغزاة وقاتلهم حتى قتل هو وأولاده في الغزاة . فيكون موته في اواخر سنة خمس وتسعين واربعمائة لوفاة موسى عليه السلام .

ثم ملك بعد ذلك ولده اشريوشت وكان ملكه على احد عشر سبطاً من بني اسرائيل وخرج من حكمه سبط يهوذا بن يعقوب فقط فملكوا عليهم سيدنا داود وهو من ذرية يهوذا المذكور .

ثم ملك عليهم جميعهم داود عليه السلام وهو داود بن بيشي بن عوفيل بن يوعز بن سلمون بن محشون بن عيناراب بن ردم ابن حضرون بن يارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان مقام داود بحبرون فلما استوثق له الملك ودخلت جميع الاسباط تحت طاعته وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمره انتقل الى القدس الشريف ، ثم فتح في الشام فتوحات كثيرة من ارض فلسطين وغيرها من الأقاليم .

وكان لقمان الحكيم على عهد داود عليه السلام وكان قاضياً في بني اسرائيل وآتاه الله الحكمة ولم يكن نبياً وقبره بقرية صرفند ظاهر مدينة الرملة وعليه مشهد وهو مقصود للزيارة .

وقال قتادة : قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها .

وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد أخرجهم

بنو اسرائيل من القدس فألجاؤهم الى الرملة ثم احاطوا بهم هناك فتلك قبورهم .

ولقد آتى الله داود ما نص عليه في كتابه العزيز قال تعالى : (ولقد آتينـا داود منا فضلاً) . يعني النبوة والكتاب . وقيل : الملك . وقيل : جميع ما أوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به . وقوله تعالى: (ياجبال اوّبي معه - أي سبحي معه . وقيل نوحي معه - والطير) . عطف على موضع الجبال . وقيل : معناه وسخرنا اي امرنا لطير ان يسبح معه ، فكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك . وقيل : كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح .

وقوله تعالى : (وألنا له الحديد) حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة ، وكان السبب في ذلك : ان داود لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكراً فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ويقول له : ما تقول في داود واليكم هذا اي رجل هو ؟ فيثنون عليـه ويقولون خيراً . فقيض الله له ملكاً على صورة آدميٍّ. فلما رآه داود تقدم اليه على عادته وسأله فقال له الملك : نعم الرجل هو لولا خصلة واحدة فيه . فراع داود ذلك وقال له : ما هي يا عبد الله ؟ قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ويتقوت به .

فتنبـه لذلك وسأل الله ان يسبب له شيئاً يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله . فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع . وهو اول من اتخذها . وقيل : انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منه عياله ويتصدق منهـا على الفقراء والمساكين . ويقال : انه كان يعمل في كل يوم درعاً يبيعه بستة آلاف درهم فينفق منها الفين على عيـاله وعلى نفسه ويتصـدق بأربعة آلاف درهم على الفقراء والمساكين من بني اسرائيل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان داود لا يأكل إلا من عمل يده .

ذكر قصة اوريا

ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة وهي السنة الثانية والعشرين من ملكه كانت قصته مع اوريا وزوجته وهي واقعة مشهورة وملخصها ما نقله المفسرون في قوله تعالى (وهل اتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ..) الآية . من قصة امتحان داود عليه السلام . واختلف العلماء باخبار الأنبياء في سببه فقال قوم : كان سبب ذلك انه تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب فسأل ربه ان يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما اعطاهم فروي ان داود كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام جعل يوماً يقضي فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه ويوماً لنسائه واشغاله .

وكان يجد فيما يقرأ من الكتب المتقدمة فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب ارني الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي . فأوحى الله تعالى اليه : انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها انت فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمروذ وناره وذبح ابنه اسحاق ، وابتلى اسحاق بالذبح وذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على فقد ولده يوسف . فقال داود : يارب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم لصبرت ايضاً . فأوحى الله اليه : اني مبتليك في شهر كذا في يوم كذا فاحترس .

فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه واغلق عليه بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وتمثل له في صفة حمامة من ذهب فيها كل لون حسن ، وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد . فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها لبني اسرائيل ليتعجبوا من قدرة الله تعالى . فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عن مكانها فتبعها فطارت حتى وقفت في كوة فذهب

ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امراة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل رآها على سطح لها تغتسل فرأى امراة من اجمل الناس خلقاً فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجاباً بها فسأل عنها فقيل له هي شارع زوجة اوريا ابن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود ٠

فذكر بعضهم انه كتب داود الى ابن اخته ايوب ان ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد . فبعثه وقدمه ففتح الله على يديه وكتب بذلك الى داود كتاباً يعلمه بما فتح على يديه .

فكتب له كتاباً ثانياً ان ابعثه الى مكان كذا ليفتحه ايضاً ٠ فبعثه ففتح له وكتب لداود بذلك ٠

فكتب له ثالثاً ان ابعثه الى كذا وكذا ٠ فبعثه ففتح . ثم بعثه الى مكان اشد منه فقتل في المرة الثالثة ٠

فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي ام سليمان عليهما السلام ٠ فلما دخل داود بزوجة اوريا لم يلبث معها إلا يسيراً حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي في المحراب إلا وهما جالسان بين يديه ٠ يقال انهما جبريل وميكائيل ٠ فذلك قوله تعالى : (وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور اذا علوتهما وقوله تعالى : (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) خاف منهم حين هجموا عليه في محرابه بغير اذنه فقال : ما ادخلكما علي ؟ (قالوا لا تخف خصمان ـ اي نحن خصمان ـ بغى بعضنا على بعض جئناك لتقضي بيننا فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ـ اي لا تجر ـ واهدنا الى سواء الصراط) اي ارشدنا الى طريق الصواب ٠

فقال داود لهما : تكلما . (فقال احدهما ان هذا اخي - أي على ديني وطريقي - له تسع وتسعون نعجة - يعني امراة - ولي نعجة واحدة - اي امراة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المراة - فقال اكفلنيها - يعني طلقها لأتزوجها - وعزني - اي غلبني - في الخطاب - اي في القول -) . وقيل : قهرني لقوة ملكه. وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولأوريا امراة واحدة فضمها الى نسائه .

قال داود : (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء - اي الشركاء - ليبغي بعضهم على بعض - اي يظلم بعضهم بعضاً - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - فانهم لا يظلمون احداً - وقليل ما هم) - اي قليل هم ، يعني الصالحون الذين لا يظلمون قليل .

فلما قضى بينهما داود نظر احدهما الى الآخر وضحك وصعدا الى السماء . فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله تعالى : (وظن داود - اي أيقن وعلم - إنما فتناه) اي ابتليناه .

عن ابن عباس وكعب ووهب قالوا جميعاً : ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى بينهما فتحولا الى صورتهما وعرجا الى السماء فسمعهما وهما يقولان : قد قضى الرجل على نفسه . فعلم داود انه عني بذلك فخر ساجداً اربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لوقت حاجة أو اداء صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً الى تمام الأربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو يناجي ربه ويسأله التوبة . وكان من جملة دعائه في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، إلهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته إذ نزلت بي ، سبحان خالق النور ، إلهي انت الذي خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي

عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي ، سبحان خالق النور
إآلهي بأي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين ، سبحان خالق
النور ، إآلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده ، سبحان خالق
النور ، إآلهي أنا الذي لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك ، سبحان خالق
النور ، إآلهي أنا الذي لا اطيق اسمع صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم ،
سبحان خالق النور ، إآلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابه ، سبحان
خالق النور ، إآلهي انا الذي اعترفت بذنبي ان لم يغفر السيد لعبده من ذا الذي
يغفر له ، سبحان خالق النور ، إآلهي انت تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري ،
سبحان خالق النور ، إآلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني
سبحان خالق النور ، إآلهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني ،
سبحان خالق النور ، إآلهي أقررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني
من القانطين ولا تخزني يوم الدين . سبحان خالق النور .

قال مجاهد : مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت العشب من
دموع عينيه وغطى رأسه فنودي ياداود أجائع فتطعم ام ظمآن فتسق او عار فتكسى
فاجيب بغير ما طلب قال: فنحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل
الله التوبة والمغفرة .

قال وهب : ان داود أتاه نداء من العلي الأعلى : اني قد غفرت لك . قال:
يا رب كيف وانت لا تظلم احداً ؟ قال : يا داود اذهب الى قبر اوريا فناده وانا
اسمعه نداءك فتحلل منه .

قال : فانطلق داود الى قبر اوريا وكان قد لبس المسوح حتى جلس عند قبر
اوريا ثم نادى وقال : يا اوريا . فقال: لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني ؟
قال : انا داود . قال : فما حاجتك يا نبي الله ؟ قال : جئت لأسألك ان تجعلني

في حل مما كان مني اليك . قال ؛ وما كان منك إلي ؟ قال : عرضتك للقتل . قال: عرضتني للجنة فأنت في حل مني .

فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ألم تعلم اني الحكم العدل لا اقضي بالتعنت لم لا أعلمته انك قد تزوجت بامرأته ؟ . قال : فرجع داود الى القبر ونادى : يا اوريا . فأجابه وقال : من هذا الذى قطع علي لذتي ؟ قال : أنا داود . قال : يا نبي الله ألست قد حاللتك وعفوت عنك ؟ قال نعم ولكني ما ارسلتك حتى قتلت إلا لمكان امرأتك وقد تزوجت بها ومرادي تحاللني بذلك . قال فسكت ولم يجبه . فدعاه فلم يجبه . وثالثاً فلم يجبه . فقام داود عند قبره وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وهو ينادي الويل لداود اذا نصب الميزان غداً بالقسطاس سبحان خالق النور ، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار ، سبحان خالق النور .

فأتاه النداء من العلي وهو يقول : سبحان خالق النور . يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك . قال : يا رب كيف وخصمي لم يعف عني ؟ قال : يا داود اعطيه من الثواب ما لم تره عيناه يوم القيامة ولم تسمعه اذناه فأقول له رضى عبدي فيقول يا رب انى لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول هذا عوض عن عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي .

قال : يارب قد عرفت الآن انك قدغفرت لي . وذلك قوله تعالى : (فاستغفر ربه وخر راكعاً ـ اي ساجداً عبر عن السجود بالركوع لأن كل واحد فيه انحناء ومعناه فخرّ بعد ما كان راكعاً اي سجد ـ واناب * ـ اي رجع ـ فغفرنا له ذلك ـ يعني ذلك الذنب ـ وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة بعد المغفرة .

قال وهب : ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ

دمعه ليلا ولا نهاراً وكان قد أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد تلك الخطيئة على اربعة ايام جعل يوماً للقضاء بين الناس ويوماً لنسائه ويوماً يسبح في الفيافي والجبال والسواحل والاوعار ويوماً يخلو في دار له فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه وهم يساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فتبكي معه الاشجار والاوعار والرمل والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل الأودية من بكائهم ، ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع فاذا امسى رجع .

فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه : ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب . ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول : يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله .

قال وهب : ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك ناول امرك ذنب وآخره معصية ارفع رأسك . فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماءً إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاماً إلا بله بدموعه .

وذكر الاوزاعي مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدّت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض .

قال وهب : لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فأستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم القيامة . قال : فوسم الله خطيئته في يده اليمنى ، فما رفع طعاماً ولا شراباً إلا بكى اذا رآها ، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحتيه فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته واستغفر للخاطئين قبل نفسه .

وعن الحسن : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطىء . ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه . وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي حتى تبتل بدموع عينيه ، وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين. وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله ، واذا ذكر رحمة الله تراجعت .

وفي القصة ان الوحوش والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته ، فروي انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك .

﴿ ذكر بناء سيدنا داود عليه السلام مسجد بيت المقدس ﴾

عن رافع بن عميرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى لداود : يا داود ابن لي بيتاً في الأرض . فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذى أمره الله تعالى به . فأوحى الله تعالى اليه : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي ؟ قال : اي رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر . ثم اخذ في بناء المسجد ـ يعني بيت المقدس ـ .

وعن وهب : لما تاب الله عز وجل على داود عليه السلام وكان قد بنى مدائن كثيرة وصلحت امور بني اسرائيل احب ان يبني بيت المقدس وعلى الصخرة قبة في الموضع الذي قدسه الله تعالى في ايليا وكان قد حسنت حال بني اسرائيل

وملؤا الشام وضاقت بهم فلسطين وما حولها فأحب داود عليه السلام ان يعلم عددهم فأمر باحصائهم على انسابهم وقبائلهم فكثر عليهم فلم يطيقوا احصاءهم .

وروي ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام لما كثر طغيان بني اسرائيل اني اقسمت بعزتي لأبتلينهم بالقحط سنتين أو اسلط عليهم العدو شهرين أو الطاعون ثلاثة أيام فجمعهم داود وخيرهم بين احدى الثلاث . فقالوا : انت نبينا وانت أنظر الينا من انفسنا فاختر لنا . فقال : اما الجوع فانه بلاء فاضح لا يصبر عليه أحـــد واما العدو والموت فاني اخبركم ان اخترتم تسليط العدو فانه لا بقية لكم والموت بيد الله تعالى تموتون بآجالكم في بيوتكم ففوضوا ذلك الى الله تعالى فهو ارحم بكم .

فاختـار لهم الطاعون وامرهم ان يتجهزوا له ويلبسوا اكفانهم ويخرجوا نساءهم وإماءهم واولادهم أمامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بني عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد . ففعلوا ثم نادوا : يا رب اللهم انك أمرتنا بالصدقة وانت تحب المتصدقين فتصدق علينا برحمتك ، اللهم انك أمرتنا بعتق الرقاب فنسألك برحمتك ان تعتقنا اليوم ، اللهم وقد أمرتنا ان لا نرد السائل اذا وقف على ابوابنا وقـد جئناك سائلين فلا تردنا . ثم خروا سجداً من حين طلوع الصبح .

فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى ان زالت الشمس ثم رفعه عنهم .

ثم اوحى الله الى داود عليـه السلام : ان ارفعوا رؤوسكم فقد شفعتك فيهم . فرفع داود رأسه ثم نادى : ان ارفعوا رؤوسكم . فرفعوا رؤوسهم وقد مات منهم مائة الف وسبعون الف اصابهم الطاعون وهم سجود فنظروا الى الملائكة يمشون بينهم بأيديهم الخناجر .

ثم عمد داود عليه السلام وارتقى الصخرة رافعاً يديه يحدث لله شكراً .
ثم انه جمع بني اسرائيل بعد ذلك وقال : ان الله سبحانه وتعالى قد رحمكم وعفا

عنكم فأحدثوا لله شكراً بقدر ما ابتلاكم. فقالوا له: مرنا بما شئت قال: اني لا أعلم أمراً ابلغ في شكركم من بناء مسجد على هذا الصعيد الذي رحمكم الله عليه فنبنيه مسجداً تعبدوا الله فيه وتقدسوه أنتم ومن بعدكم. قالوا: نفعل ٠ وسأل داود ربه فأذن له ٠ واقبلوا على بنائه ٠

وروي ان الله تعالى لما امر داود عليه السلام أن يبني مسجد بيت المقدس قال: يا رب وأين ابنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه. قال: فرآه داود في ذلك المكان فأسس قواعده ورفع حائطه. فلما ارتفع انهدم، فقال داود: يا رب امرتني ان ابني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته ٠ فقال: يا داود انما جعلتك خليفتي في خلقي فلمَ اخذت المكان من صاحبه بغير ثمن؟ انه سيبنيه رجل من ولدك ٠

وحكي في معنى هذا الأثر أن المكان كان لجماعة من بني اسرائيل ولكل واحد منهم فيه حق فطلبه داود منهم فأنعم به البعض باللفظ والبعض بالسكوت ففهم داود من الساكتين الرضا وكان بعضهم غير راض في الباطن. فحمل داود الأمر على ظاهره فبناه ٠

فجاء بعض اصحاب الحق الى بني اسرائيل وقال لهم انكم تريدون ان تبنوا على حقي وأنا مسكين وانه موضع بيدرى اجمع فيه طعامي فأرتفق بحمله الى منزلي لقربه فان بنيتم عليه أضررتم بي فانظروا في أمري ٠ فقالوا له: كل من بني اسرائيل له مثل حقك وانت ابخلهم فان اعطيته طوعاً وإلا أخذناه على كره منك ٠ فقال: أتجدون هذا في حكم داود؟ ثم انطلق وشكاهم اليه ٠ فدعاهم وقال لهم: تريدون ان تبنوا بيت الله بالظلم ما أراكم يا بني اسرائيل تستكينون لله عز وجل ولا أرى إلا ان البلاء يضغطكم ٠

ثم قال له داود: أتطيب نفسك على حقك فتبيعه بحكمك؟ فقال: ما تعطيني؟ قال: املأه لك إن شئت غنما وان شئت بقراً وإن شئت إبلا ٠ فقال: يا نبي الله

زدني فانما تشتريه لله عز وجل فلا تبخل عليّ . فقال داود : احتكم فانك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك . فقال : ابن لي حائطاً قدر قامتي ثم املأه لي ذهباً . فقال له داود عليه السلام : نعم ، وهو في الله قليل .

فالتفت الرجل الى بني اسرائيل فقال : هذا والله التائب الصادق المخلص ، ثم قال : يا نبي الله قد علم الله عز وجل مني لمغفرة ذنب من ذنوبي وذنوب هؤلاء أحب إليّ من ملء الارض ذهباً فكيف يظن هؤلاء اني ابخل عليهم وعلى نفسي بما ارجو به المغفرة لذنوبي وذنوبهم ولكني جربتهم رحمة لهم وشفقة عليهم وقد جعلته لله .

فأقبلوا على عمل مسجد بيت المقدس وباشر داود العمل بنفسه وجعل ينقل الحجر على عاتقه ويضعه بيده في موضعه ومعه احبار بني اسرائيل .

وروي ان داود لما ابتدأه ورفعه قامة رجل أوحى الله اليه : اني لم اقض ذلك على يديك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي اتمامه على يديه .

وتوفي داود عليه السلام قبل اتمامه وله سبعون سنة . وقيل : غير ذلك .

وانزل الله عليه الزبور وهو مائة وخمسون سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر ، وفي خمسين منها ما يلقونه من الروم ، وفي خمسين مواعظ وحكم . ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا احكام .

وكانت وفاته في يوم السبت اواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى «ع» وملك داود اربعين سنة واوصى قبل موته بالملك الى سليمان ولده واوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوي على جمل كثيرة من الذهب .

وعن كعب ووهب : ان داود عليه السلام أعد لبناء بيت المقدس مائة الف بدرة ذهباً والف الف بدرة ورقاً وثلاثمائة الف دينار لطلاء البيت وذكر أن هذا مال لا تفي به المعادن .

قال وهب : دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية شرقي بيت المقدس

في الوادي · ويقال ان قبر داود عليه السلام بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدي طائفة الافرنج لأنها كانت داره ، وفي كنيسة صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ، ويقال ان قبر داود فيه · وهذا الموضع هو الآن بأيدي المسلمين ·

وسنذكر ما وقع في ذلك في عصرنا من التنازع بين المسلمين والنصارى فيما بعد في حوادث سنة خمس وتسعين وثمانمائة إن شاء الله تعالى ·

﴿ ملك سليمان عليه السلام ﴾

لما توفى داود ملك ابنه سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة ، ومولد سليمان بغزة · وآتاه الله من الحكمة والعلم والملك ما لم يؤته لأحد سواه على ما اخبر الله عز وجل به في محكم كتابه العزيز فأطاع له الله الانس والجن والشياطين والرياح والطيور والوحوش والهوام وكل المخلوقات على اختلاف أجناسها فسبحان المتفضل بما شاء على من شاء ·

﴿ بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت المقدس ومسجدها ﴾

لما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان عليه السلام في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه اليه ·

وكانت مدينة بيت المقدس في زمن بني اسرائيل عظيمة البناء متسعة العمران وكانت اكبر من مصر ومن بغداد على ما يوصف فيقال ان العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القبلة الى القرية المعروفة يومئذ بدير السنة ومن جهة الشرق الى جبل طور زيتا واستمرت العمارة بطور زيتا الى حين الفتح العمري ومن جهة الغرب الى ماء ملا ومن جهة الشمال الى القرية التي بها قبر النبي شمويل صلى الله عليه وسلم

واسمها عند اليهود رامة ومسافتها عن بيت المقدس تقرب من ربع بريد فعمارة داود وسليمان عليهما السلام لمدينة القدس انما هي تجديد البناء القديم ٠

وتقدم في اول الكتاب ذكر أول من بنى المدينة وعمرها واختطها وانه سام ابن نوح عليهما السلام وكان محل المسجد بين عمران المدينة وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود ثم سليمان عليهما السلام ٠

وكان من خبر ذلك ما روي أن الله عز وجل لما اوحى الى سليمان «ع» ان ابن بيت المقدس جمع حكماء الانس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة وبيضة الدجاجة واخذ في بناء بيت المقدس وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط وكانوا اثنى عشر سبطاً فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فلم يثبت البناء فأمر بهدمه ثم حفر الارض حتى بلغ الماء فأسسه على الماء والقوا فيه الحجارة فكان الماء يلفظها فدعا سليمان عليه السلام الحكماء الاحبار ورئيسهم آصف بن برخيا واستشارهم فقالوا : إنا نرى ان نتخذ قلالاً من نحاس ثم نملأها حجارة ثم نكتب عليها الكتاب الذي في خاتمك ثم نلقي القلال في الماء . وكان الكتاب الذي على الخاتم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ٠

ففعلوا فثبتت القلال فألقوا المؤن والحجارة عليها وبنى حتى ارتفع بناؤه وفرق الشياطين في انواع العمل فدأبوا في عمله وجعل فرقة منهم يقطعون معادن الياقوت والزمرد ويأتون بأنواع الجواهر وجعل الشياطين صفاً مرصوصاً من معادن الرخام الى حائط المسجد فاذا قطعوا من المعادن حجراً أو اسطوانة تلقاه الأول منهم ثم الذي يليه ويلقيه بعضهم الي بعض حتى ينتهي الى المسجد وجعل فرقة لقطع الرخام الابيض الذي منه ما هو مثل بياض اللبن بمعدن يقال له السامور

والذي دلهم على معدن السامور عفريت من الشياطين كان في جزيرة من جزائر البحر فدلوا سليمان عليه السلام عليه فأرسل اليه بطابع من حديد وكان خاتمه يرسخ في الحديد والنحاس فيطبع الى الجن بالنحاس والى الشياطين بالحديد ولا يجيبه اقصاهم إلا بذلك وكان خاتماً نزل عليه من السماء حلقته بيضاء وطابعه كالبرق لا يستطيع احد ان يملأ بصره منه فلما وصل الطابع الى العفريت وجيء به قال له هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر فاني اكره صوت الحديد في مسجدنا هذا والذي امرنا الله به من ذلك الوقار والسكينة ٠

فقال له العفريت : اني لا اعلم في السماء طيراً أشد من العقاب ولا اكثر حيلة منه وذهب يبتغي وكر عقاب فوجد وكراً فغطى عليه بترس غليظ من حديد فجاء العقاب الى وكره فوجد الترس فبحثه برجله ليزيحه أو ليقطعه فلم يقدر عليه فحلق في السماء ولبث يومه وليلته ثم اقبل ومعه قطعة من السامور فتفرقت عليه الشياطين حتى اخذوها منه واتوا بها الى سليمان عليه السلام وكان يقطع بها الصخرة العظيمة ٠

وكان عدد من عمل معه في بناء بيت المقدس ثلاثين الف رجل وعشرة آلاف يتراوحون عليهم قطع الخشب في كل شهر عشرة آلاف خشبة . وكان الذين يعملون في الحجارة سبعين الف رجل وعدد الامناء عليهم ثلثمائة غير المسخرين من الجن والشياطين ٠ وعمل فيه سليمان عليه السلام عملا لا يوصف وزينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وانواع الجواهر في سمائه وارضه وابوابه وجدرانه واركانه ما لم ير مثله وسقفه بالعود اليلنجوج وصنع له مائتي سكرة من الذهب وزن كل سكرة عشرة ارطال واولج فيه تابوت موسى وهارون عليهما السلام ٠

ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس انبت الله شجرتين عند باب الرحمة احداها تنبت الذهب والاخرى تنبت الفضة فكان في كل يوم ينزع من كل واحدة مائتي رطل ذهباً وفضة ، وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من

فضة فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر ٠

وكانت صخرة بيت المقدس أيام سليمان عليه السلام ارتفاعها اثنى عشر ذراعاً وكان الذراع ذراع الأمان ذراعاً وشبراً وقبضة وكان ارتفاع القبة التي عليها ثمانية عشر ميلا ، وروي اثنى عشر ميلا ٠ وفوق القبة غزال من ذهب بين عينيه درة او ياقوتة حمراء تغزل نساء البلقاء على ضوئها بالليل - وهي فوق مرحلتين من القدس - ٠

وكان اهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس من المشرق وعمواس بفتح الميم وسكونها وهي التي سمي بها الطاعون على الراجح لأنه منها ابتدأ وكان في سنة ثماني عشرة من الهجرة وهي بالقرب من رملة فلسطين مسافتها عن بيت المقدس نحو بريد ونصف ٠

واذا غربت الشمس استظل بها اهل بيت الرامة وغيرهم من الغور ومسافتها عن بيت المقدس أبعد من عمواس ٠

قال بعض المؤرخين: وعمل خارج البيت سوراً محيطاً امتداده خمسمائة ذراع في خمسمائة ذراع وأقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين ٠

وفرغ منه في السنة الحادية عشر من ملكه ٠ فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في اواخر سنة ست واربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ٠ وكان من هبوط آدم عليه السلام الى ابتداء سليمان ببناء بيت المقدس اربعة آلاف واربعمائة واربع عشرة سنة ٠

وبين عمارة بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ألف وثمانمائة سنة كاملة وقريب ستين ، فيكون الماضي من عمارة بيت المقدس على يد سليمان الى عصرنا هذا وهو اواخر ذي الحجة ختام عام تسعمائة : الفين وسبعمائة سنة وقريب ستين ٠

واما بناء مدينة القدس الأوّل فقد تقدم ان اول من بناهـا سام بن نوح وكانت وفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الف وستمائة واثنان وسبعون سنة ، وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة . فيكون الماضي من وفاة سام الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة اربعة آلاف وثلثمائة واربعاً وسبعين سنة . فيعلم من ذلك تاريخ بناء بيت المقدس الاول تقريباً والله أعلم .

وملخص القول : ان من هبوط آدم عليـه السلام الى الطوفان الفين ومائتين واثنتين واربعين سنة ومن الطوفان الى وفاة سام بن نوح خمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الفاً وستمائة واثنتين وسبعين سنة ، ومن بناء سليمان الى الهجرة الشريفة الفاً وثلثمائة وقريب ستين ، ومن الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة .

فهذه المدة التي تقدم ذكر تفصيلها قبل ذلك في اماكن متفرقة ، وجملتها : من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة سنة وستة عشر سنة على اختيار المؤرخين كما تقدم عند ذكر سيدنا آدم عليه السلام . والخلاف في ذلك كثير . ويأتي ذكر بناء مدينة سيدنا الخليل عليه السلام وأول من اختطها فيما بعد إن شاء الله .

ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً : سأله حكماً يوافق حكمه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وسأله ان لا يأتي هذا المسجد احد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه . ولهذا كان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يأتي بيت المقدس فيصلي ركعتين ثم يخرج ولا يشرب فيه كأنه يطلب دعوة سليمان .

وروي عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال : ان سليمان ابن داود «ع» سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة سأله حكماً

يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ، وسأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه ؛ فنحن نرجو ان يكون قد اعطاه إياه .

ولما رفع سليمان عليه السلام يده من البناء بعد الفراغ منه واحكامه جمع الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو أمره ببنائه وان كل شيء فيه لله تعالى من انتقصه أو شيئاً منه فقد خان الله تعالى وان داود عهد اليه ببنائه واوصاه بذلك من بعده . ثم اتخذ طعاماً وجمع الناس جمعاً لم ير مثله قط ولا طعاماً اكثر منه ، ثم امر بالقرابين فقربت الى الله تعالى وجعل القربان في رحبة المسجد وميز ثورين واوقفهما قريباً من الصخرة ثم قام على الصخرة فدعا بدعائه المتقدم ذكره وزاد عليه زيادة وهي :

اللهم انت وهبت لي هذا الملك مناً منك وطولاً علي وعلى والدي وأنت ابتدأتني وإياه بالنعمة والكرامة وجعلته حكماً بين عبادك وخليفة في ارضك وجعلتني وارثه من بعده وخليفة في قومه وانت الذي خصصتني بولاية مسجدك هذا واكرمتني به قبل ان تخلقني فلك الحمد على ذلك ولك المن ولك الطول اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال :

أن لا يدخل اليه مذنب لا يعمده إلا لطلب التوبة ان تتقبل منه توبته وتغفر له .

ولا يدخله خائف لا يعمده إلا لطلب الأمن من ان تؤمنه من خوفه وتغفر له ذنبه .

ولا يدخله سقيم لم يعمده إلا لطلب الشفاء ان تشفي سقمه وتغفر له ذنبه .

ولا يدخله مقحط لا يعمده إلا للاستسقاء ان تسقي بلاده .

وان لا تصرف بصرك عن من دخله حتى يخرج منه .

اللهم ان اجبت دعوتي واعطيتني مسألتي فاجعل علامة ذلك أن تتقبل قرباني .

فتقبل القربان ، ونزلت نار من السماء فامتدت ما بين الافقين ثم امتد عنق منها فأخذ القربان وصعد به الى السماء .

وروي : ان نبي الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ذبح ثلاثة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ، ثم اتى الى المكان الذي في مؤخر المسجد مما يلي باب الاسباط وهو الموضع الذي يقال له كرسي سليمان وقال :

اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر له أو ذي ضر فاكشف ضره . فلا يأتيه احد إلا اصاب من دعوة سليمان عليه السلام .

وهذا الموضع الذي هو معروف بكرسي سليمان من الأماكن المعروفة باجابة الدعاء وهو داخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية .

ورتب له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار حتى لاتأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله تعالى يعبد فيه .

وكان سليمان عليه السلام اذا دخل مسجد بيت المقدس ـ وهو ملك الارض ـ يقلب بصره ليرى أين يجلس المساكين من العمى والخرس والمجذومين فيدع الناس ويجلس معهم متواضعاً لا يرفع طرفه الى السماء ثم يقول : مسكين مع المساكين .

وروي ان مفتاح بيت المقدس كان يكون عند سليمان عليه السلام لا يأمن عليه احداً . فقام ذات ليلة ليفتحه فصعب عليه فاستعان عليه بالانس فعسر عليهم ثم استعان عليه بالجن فعسر عليهم ، فجلس كئيباً حزيناً يظن ان ربه قد منعه منه . فبينما هو كذلك إذ اقبل شيخ يتكيء على عصا له وقد طعن في السن ـ وكان من جلساء داود عليه السلام ـ فقال يا نبي الله أراك حزيناً ؟ فقال : قمت الى هذا الباب لأفتحه فعسر علي فاستعنت عليه بالانس والجن فلم ينفتح .

فقال الشيخ : ألا اعلمك كلمات كان ابوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه ؟ قال: بلى . قال : قل : اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك اصبحت وامسيت ذنوبي بين يديك استغفرك واتوب اليك ياحنان يامنان. فلما قالها فتح له الباب.

فيستحب ان يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء اذا دخل من باب الصخرة، وكذلك من باب المسجد .

ومن العجائب التي كانت ببيت المقدس : السلسلة التي جعلها سليمان بن داود عليهما السلام معلقة من السماء الى الارض شرقي الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر :

لقد مضى الوحي ومات العلا   وارتفع الجود مع السلسلة

وكانت هذه السلسلة لا يأتيها رجلان إلا نالها المحق منهما ، ومن كان مبطلا ارتفعت عنه فلم ينلها .

وملخص حكايتها مع اختلاف فيه : ان رجلا يهودياً كان قد استودعه رجل مائة دينار . فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك اليهودي ، فترافعا الى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودي بمكره ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها . فلما اتى ذلك المقام دفع العصا الى صاحب الدنانير وقبض على السلسلة ثم حلف بالله لقد أعطاه دنانيره ، ثم دفع اليه صاحب الدنانير العصا واقبل حتى اخذ السلسلة فحلف انه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من ذلك فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم لخبث الطويات . وحكي غير ذلك .

وجعل سليمان عليه السلام تحت الأرض بركة وجعل فيها ماء وجعل على وجه ذلك الماء بساطاً ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل اذا وقع في ذلك الماء غرق ومن كان على الحق لم يغرق .

ومن العجائب التي كانت أيضاً في بيت المقدس في الزمان الأول ما حكاه صاحب مثير الغرام ان الضحاك بن قيس صنع به عجائب :

الاولى : انه صنع به في ذلك الزمان ناراً عظيمة اللهب فمن عصى الله في تلك الليلة احرقته تلك النار حين ينظر اليها .

والثانية : من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة اليه.

والثالثة : وضع كلباً من خشب على باب بيت المقدس فمن كان عنده شيء من السحر اذا مر بذلك الكلب نبح عليه فاذا نبح عليه نسى ما عنده من السحر .

والرابعة : وضع باباً فمن دخل منه اذا كان ظالماً من اليهود ضغطه ذلك البـاب حتى يعترف بظلمه .

والخامسة : وضع عصا في محراب بيت المقدس فلم يقدر احد يمس تلك العصا إلا من كان من ولد الأنبياء ومن كان سوى ذلك احرقت يده .

والسادسة : كانوا يحبسون اولاد الملوك عندهم في محراب بيت المقدس فمن كان من اهل المملكة اذا اصبح اصابوا يده مطلية بالدهن .

وكان ولد هارون يجيئون الى الصخرة ويسمونها الهيكل بالعبرانية وكانت تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير ان تمس . وكانت تنزل نار من السماء فتدور على مثال سبع على جبل طور زيتا ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ثم تصير على الصخرة فيقول ولد هارون : تبارك الرحمن لا إله إلا هو .

فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت تنزل النار فيه فنزلت وليس هم حضوراً ثم ارتفعت النار . فجاؤا فقال الكبير للصغير : يا أخي قد كتبت الخطيئة أي شيء ينجينـا من بني اسرائيل ان تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج ؟ فقال الصغير للكبير : تعال حتى نأخذ من نار الدنيا فنسرج القناديل لئلا يبقى هذا البيت في هذه الليلة بلا نور ولا سراج . فأخـذ من نار الدنيا واسرجا ، فنزلت عليهما النار في ذلك الوقت فأحرقت نار السماء نار الدنيا واحرقت ولدي هارون .

فناجى نبي ذلك الزمان فقال : يا رب احرقت ولدي هـارون وقد علمت مكانهمـا . فأوحى الله تعالى اليه : هكذا افعل بأوليـائي اذا عصوني فكيف افعل بأعدائي .

﴿ طلسم الحيات ﴾

قال الحافظ بن عساكر : قرأت في كتاب قديم فيه : وفي بيت المقدس حيات عظيمة قاتلة إلا ان الله تعالى قد تفضل على عباده بمسجد على ظهر الطريق أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنيسة هناك تعرف بقمامة وفيه اسطوانتان كبيرتان من حجارة على رأسهما صور حيات يقال انها طلسم لها فمتى لسعت انساناً حية في بيت المقدس لم تضره شيئاً وان خرج عن بيت المقدس شبراً من الأرض مات في الحال ودواؤه من ذلك ان يقيم في بيت المقدس ثلاثمائة وستين يوماً فان خرج منه وقد بقي من العدة يوم واحد هلك ·

وذكر الهروي أيضاً نحو هذا في كتاب الزيارات له قال صاحب مثير الغرام رحمه الله : وقد اخبرني الفقيه شمس الدين محمد بن علي بن عقبة وهو عدل فاضل ثقة ان ذلك اتفق لشخص سماه هو وانسيت اسمه كان يلعب بالحيات فلدغته حية فخرج من المقدس فمات وهذا يؤيد ما ذكراه ·

قلت : وهذا المسجد معروف وهو بحارة النصارى بالقدس الشريف بجوار كنيسة قمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة الى الخانقاه الصلاحية والذي يظهر ان طلسم الحيات بطل منه والله أعلم ·

ولما انتهت عمارة مسجد بيت المقدس شرع سليمان في بناء دار مملكته بالقدس الشريف واجتهد في عمارتها وتشييدها ، وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة ، وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه ·

﴿ قصة بلقيس ﴾

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها وقصتها معه مشهورة وملخصها : ان سيدنا سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى مكة . فتجهز للسير واستصحب من الجن والانس

والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح .

فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله ان يقيم ، وكان ينحر كل يوم ـ طول مقامه بمكة ـ خمسة آلاف ناقة ، ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة . وقال لمن حضره من اشراف قومه ! هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على من عاداه ، وتبلغ هيبته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم .

قالوا : فبأي دين يدين يا نبي الله ؟ قال : بدين الحنيفية فطوبى لمن آمن به وادركه . فقالوا : كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال : مقدار الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل .

فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحاً وسار حتى لحق اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضاً حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليتغدى ويصلي .

وكان الهدهد دليل سليمان على الماء فانه كان يعرف موضع الماء ويراه تحت الارض كما يرى في الزجاجة فيعرف قربه من بعده فينقر الأرض حتى تجيء الشياطين فيسلخونها ويستخرجون الماء . فلما نزل سليمان قال الهدهد : سليمان قد اشتغل بالنزول . فارتفع نحو السماء حتى نظر الى طول الدنيا وعرضها ، فنظر يميناً وشمالا فرأى بستاناً لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه .

وكان اسم هدهد سليمان يعفور . واسم هدهد اليمن عنيفر .

فقال عنيفر اليمن ليعفور سليمان : من أين اقبلت وأين تريد ؟ قال : اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود . فقال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والرياح . فقال يعفور لعنيفر : فمن أين أنت ؟ قال : أنا من هذه البلاد . قال : ومن ملكها ؟ قال : امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كلها

وتحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف مقاتل ، فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها ؟ قال : اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الماء . قال الهدهد اليماني ان صاحبكم يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة . فانطلق معه حتى نظر الى بلقيس وملكها ، وما رجع الى سليمان إلا وقت العصر .

فلما نزل ودخل عليه وقت الصلاة - وكان نزل على غير ماء - فسأل الجن والانس والشياطين عن الماء فلم يعلموا .

فتفقد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري أين هو وما ارسلته مكاناً . فغضب عند ذلك سليمان وقال (لأعذبنه عذاباً شديداً او لأذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين) .

واختلف في العذاب الذي توعده به : فأظهر الاقوال ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النحل ولا من هوام الأرض أو لأذبحنه اي لأقطعن حلقه . او ليأتيني بسلطان مبين : بحجة بينة وعذر ظاهر .

ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال عليّ بالهدهد الساعة .

فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم ، ثم التفت يميناً وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من ناحية اليمن فانقض العقاب نحوه يريده . فلما رأى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بالذي قواك واقدرك علي إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء . فولى العقاب وقال : ويلك ثكلتك امك ان نبي الله حلف ان يعذبك أو يذبحك . ثم طارا متوجهين نحو سليمان .

فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له : ويلك أين غبت في يومك هذا القدر توعدك سليمان نبي الله ، واخبروه بما قال . فقال الهدهد : وما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى ، قال : (أو ليأتيني بسلطان مبين) . قال : نجوت إذاً .

ثم انطلق العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان ـ وكان قاعداً على كرسيه ـ فقال العقاب : قد اتيتك به يا نبي الله . فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعاً لسليمان . فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال : اين كنت ؟ لأعذبنك عذاباً شديداً . فقال له الهدهد : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل . فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه .

ثم سأله ما الذي ابطأك عني ؟ فقال الهدهد ما اخبر به الله تعالى في قوله : (فمكث غير بعيد ـ اي غير طويل ـ فقال احطت بما لم تحط به) والاحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته ، يقول : علمت ما لم تعلمه وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) .

واختلف في سبأ : فقيل : اسم البلد . وقيل : اسم رجل .

فقال سليمان : وما ذاك ؟ قال : اني وجدت امرأة تملكهم اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان ابوها ملكاً عظيم الشأن وقد ولد له اربعون ملكاً وهي آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف: ليس احد منكم كفؤاً لي ، وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت اليسكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها .

وجاء في الحديث : ان احد ابوي بلقيس كان جنياً فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فملكوا عليهم رجلا ، فافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن . ثم ان الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته فيفجر بهن ، فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه .

فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة ، فأرسلت اليه تعرض نفسها عليه . فأجابها الملك وقال : ما منعني ان ابتدئك بالخطبة إلا الأياس منك . فقالت : لا ارغب عنك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم . فجمعهم وخطبها اليهم . فقالوا :

لا نراها تفعل هذا . فقال لهم : انها طلبت ذلك وانا احب ان تسمعوا قولها .
فجاؤها فذكروا لها ذلك . فقالت : نعم احببت الولد . فزوجوها منه .

فلما زفت اليه خرجت باناس كثيرة من حشمها ، فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها .

فلما اصبحوا ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا : أنت بهذا الملك احق من غيرك . فملكوها .

وقد جاء في الحديث الشريف : ان رسول الله (ص) لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : لا أفلح قوم ولوا امرهم امرأة .

قال الله تعالى : (واوتيت من كل شيء ـ اي تحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة ـ ولها عرش عظيم) سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللا بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت ومن الزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب يغلق .

قال ابن عباس : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً . وقيل غير ذلك .

(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والارض ـ فخبء السماء المطر وخبء الارض النبات ـ ويعلم ما يخفون وما يعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره .

وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل .

فلما فرغ الهدهد من كلامه قال له سليمان : (سننظر أصدقت فيما اخبرت أم كنت من الكاذبين) . فدلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب . ثم كتب سليمان كتاباً :

من عند سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : (فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين) .

ولم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه . وكذلك الأنبياء كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون .

فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول - تنح عنهم وكن قريباً منهم - فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب .

فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس - وكانت بأرض اليمن بأرض يقال لها مأرب بأرض صنعاء على ثلاثة ايام - فوافاها في قصرها وقد اغلقت الأبواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها . فأخذت بلقيس الكتاب - وكانت قارئة - فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت . لأن ملك سليمان كان في خاتمه ، وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكاً منها ، فقرأت الكتاب . وتأخر الهدهد غير بعيد .

فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها ، وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر الف قائد مع كل قائد مائة الف مقاتل ، فجاؤا واخذوا مجالسهم . فقالت لهم بلقيس : (يا ايها الملأ - وهم اشراف النـــاس وكبراؤهم - اني القي إليّ كتاب كريم) . سمته كريماً لأنه كان مختوماً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ؛ كرامة الكتاب ختمه .

ثم بينت ممن الكتاب وقالت ؛ (انه من سليمان) وبينت المكتوب فقالت : (وانه بسم الله الرحمن الرحيم * ان لا تعلو علي) قال ابن عباس : لا تتكبروا علي . (وائتوني مسلمين) طائعين . قيل : هو من الاسلام ، وقيل : هو من الاستسلام .

(قالت يا ايها الملأ افتوني في امري - اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني ما كنت قاطعة قاضيـة وفاصلة امراً - حتى تشهدون - اي تحضرون - قالوا - مجيبين لها - نحن اولوا قوة - في المال - واولوا بأس شديد) - عند الحرب والقتال - .

ثم قالوا : والأمر اليك ايتها الملكة في القتال وتركه فانظري من الرأي ماذا تأمرين تجدينا لأمرك مطيعين ·

قالت بلقيس ـ مجيبة لهم عند التعريض بالقتال ـ : (ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة افسدوها ـ خربوها ـ وجعلوا أعزة اهلها أذلة) اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر . تحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ، وتناهى الخبر عنها هاهنا فصدق الله قولها فقال : (وكذلك يفعلون) اي كما قالت هي يفعلون ·

ثم قالت (واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) والهدية هي العطية على ظهر الملاطفة ·

وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست ، فقالت للملأ حولها من قومها : اني مرسلة الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي واختبره بها أملك هو أم نبي فان يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف ، وان يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا ان نتبعه على دينه · وذلك قوله تعالى (فناظرة بم يرجع المرسلون).

فأهدت له وصفاء ووصائف وألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف ذكرهم من اناثهم . وقيل : ألبست الغلمان لباس الجواري وعكسه ، وكان في لباسهم ما هو مرصع بأنواع الجواهر واركبتهم الخيول بلجم الذهب مرصعة بالجواهر وجعلت الغواشي من الديباج الملون وبعثت اليه خمسمائة لبنة من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة مكللة بالدر واليواقيت ، وارسلت اليه المسك والعنبر والعود اليلنجوج ، وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية صغيرة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب رأي وعقل ، وكتبت اليه كتاباً بنسخة الهدية وقالت له : ان كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقباً مستوياً وادخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن ·

وأمرت بلقيس الغلمان وقالت لهم : اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنث يشبه كلام النساء ، وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت لرسولها : انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره فأنا اعز منه ، وان رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم انه نبي مرسل فافهم قوله ورد الجواب . فانطلق رسولها بالهدية .

واتى الهدهد مسرعاً الى سليمان فأخبره الخبر كله .

فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ، ففعلوا . ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه ـ وكان تسع فراسخ ـ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وان يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللبنات خالياً وباقي الارض مفروشة ، وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرافاتها من الذهب والفضة .

ثم قال : اي الدواب خير ما رأيتم في البر والبحر ؟ قالوا : يانبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا ممنطقة مختلفة الوانها على صفات الخيل ولها اجنحة واعراف ونواصي . فقال سليمان : علي بها الساعة . فأتوا بها . فقال : شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علفها فيها .

ثم قال سليمان للجن : علي بأولادكم فاجتمع عنده خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره ، وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفاً فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، وامر الانس ان يصطفوا مثلهم فاصطفوا فراسخ ، ثم ثم امر الطيور والوحوش والهوام ان يصطفوا فاصطفوا فراسخ عن يمين سليمان وعن يساره . وهو جالس على كرسيه والجميع حوله وعن يمينه وشماله .

فلما دنا القوم من الميدان ورأوا سليمان ونظروا الى ملكه ونظروا الدواب البحرية التي لم ترَ اعينهم مثلها على وجه الارض وهم يبولون على لبن الذهب والفضة

ويروثون عليها تقاصرت انفسهم ورموا جميع ما معهم من الهدايا في ذلك المكان خوفاً من ان يتهموا بذلك ·

ولما نظروا الى الشياطين ورأوا منظراً عجيبا فزعوا وخافوا · فقال لهم الشياطين : جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والوحوش والطير والسباع والهوام حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم منظراً حسنا بوجه طلق وبشاشة وقال : ما رواه كم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤا له به ، واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ، ثم قال : أين الحقة ؟ فأتوه بها فحركها · وجاءه جبرئيل عليه السلام واخبره بما فيها ·

فقال سليمان : ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب · فقال له الرسول : صدقت ، فاثقب لنا الدرة وادخل الخيط في الخرزة · فقال سليمان : من لي بثقبها · وسأل سليمان الانس والجن ، فلم يكن عندهم علم من ذلك · ثم سأل الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة · فجاءت فأخذت شعرة في فمها ودخلت الخرزة بها حتى خرجت من الجانب الآخر ·

فقال سليمان للأرضة : ما حاجتك ؟ وما الذي تريدين ؟ قالت : يا نبي الله اريد ان تصير رزقي في الشجر · فقال لها : لك ذلك ·

ثم قال سليمان : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟

فقالت دودة بيضاء : أنا لها يا رسول الله ·

فأخذت الدودة الخيط في فمها ودخلت من جانب ثم خرجت من الجانب الآخر · فقال لها سليمان ماتريدين؟ قالت : تجعل رزقي في الفواكه · فقال لها : ذلك لك ·

ثم ميز الجواري والغلمان بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم · فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه . وجعل الغلام كلما اخذ من الآنية يضرب به وجهه · وكانت الجارية تصب الماء صبا ، والغلام يحدر الماء على يديه حدراً · فميز بينهما بذلك ·

ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى عنه : (فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله من الدين والنبوة والحكمة والملك خير أفضل مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) لأنكم اهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم الى بعض ، واما أنا فلا افرح بها . وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعطه لأحد ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ٠

ثم قال للمنذر بن عمرو ــ وهو أمير القوم ــ : ارجع اليهم بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ــ اي لا طاقة لهم بها ــ ولنخرجنهم منها ــ اي من ارضهم وبلادهم وهي سبأ ــ أذلة وهم صاغرون) اي ذليلون إن لم يأتوني مسلمين ٠

فلما رجع رسول بلقيس اليها قالت : قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة ٠ ثم بعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ٠

ثم امرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور ثم غلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه . ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا تخلص اليه أحداً ولا تدنيه حتى آتيك . ثم امرت منادياً ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل . ثم شخصت الى سليمان في اثنى عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة ٠

وكان سليمان رجلاً مهاباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه . فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا له : هذه بلقيس وقد نزلت بهذا المكان . وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان ٠

فأقبل سليمان حينئذ على جنوده وقال لهم : يا ايها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين مؤمنين ٠ وقال ابن عباس مسلمين اي طائعين ٠

واختلفوا في السبب الذي لأجله امر سليمان باحضار عرشها :

فقال اكثرهم : لأن سليمان علم انها إن اسلمت حرم عليه مالها فأراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها · وقيل اراد ان يريها قدرة الله عز وجل وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها عرشها . قال قتادة : لأنه اعجبه صفته حين وصفه الهدهد فأحب ان يراه ·

وقال زيد : اراد ان يبدأ بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها ·

(قال عفريت من الجن) ـ وهو المارد القوي . قيل اسمه كودى ، وقيل اسمه دوكان ، وقيل هو صخر الجني. وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ـ (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) ـ اي مجلسك الذي تحكم فيه ـ وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى فراغ النهار (واني عليه ـ أي على حمله ـ لقوي أمين) على ما فيه من الجواهر والمعادن ·

فقال سليمان · اريد شيئاً يكون اسرع من ذلك ·

(فقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) .

واختلفوا فيه : فقيل هو جبريل عليه السلام · وقيل هو ملك من الملائكة ايد الله به سليمان عليه السلام . وقال الاكثرون هو آصف بن برخيا وكان صديقاً يعرف اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب ، واذا سئل به اعطى ·

وروي عن ابن عباس انه قال : ان آصف قال لسليمان ـ حين صلى ـ : مد عينيك حتى ينتهي طرفك . فمد عينيه ـ اي بصره ـ فنظر نحو اليمن فدعا آصف بين يدي سليمان فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض وهم يخدون خداً حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان . وقيل غير ذلك · وقيل كانت المسافة مقدار شهرين ·

واختلف في الدعاء الذي دعا به آصف: فقيل انه قال: يا ذا الجلال والاكرام . وقيل : يا حي يا قيوم ·

وعن الزهري : قال الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء

إلهاً واحداً لا إله إلا انت ائتني بعرشها · وقيل انما هو سليمـان قال له عالم من بني اسرائيل ـ آتاه الله علماً وفهماً ـ (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك). قال سليمان : هات · قال : انت النبي وليس احد عند الله اوجه منك فاذا دعوت اليه وطلبته كان عندك · قال : صدقت · ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت ·

وقوله (قبل ان يرتد اليك طرفك) : قال سعيد بن جبير : يعني من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مد بصرك . وقيل غير ذلك ·

(فلما رآه ـ يعني سليمان العرش ـ مستقراً عنده ـ محمولا اليه من هذه المسافة البعيدة في قدر ارتداد الطرف ـ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر نعمته أم اكفر ـ فلا أشكرها ـ ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره عليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربي غني) عن شكره و كريم بالافضال على من يكفر نعمته.

(قال سليمـان نكروا لها عرشها) أي سريرها الى حال تنكره اذا رأته · فقيل جعل اسفله اعلاه وعكسه وجعل مكان الجوهر الاحمر : الاخضر وعكسه (ننظر أتهتدي ـ الى عرشها فتعرفه ـ أم تكون من الجاهلين) الذين لا يهتـدون اليه · وانما حمل سليمان على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه امر الجن لأن امها كانت جنية ، واذا ولدت ولداً لسليمان لا ينفكوا من تسخيرهم لسليمان وذريته من بعده ، فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا له : ان في عقلها شيئاً وان برجليها شعراً وان رجليها كحوافر الحمار وانها مشعرة الساقين ·

فأراد سليمان ان يختبرها في عقلها فنكر عرشها ، وينظر الى قدميها ببناء الصرح . فلما جاءت قيل لها : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو . عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ، لم تقل نعم خوفاً من التكذيب ، فقالت كأنه هو . فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر · وحكي غير ذلك .

(فقالت واوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من امر الهدية والرسل من قبلها ومن قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) منقادين طائعين لأمر سليمان . وقيل غير ذلك ٠

قال الله تعالى : (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهي الشمس (ان تعبد الله) اي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعن عبادة الله تعالى . وقيل غير ذلك ٠

وقوله تعالى ٠ (قيل لها ادخلي الصرح ٠٠) الآية وذلك ان سليمان «ع» اراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسلبها اثوابها وينظر ما قالت الشياطين عنها ان رجليها كحوافر الحمار وهي مشعرة الساقين فأمر سليمان الشياطين فبنوا له صرحاً اي قصراً من زجاج . وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً . وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه كل شيء من دواب البحر حتى السمك والضفدع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه ٠ فعكفت عليه الطير والجن والانس ٠ وانما بنى الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصفاء ٠

فلما جلس سليمان على السرير دعا بلقيس ، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح ٠ (فلما رأته حسبته لجة ـ وهي معظم الماء ـ وكشفت عن ساقيها) لتخوضه الى سليمان ٠

فنظر سليمان فاذا هي احسن الناس قدماً وساقاً إلا انها مشعرة الساقين ٠ فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ، ثم ناداها : انه صرح ممرد اي مملس من قوارير ٠ ثم دعاها للاسلام ٠

وكانت قد رأت حال العرش وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى فأجابت وقالت (رب اني ظلمت نفسي ـ بالكفر وعبادة غيرك ـ واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) اي اخلصت له التوحيد ٠

واختلف في امرها هل تزوجها سليمان عليه السلام ؟ فقال بعضهم : تزوجها

ولما اراد ان يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها ، فسأل الانس ما يذهب هذا . قالوا له : الموسى . فقال : انها تجرح ساقيها . وسأل الجن فقالوا : لاندري. ثم سأل الشياطين فقالوا : نحتال لك بحيلة حتى يصير كالسبيكة الفضة من غير اذى . فقال : افعلوا .

فاتخذوا النورة والحمام . وكانت النورة والحمام من ذلك اليوم .

ويقال : ان الحمام كان بباب الاسباط بالقدس الشريف ، وهو الحمام الذي بجوار المدرسة الصلاحية . وهو من جملة اوقاف المدرسة من الملك صلاح الدين وانما بني لبلقيس . وانه اول حمام وضع على وجه الارض والله اعلم .

ولما تزوجها سليمان احبها حباً شديداً واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً .

ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام ، وولدت له فيما يذكر والله اعلم .

﴿ ذكر فتنة سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى : (ولقد فتنا سليمان) اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه . وسبب ذلك ما روي عن وهب بن منبه قال : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صدوف ، ولها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس عليه سبيل لمكانه بالبحر ، وكان الله عز وجل قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر بما يركب اليه الريح .

فخرج سليمان الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستقام فيها ، فأصاب فيما اصاب ابنة الملك تسمى جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها للاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة موافقة ، واحبها حباً لم يحبه احداً من نسائه فكانت على

منزلة عظيمة عنده ، فكانت لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها ٠

فشق ذلك على سليمان ، فقال لها : ويلك ما هذا الحزن الذي لم يذهب والدمع الذي لا يرقأ ؟ قالت: اني اذكر أبي واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك ٠

قال سليمان : قد ابدلك الله ملكاً هو اعظم من ملك ابيك ، وسلطاناً هو اعظم من سلطانه ، وهداك الله للاسلام وهو خير لك من ذلك كله ٠ قالت: ان ذلك كذلك ولكني اذا تذكرته اصابني ما ترى من الحزن ، فلو انك امرت الشياطين فيصوروا صورته في داري التي انا فيها فأراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلبني بعض ما اجد في نفسي ٠

فأمر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً ٠ فمثلوها حتى نظرت الى ابيها بعينه إلا انه لا روح فيه . فعمدت اليه حين وضعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كانت عليه في حال حياته ٠

ثم انها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها ومن يلوذ بها ثم تسجد له ويسجدون له كما كانت تصنع له في ملكه ٠ واستمرت تفعل ذلك بكرة وعشية وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك مدة اربعين صباحاً ٠

فبلغ ذلك آصف ابن برخيا ـ وكان صديقاً وكان لا يرد عن ابواب سليمان واي ساعة اراد ان يدخل دار سليمان دخل حاضراً كان سليمان او غائباً ـ فأتى سليمان وقال له : يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني ذهابه وقد احببت ان اقوم مقاماً قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى واثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امورهم ٠

فقال له سليمان : افعل ٠

فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله تعالى وذكر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى

سليمان فقال : ما كان احلمك في صغرك وأورعك في صغرك وافضلك في صغرك وابعدك من كل مايكره في صغرك . ثم انصرف .

فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً . فلما دخل سليمان داره ارسل اليه فقال : يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى واثنيت عليهم خيراً في زمانهم وفي كل حال من امورهم ، فلما ان ذكرتني جعلت تثني علي بخير في صغري وسكت عن ما سوى ذلك في امري في كبري ، فما الذي أحدثت في آخر أمري ؟

فقال له : ان غير الله يعبد في دارك مدة اربعين صباحاً في هوى امرأة . فقال سليمان : في داري ؟ قال : في دارك . قال سليمان : إنا لله وإنا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك .

ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم امر بثياب الطهرة فأتي بها ـ وهي ثياب لا يغزلها إلا البنات الابكار ولا يمسها امرأة قد رأت الدم ولا ينسجها إلا البنات الابكار ولايغسلها إلا الابكار ـ فلبسها ثم خرج الى فلاة من الأرض وحده ، وامر برماد ففرش له ، ثم اقبل تائباً الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعاً اليه ، وجعل يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ، ثم رجع الى داره .

وكانت له ام ولد تسمى الأمينة كان اذا دخل مذهبه او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها ثم دخل حتى يتطهر . وكان لا يلبس خاتمه إلا طاهراً وكان ملكه في خاتمه . فوضعه يوماً عندها ثم دخل الى مذهبه . فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخر على صورة سليمان لم تنكر منه شيئاً فقال : خاتمي يا امينه . فناولته إياه فجعله في يده . ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، فعكف عليه الطير والجن والانس .

فخرج سليمان وأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من يراه ،

فقال : خاتمي يا امينة . فقالت له : من انت ؟ قال : سليمان بن داود نبي الله . قالت له : كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه .

فعرف سليمان ان الخطيئة قد ادركته ، فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول : انا سليمان بن داود فيكذبوه ويحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون : انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان .

فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر وكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه برغيفين وشوى السمكة الاخرى واكلها . فمكث كذلك اربعين صباحاً بعدد ما كان عبد الوثن في داره .

فأنكر آصف وكبراء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوماً . فقال آصف : يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ابن داود ما رأيت ؟ قالوا : نعم . قال آصف : امهلوني حتى ادخل على نسائه واسألهن هل ينكرن منه شيئاً في خاصة امره كما ذكرناه في عامة امر الناس . فدخل على نسائه فقال : ويحكن هل انكرتن من أمر ابن داود ما انكرناه ؟ فقلن : اشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة . فقال إنا لله وإنا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين .

ثم خرج آصف على بني اسرائيل فقال : ما في الخاصة اعظم مما في العامة . فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فأقبلوا حتى احدقوا به ، ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين ايديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر وابتلعته حوت ، فأخذه بعض الصيادين .

وكان سليمان قد عمل لذلك الصياد من صدر النهار حتى اذا كانت العشية اعطاه سمكتين ، فأعطى السمكة التي فيها الخاتم من جملة السمكتين . فخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالرغيفين ، ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها

فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده ، فردّ الله تعالى عليه ملكه وبهاءه فوقع ساجداً شكراً ، فعكفت عليه الطير والوحوش والانس والجن ، واقبل عليه الناس ، وعرف الذي كان دخل عليه لما احدث في داره ، فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه ٠

وامر الشياطين فقال : ائتوني بصخر ٠ فطلبته الشياطين حتى اخذته فأتي به فجاء له بصخرة فأدخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف به في البحر ٠ هذا حديث وهب ٠ وحكي غير ذلك ٠

واشهر الأقاويل : ان الجسد الذى القي على كرسيه هو صخر الجني فذلك قوله عز وجل : (والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب) اي رجع الى ملكه بعد اربعين يوماً (فلما رجع قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي) يريد هب لي ملكاً لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبتنيه فيما مضى (انك انت الوهاب) ٠ قيل : سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة له ٠ وقيل : سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه وردّ اليه ملكه وزاد فيه ٠

وقال مقاتل : كان سليمان ملكاً ولكنه اراد بقوله (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده ٠

وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا) ٠

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير وعرف الناس انه سليمان قاموا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال : ما احمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا امر كان لا بد منه ٠

ثم جاء حتى اتى ملكه ، واطاعه جميع ملوك الارض وحملوا اليه نفائس اموالهم . واستمر سليمان على ذلك حتى توفي .

﴿ ذكر وفاته عليه السلام ﴾

وقد روي في وفاة سليمان عليه السلام ما قاله اهل العلم انه كان يتحنث في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي مات فيها . وكان بدأ ذلك انه لا يصبح يوماً إلا نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك ؟ فتقول : اسمي كذا . فيقول : لأي شي انت ؟ فتقول : لكذا وكذا . فيأمر بها فتقطع . فان كانت نبتت لغرس يغرسها ، وان كانت لدواء كتبها ، حتى نبتت الخروبة فقال لها : ما انت ؟ قالت : الخروبة . قال : لأي شيء نبت ؟ قالت : لخراب مسجدك . فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وانا حي ، انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط . ثم قال : اللهم غم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب .

وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء ويعلمون ما في غد .

ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه ، نقل انه نحتها من الخروب فمات قائماً . وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه .

فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك .

فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً فعلموا بموته . فشكرت الجن الأرضة ، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى : (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ـ وهي الأرضة ـ تأكل

منسأته - يعني عصاه - فلما خر - اي سقط على الاض - تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العـذاب المهين) اى علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته ، اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل ·

وقيـل : ان معنى تبينت الجن اى ظهرت وانكشفت الجن للانس ، اي ظهر أمرهم انهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ·

وتوفي سليمان وعمره اثنتان وخمسون سنة فكانت مدة ملكه اربعين سنة فتكون وفاته في اواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة ، فيكون الماضي من وفاته الى عصرنا وهو اواخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة النبوية الفين وستمائة وثلاثاً وسبعين سنة . والله أعلم ·

ونقل ان قبره بالبيت المقدس عند الجيسمانية ، وانه هو وابوه داود في قبر واحد.

واستمر بيت المقدس على العمارة السليمانية اربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة ·

﴿ ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر ﴾

لما توفي سليمان عليه السلام ملك بعده ابنه رحبعم - بضم الراء والحاء المهملتين وسكون البـاء الموحدة وفتح العين المهملة ثم ميم - وفي ايامه اختل نظام الملك وخرج عن طاعته عشرة اسباط ولم يبق تحت طاعته سوى سبطين ، وصار الاسباط العشرة ملوكاً تعرف بملوك الاسباط . واستمر الحال على ذلك نحو مائتين واحدى وستين سنة ·

وكان ولد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء للاسلام ، لأنهم اهل الولاية . وكان الاسباط مثل ملوك الأطراف والخوارج · وارتحل الاسباط الى جهات

فلسطين وغيرها بالشام . واستقر ولد داود بالبيت المقدس .

واستمر رحبعم على ما استقر له من الملك وزاد في عمارة بيت لحم وغزة وصور وغير ذلك ، وعمر ايلة وجددها . وملك سبعة عشر سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه افيا ـ بفتح الهمزة وكسر الفاء التي هي بين الألف والياء على مقتضى اللغة العبرانية وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم الف ـ وكان مدة ملكه ثلاث سنين ومات .

ثم ملك بعده ابنه اسا ـ بفتح الهمزة والسين ثم الف ـ وكانت مدة ملكه احدى واربعين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه يهوشافاط ـ بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وبعدها الف ثم فاء والف وطاء مهملة ـ وكان رجلاً صالحاً كثير العناية بعلماء بني اسرائيل ، وكانت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة ومات.

ثم ملك بعده ابنه يهورام ـ بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو ثم راء مهملة ثم الف وميم ـ وكانت مدة ملكه ثماني سنين ومات .

ثم ملك بعده ابنه احزياهو ـ بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو ـ وكانت مدة ملكه سنتين ومات .

ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك ، وحكمت في الفترة المذكورة امرأة ساحرة اصلها من جواري سليمان عليه السلام واسمها عثلياهو ـ بفتح العين المهملة والثاء المثلثة وسكون اللام وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها الف ثم هاء مضمومة ثم واو ـ يقال عثليا بغير هاء ولا واو ، وتتبعت بني داود فأفنتهم وسلم منها طفل أخفوه عنها ، وكان اسم ذلك الطفل يواش بن احزيوا . واستولت عثلياهو سبع سنين . فيكون آخر الفترة وعدم عثلياهو في اواخر سنة ثمان وسبعين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام .

ثم ملك بعد عثلياهو يؤاش وهو ابن سبع سنين ، ويؤاش ـ بضم الياء المثناة

من تحتها ثم همزة والف وشين معجمة ـ . وفي السنة الثالثة والعشرين من ملكه رمم بيت المقدس وجدد عمارته . وملك اربعين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه امصياهو ـ بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة ومثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو ـ وملك تسعاً وعشرين سنة ، وقيل : خمسة عشر سنة ، وقتل .

ثم ملك بعده ابنه عزياهو ـ بضم العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو ـ وملك اثنين وخمسين سنة ، ولحقه البرص وتنغصت عليه ايامه ، وضعف أمره في آخر وقته ، وتغلب عليه ولده يوثم ومات .

ثم ملك بعده ابنه يوثم ـ بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة ثم ميم ـ وفي ايامه كان يونس النبي عليه السلام . وملك ستة عشر سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه آحز ـ بهمزة ممدودة ممالة ايضاً وحاء مهملة مفتوحة ثم زاى معجمة ـ ملك ستة عشر سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه حزقيا ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر القاف وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم الف ـ وكان رجلا صالحاً مظفراً .

ولما دخلت السنة السادسة من ملكه انقرضت دولة الخوارج ملوك الاسباط ـ الذين نبهنا عليهم عند ذكر رحبعم بن سليمان ـ وانضم من بقي من الاسباط الى حزقيا ودخلوا تحت طاعته . وكان من الصلحاء الكبار .

وكان قد خرج عليه سنحاريب ملك بابل والموصل ونزل حول بيت المقدس في ستمائة راية ، فنصره الله واهلك عسكر سنحاريب . ووقع سنحاريب في أسره ثم اطلقه وسيره الى بلاده .

وكان قد فرغ عمر حزقيا قبل موته بخمسة عشر سنة فزاد الله في عمره خمسة عشر سنة وأمره ان يتزوج ، واخبره بذلك نبي كان في زمانه وهو اشعيا «ع» واشعيا هو الذي بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبشر بعيسى عليه السلام .

وملك حزقيا تسعاً وعشرين سنة ومات ·

ثم ملك بعده ابنه منشا ـ بميم ونون مفتوحتين وشين معجمة مشدده والف ـ وملك خمساً وخمسين سنة ومات ·

ثم ملك بعده ابنه يوشيا ـ بضم المثناة من تحتها وسكون الواو و كسر الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم الف ـ · ولما ملك اظهر الطاعة والعبادة وجدد عمارة بيت المقدس واصلحه · وملك يوشيا احدى وثلاثين سنة ومات ·

ثم ملك بعده ابنه يهوياخين ـ بياء مثناة من تحتها مفتوحة وهاء مضمومة وبعدها واو ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها الف ثم خاء معجمة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون ـ ولما ملك غزاه فرعون مصر ـ وهو الأعرج ـ فأخذ يهوياخين اسيراً الى مصر فمات بها · وكانت مدة ملكه ثلاثة اشهر .

ولما اسر يهوياخين ملك بعده اخوه يهوياقيم ـ بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء ثم واو ساكنة وياء مثناة من تحتها والف وقاف مكسورة وياء مثناة من تحتها ساكنة وميم ـ وفي السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل . وكان ابتداء ولايته في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام .

وتفسير بخت نصر بالعبرانية : عطارد وهو سطو ، سمي بذلك لتقريبه العلماء والحكماء وحبه اهل العلم ·

واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكاً مستقلا بنفسه أم كان نائباً للفرس . والأصح عند الأكثر : انه كان نائباً لملك اسمه لهراسف ·

وبين ولاية بخت نصر والهجرة الشريفة الف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضي من ولاية بخت نصر الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفين ومائتين وتسعاً وستين سنة واياماً ·

وفي السنة الرابعة من ملكه ـ وهي السابعة من ملك يهوياقيم ـ سار بخت نصر

بالجيوش الى الشام وغزا بني اسرائيل لما حصل منهم من التغيير والتبديل وفعل القبيح فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته فأبقاه بخت نصر على ملكه .

ورجع بنو اسرائيل الى الله تعالى وتابوا عن المعاصي فرد الله عنهم بخت نصر وبقي يهوياقيم تحت طاعة بخت نصر ثلاث سنين ثم خرج عن طاعته وعصاه ، فأرسل بخت نصر وامسك يهوياقيم وامر باحضاره اليه فمات يهوياقيم في الطريق من الخوف . فكانت مدته نحو احدى عشرة سنة ، وانقضى ملكه في اوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر .

ولما اخذ يهوياقيم المذكور الى العراق استخلف مكانه ابنه يخنيو - بفتح المثناة من تحتها والخاء المعجمة وسكون النون وضم المثناة من تحتها ثم واو - فأقام موضع ابيه مائة يوم ، ثم ارسل بخت نصر من اخذه الى بابل واخذ معه ايضا جماعة من علماء بني اسرائيل من جملتهم : دانيال النبي . وحزقيل النبي ، وهو من نسل هارون عليه السلام . وحال وصول يخنيو سجنه بخت نصر ، ولم يبرح مسجوناً حتى مات بخت نصر .

ولما امسك بخت نصر يخنيو نصب مكانه على بني اسرائيل عم يخنيو المذكور وهو صدقيا - بكسر الصاد المهملة وسكون الدال المهملة وكسر القاف وفتح الياء المثناة من تحتها مع التشديد وبعدها الف - واستمر صدقيا تحت طاعة بخت نصر .

وكان ارميا النبي «ع» في ايام صدقيا فبقي يعظه ويعظ بني اسرائيل لما أحدثوا من المعاصي والطغيان ونقض التوبة ويهددهم ببخت نصر وهم لا يلتفتون الى وعظه .

وفي السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر . وكان ارميا «ع» قد رأى بخت نصر قديماً وهو صبي اقرع ورآه يأكل ويتغوط ويقتل القمل فقال له : ما هذا ؟ فقال : اذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل . فقال له : سيكون لك شأن . فأخذ ارميا من بخت نصر أماناً لبيت المقدس ومن فيها ، وكتب له الأمان في جلد . فلما صار الملك الي بخت نصر وعصى عليه صدقيا - كما تقدم -

قصد بخت نصر بيت المقدس ، فلما بلغ سهول الرملة وأعلم ارميا بذلك سار اليه واعطاه الأمان ، فنظره وقال : هو اماني ولكني مبعوث ، وقد امرت ان ارمي سهمي فحيثما وقع سهمي طلبت الموضع . فرمى بسهمه فوقع في قبة بيت المقدس .

فرجعا ارميا الى اهل بيت المقدس واخبرهم بذلك .

ثم سار بخت نصر بالجيوش وكان معه ستمائة راية ، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم ، وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس . ففعلوا حتى ملؤه . هكذا نقل البغوي في تفسيره .

والذي نقله الملك المؤيد صاحب حماه : انه جهز العساكر وبعث الجيش مع وزيره واسمه نبوز راذان - بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والراء المهملة وسكون الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الألف وبعدها نون - الى حصار صدقيا بالقدس فسار الوزير بالجيش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف ، اولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا ، واخذ بعد حصار المدة المذكورة القدس بالسيف ، واخذ صدقيا اسيراً واخذ معه جملة كثيرة من بني اسرائيل ، واحرق القدس وخربه وطرح فيه الجيف ، وهدم البيت الذي بناه سليمان واحرقه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة وطرحه بومية ، وأباد بني اسرائيل قتلا وتشديداً واعانه على خرابه الروم بغضاً لبني اسرائيل .

فكانت مدة ملك صدقيا نحو احدى عشرة سنة وهو آخر ملوك بني اسرائيل .

واما من تولى بعده من بني اسرائيل بعد اعادة عمارة بيت المقدس فانما كان له الرياسة ببيت المقدس فقط ، فيكون انقضاء ملوك بني اسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريباً وهي السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وهي ايضاً سنة ثلاث وخمسين واربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس وهي مدة لبثه على العمارة .

وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا * فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) اي قضاء كائناً لا خلف فيه .

وبين خراب بيت المقدس والهجرة الشريفة الف وثلثمائة وخمسون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من خراب بيت المقدس الى عصرنا هذا ـ وهو آخر سنة تسعمائة ـ الفين ومائتين وخمسين سنة .

ولما غزا بخت نصر القدس وخربه وفعل ما تقدم ذكره هرب من بني اسرائيل جماعة واقاموا بمصر عند فرعون الأعرج ، وأرسل بخت نصر اليه يطلبهم منه وقال : هؤلاء عبيدي هربوا اليك . فلم يسلمهم فرعون مصر وقال : ليس هم بعبيدك وانما هم احرار . وكان هذا هو السبب لقصد بخت نصر غزو مصر وقتل فرعون الأعرج .

وهرب منه جماعة الى الحجاز وأقاموا مع العرب .

واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة .

وعن قتادة في قوله عز وجل : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قال : هو بخت نصر واصحابه خربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك الروم قال الله تعالى : (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين) قال وهم النصارى ، لا يدخلون المسجد إلا مسارقة ان قدر عليهم عوقبوا ، (لهم في الدنيا خزي) قال : يعطون الجزية عن يد (وهم صاغرون) .

﴿ ذكر عمارة بيت المقدس الثانية ﴾

لما جرى ما ذكر من تخريب بيت المقدس ولبثه على التخريب سبعين سنة عمره بعد ذلك بعض ملوك الفرس ، واسمه عند اليهود : كورش . وقد اختلف فيه فقيل : هو دارا بن بهمن ، وقيل هو بهمن المذكور وهو الأصح .

وكان كريماً متواضعاً علامته على كتبه من ازدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأموركم . وتفسير بهمن بالعبرانية : الحسن النية .

وكان قد أمره الله على لسان عبده ارميا النبي صلى الله عليه وسلم ان يبني بيت المقدس . ففعل ذلك ، واصعد اليها من بني اسرائيل اربعين الفاً ، وقربوا القرابين على رسومهم الاولى . ورجعت اليهم دولتهم وعظم محلهم عند الامم قال الله تعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا * إن احسنتم احسنتم لأنفسكم وإن اسأتم فلها) . وعاد البلد احسن مما كان .

وحكى بعض المؤرخين : ان الله اوحى الى اشعيا النبي عليه السلام : ان ان كورش يعمر بيت المقدس . وذكر لفظ اشعيا الذي ذكره في الفصل الثاني والعشرين من كتابه حكاية عن الله عز وجل وهو ان القائل لكورش راعى الذي يتمم جميع محياي ، ويقول لاورشلم عودي مبنية ، ولهيكلها كن زخرفاً مزيناً ، هكذا قال الرب لمسبحه كورش الذي اخذ بيمينه لتدبير الامم وينحي ظهور الملوك سائراً بفتح الابواب امامه ولا تغلق واسهل لك الوعر واكسر ابواب النحاس وأحبوك بالذخائر التي في الظلمات انتهى .

ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجع اليه بنو اسرائيل من العراق وغيره . وكانت عمارته في اول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر .

ولما رجع بنو اسرائيل الى القدس كان من جملتهم عزير عليه السلام وكان بالعراق ، وقدم معه من بني اسرائيل ما يزيد على الفين من العلماء وغيرهم ، ورتب مع عزير في القدس مائة وعشرين شيخاً من علماء بني اسرائيل . وكانت التوراة قد عدمت منهم إذ ذاك فمثلها الله في صدر العزير ووضعها لبني اسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها ، فأحبوه حباً شديداً . وأصلح العزير امرهم واقام بينهم على ذلك .

ولبث مع بني اسرائيل في القدس يدبر امرهم حتى توفى بعد مضى اربعين

سنة لعمارة بيت المقدس . فتكون وفاته سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية بخت نصر .

واسم العزير بالعبرانية : عزرا . وهو من ذرية هارون بن عمران .

ثم تولى رياسة بني اسرائيل ببيت المقدس بعد العزير شمعون الصديق وهو أيضاً من نسل هارون .

ولما تراجع بنو اسرائيل الى القدس بعد عمارته صار لهم حكام منهم وكانوا تحت حكم ملوك الفرس ، واستمروا كذلك حتى ظهر الاسكندر ملك اليونان في سنة خمس وثلاثين واربعمائة لولاية بخت نصر وغلب اليونان على الفرس . ودخل حينئذ بنو اسرائيل تحت حكم اليونان .

وبين غلبة الاسكندر على ملك الفرس وبين الهجرة الشريفة النبوية تسعمائة واربع وثلاثون سنة . ومات الاسكندر بعد غلبته لقريب سبع سنين ، فيكون بين موته وبين الهجرة الشريفة تسعمائة وقريب ثمان وعشرين سنة ، وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من وفاة الاسكندر الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفاً وثمانمائة وقريب ثمان وعشرين سنة .

وهذا الاسكندر ليس هو ذو القرنين الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، فان ذاك ملك قديم كان على زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وتقدم ذكره .

ولما دخل بنو اسرائيل تحت حكم اليونان أقام اليونان من بني اسرائيل ولاة عليهم ، وكان يقال للمتولي عليهم : هردوس .

واستمر بنو اسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني ، وتشتت منه بنو اسرائيل على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ قصة أرميا عليه السلام ﴾

قد تقدم عند ذكر صدقيا الذي هو آخر ملوك بني اسرائيل ان ارميا النبي عليه السلام كان في ايامه ، وكان يأمر بني اسرائيل بالتوبة ويهددهم ببخت نصر

وهم لا يلتفتون اليه . فلما رأى انهم لا يرجعون عما هم فيه فارقهم أرميا واختفى حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس كما تقدم ذكره .

ثم ان الله تعالى اوحى الى أرميا : اني عامر بلدة بيت المقدس فاخرج اليها . فخرج أرميا وقدم الى القدس وهي خراب فقال : سبحان الله أمرني الله ان انزل هذه البلدة واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها . ثم وضع رأسه فنام ، ومعه حماره وسلة فيها طعام وهو تين وركوة فيها عصير عنب .

وكان من قصته ما اخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله تعالى : (او كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه - اي لم يتغير - وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما * فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) .

وقد قيل : ان صاحب القصة هو العزير . والأصح انه أرميا .

وقد أهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل ، وردهم جميعاً الى بيت المقدس ونواحيه .

قال البغوي في تفسيره : وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى : (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) اي احياه ، وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مائة سنة وهو اربعون سنة ولابنه عشر ومائة سنة ، ولابن ابنه تسعون سنة ، وأنشد في ذلك :

واسود رأس شاب من قبل ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر
ترى ابن ابنه شيخاً يجيء على عصا	ولحيته سوداء والرأس اشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة	وعشرين لا يخوى ولا يتمجر

وعمر ابن أربعين أمرّها ولابن ابنه في الناس تسعون غبر
فما هو في المعقول إن كنت دارياً وإن كنت لا تدري فبالجهل تعذر

فصل

ولما ملك الاسكندر وقهر الفرس وعظمت مملكة اليونان صار بنو اسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم ، وتوالت ملوك اليونان بعد الاسكندر وكان يقال لكل واحد منهم بطليوس .

فلما مات الاسكندر ملك بعده بطليوس بن الأعوش عشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليوس تخت اخيه واسمه عند اليهود ثلماى - بثاء مثلثة من فوقها ثم لام ساكنة ثم ميم مفتوحة وبعدها ياء آخر الحروف - وهو الذي نقلت اليه التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية . وكان نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت من موت الاسكندر .

ولما تولى بطليوس الثاني تخت اخيه - المسمى عند اليهود ثلماى - وجد جماعة من الاسارى منهم نحو ثلاثين الفاً من اليهود فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع الى بلادهم ففرحوا بذلك واكثروا له بالدعاء والشكر . فأرسل رسولا وهدايا الى بني اسرائيل المقيمين بالقدس الشريف وطلب منهم ان يرسلوا له عدّة من علماء بني اسرائيل لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية ، فسارعوا الى امتثال أمره .

ثم ان بني اسرائيل تزاحموا على الرواح اليه وبقى كل منهم يختار ذلك واختلفوا ثم اتفقوا على ان يبعثوا اليه من كل سبط من اسباطهم ستة . فبلغ ذلك من عددهم اثنين وسبعين رجلا .

فلما وصلوا الى بطليوس المذكور - المسمى عندهم ثلماي - أحسن قراهم وصيرهم ستاً وثلاثين فرقة وخالف بين اسباطهم وأمرهم فترجموا له ستاً وثلاثين نسخة من التوراة وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به

وفرق النسخ المذكورة في بلاده . وبعد فراغهم من الترجمة اكثر لهم الصلاة وجهزهم الى بلادهم . وسأله المذكورون في نسخة من تلك النسخ ، فأسعفهم بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا بها الى بني اسرائيل ببيت المقدس .

فنسخة التوراة المنقولة لبطليوس المسمى تلماي أصح نسخ التوراة وأثبتها وهي التوراة اليونانية التي عليها عمل المؤرخين . واما التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود ، والتوراة السامرية فكل واحدة منهما مبدلة لا عمل عليها والله أعلم .

﴿ ذكر سيدنا يونس بن متى عليه السلام ﴾

ومتى ابو يونس ، وقيل امه . والذي عليه اكثر العلماء : انه ابوه . وقد ورد في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ينبغي لأحد ان يقول أنا خير من يونس بن متى . ونسبه الى ابيه ولكن نقل الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه : ان متى امه ، قال : ولم يشتهر نبي بامه غير عيسى ويونس عليهما السلام .

وقيل : ان يونس من بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين وتزوج بنت رجل من الاولياء اسمه زكريا ، وكان زكريا مقيما بالرملة فأقام يونس عنده ثم بعد وفاة زكريا توجه الى بيت المقدس يعبد الله وكانت بعثته في ايام يوشم بن عذياهو احد ملوك بني اسرائيل ، وتقدم ذكره عند ذكر يوشم المذكور .

وبعث الله يونس الى اهل نينوى ـ وهي قبالة الموصل بينهما دجلة ـ وكانوا يعبدون الأصنام فنهاهم واوعدهم العذاب في يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك عن ربه عز وجل . فلما اظلهم العذاب آمنوا ، فكشف الله عنهم .

وجاء يونس ذلك اليوم فلم ير العذاب حل ولا علم بايمانهم فذهب مغاضباً ودخل في سفينة من سفن دجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك ، فقال رئيسها : فيكم من له ذنب . فتساهموا على من يلقونه في البحر فوقعت المساهمة على يونس

فرموه في البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم * وسار به . .) الآية .

وكان من شأنه ما اخبر الله عنه في كتابه العزيز ، وملخص قصته : ان الحوت التقمه ، وكان يونس يسبح على قلب الحوت والحوت يقول يا يونس اسمعني تسبيح المغمومين . وهو يقول (لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا إنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكراً ، اللهم فارحمه في غربته وكربته . قال الله تعالى ! (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت . قال الله تعالى : (فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) .

وروي: انه ماقرأ هذه الآية مكروب إلا زال كربه وهي في سورة الأنبياء .

واختلفوا في مدة لبثه فمنهم من قال : اربعين يوماً ، وقيل : ثلاثة ايام .

فلما انقضت المدة التي قدرها الله له امر الحوت ان يرده الى الموضع الذي اخذه منه . فشق ذلك على الحوت لاستئناسه بذكر الله تعالى . فقيل له : اقذفه . فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى : (فنبذناه بالعراء وهوسقيم) . واسم الحوت : النون .

وخرج يونس مثل الفرخ المنتوف وقد ذهب بصره وهو لا يقدر على القيام فأنبت الله شجرة من يقطين لها اربعة آلاف غصن فكانت فراشه وغطاءه وامر الله الظبية فجاءته وارضعته حتى قوى ، وهبط عليه جبريل عليه السلام فسلم عليه وامرّ يده على رأسه وجسده فأنبت الله لحيته ورد عليه بصره ، واوحى الله اليه بايمان قومه حين رأوا العذاب . ثم هبط اليه ملك ودفع اليه حلتين وقال : سر الى قومك فانهم يتمنونك .

فاتزر بواحدة وارتدى بالأخرى ، وسار يونس عليه السلام واجتمع بزوجته وولديه قبل وصوله الى قومه ، ثم وصل الخبر الى قومه ، بوصوله فوثب الملك

عن سريره وخرجوا كلهم الى يونس عليه السلام وسلموا عليه وفرحوا به وحملوه الى المدينة . فأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . فمات الملك وماتت زوجته واولاده .

وكانت وفاة يونس في سنة خمسة عشر وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام وقبره في قرية بالقرب من بلد سيدنا الخليل عليه السلام ، وهذه القرية تسمى حلحول وهي على طريق بيت المقدس ، وصار على قبره مسجد ومنارة والذي بنى المنارة الملك المعظم عيسى بولاية الأمير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظم في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وقد اشتهر امره والناس يقصدونه للزيارة صلى الله عليه وسلم .

ومتى مدفون بالقرب منه بقرية يقال لها بيت امر . وكان رجلا صالحاً من اهل بيت النبوة .

﴿ ذكر سيدنا زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام ﴾

(وما وقع لسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وصعوده الى السماء
وملخص ما وقع لزكريا ويحيي عليهما السلام)

أقول - وبالله التوفيق - انسيدنا زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وكان نبياً وقد ذكره الله في القرآن ، وكان نجاراً . وهو الذي كفل مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، وكانت ام مريم اسمها حنة . وكان زكريا متزوجاً باخت حنة واسمها ايساع ، وكانت زوجة زكريا خالة مريم ولذلك كفل زكريا مريم ، وسنذكر ذلك .

وارسل الله جبريل عليه السلام فبشر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم . ثم ارسل الله تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم

فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت قد حملت خالتها ايساع بيحيى. وولد يحيى قبل عيسى بستة اشهر، ثم ولدت مريم عيسى.

فلما علمت اليهود ان مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها. وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة، وكان قتله بعد ولادة المسيح. وكانت ولادة المسيح لمضي ثلثمائة وثلاث سنين للاسكندر، ويأتي تحرير تاريخ مولده قريباً. فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بيسير.

وأما يحيى ابنه: فانه نبيء وهو صغير ودعا الناس الى عبادة الله تعالى ولبس الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه.

وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ. وكان لهردوس ـ وهو الحاكم على بني اسرائيل ـ بنت أخ واراد ان يتزوجها كما هو جائز في ملة اليهود فنهاه يحيى عن ذلك. فطلبت ام البنت من هردوس ان يقتل يحيى، فلم يجبها الى ذلك، فعاودته. وسألته البنت ايضاً والحت عليه فأجابهما الى ذلك، وامر بيحيى فذبح ووضع رأسه بين يدي هردوس.

فكان الرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك.

واستمر غليان دمه، فأمر بتراب فألقي عليه، فما إزداد إلا انبعاثاً. فبعث الله عليهم ملكاً من جهة المشرق يقال خردوس، فقتل منهم على دم يحيى سبعين الفاً الى ان سكن دمه.

وزعم قوم: ان بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلهم على دم يحيى. وليس بصحيح: لأن بخت نصر خرب بيت المقدس من قبل ولادة يحيى بنحو خمسمائة سنة، وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة، لأن عيسى عليه السلام انما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ولما امره الله تعالى ان يدعو الناس الى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الاردن، ولعيسى نحو ثلاثين سنة. وخرج من نهر الاردن

وابتدأ بالدعوة ، وجميع ما لبث عيسى بعد ذلك ثلاث سنين · فذبح يحيى كان قبل رفع المسيـح بنحو سنة ونصف ·

قال قتادة : وكان رفعه بعد نبوته بثلاث سنين ·

والنصارى تسمي سيدنا يحيى يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح كما ذكر ·

وكان يحيى عليه السلام لا يأتي النساء لأنه لم يكن له ما للرجال ، فلذلك سماه الله تعالى (سيداً وحصوراً) كـذا قيل ، وهو غير مرضي · وقد تكلم القاضي عياض في الشفاء على معنى كون يحيى حصوراً بما حاصله : ان هذا الذي قيل نقيصة وعيب لا يليق بالأنبياء وانما معناه انه معصوم عن الذنوب لا يأتيها كأنه حصر عنها ، او انه حصر نفسه عن الشهوات فمنعها ·

ويأتي ذكر الخلاف في محل قبره وقبر والده زكريا عند ذكر قبر مريم «ع» ·

واما مريم فاسم امهـا حنة زوجة عمران ، وكانت حنة لا تلد · واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من خدمة بيت المقدس ·

فحملت حنة وهلك زوجها عمران وهي حاملة ، فولدت بنتاً وسمتها مريم ومعناها العابدة ، قال الله تعالى ـ مخبراً عن امها ـ : (وليس الذكر كالانثى) اي لخدمة بيت المقدس ، لما يلحقها من الحيض والنفاس وعدم الصيانة عن التبرج للناس ثم حملتها واتت بها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت : دونكم هذه المنذورة ·

فتنافسوا فيها ، لأنهـا بنت عمران ـ وكان من أئمتهم ـ فقال زكريا : أنا احق بها لأن خالتها زوجتي · فأخذها زكريا وضمها الى ايساع خالتها ·

ولما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد وانقطعت في تلك الغرفة للعبادة · وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط ، قال الله تعالى : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندهـا رزقاً ـ فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهـة الشتاء في الصيف ـ قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ·

وارسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم • فحملت بعيسى ، وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من بيت المقدس سنة اربع وثمانمائة لغلبة الاسكندر .
وبين مولد سيدنا عيسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ستمائة واحدى وثلاثون سنة • وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من مولد المسيح الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفاً وخمسمائة وإحدى وثلاثين سنة •

ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها (لقد جئت شيئاً فريا) واخذوا الحجارة ليرجموها ، فتكلم عيسى وهو في المهد معلقاً في منكبها (قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركاً أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة . .) . فلما سمعوا كلام ابنها تركوها •

ثم ان مريم اخذت عيسى وسارت به الى مصر ، وسار معها ابن عمها يوسف ابن يعقوب ابن ماثان النجار ، وكان حكيما . ويزعم بعضهم : ان يوسف المذكور قد تزوج بمريم لكنه لم يقربها ، وهو أول من انكر حملها ثم علم وتحقق براءتها وسار معها الى مصر وأقاما هناك اثني عشر سنة •

ثم عاد عيسى وامه الى الشام ونزلا الناصرة ، وبها سميت النصارى . وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة •

فأوحى الله اليه ، وارسله للناس . وسار الى الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة فاعتمد وابتدأ بالدعوة - وكان يحيى بن زكريا هو الذي عمده كما تقدم - وكان ذلك لستة ايام مضت من كانون الثاني لمضي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة للاسكندر.

واظهر عيسى عليه السلام المعجزات وأحيا ميتاً يقال له : عازر ، بعد ثلاثة ايام من موته • وجعل من الطين طائراً ، قيل: هو الخفاش • وابرأ الاكمه والابرص . وكان يمشي على الماء صلى الله عليه وسلم •

﴿ نزول المائدة ﴾

وانزل الله عليه المائدة ، واوحى اليه الانجيل · وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض ، وربما تقوت من غزل امه ·

وكان الحواريون الذين اتبعوه اثنى عشر رجلا وهم : شمعون الصفا وبطرس واخوه أندراوس ويعقوب بن ربدى وفيلبس وبرطولومادس واندريوس ومرقص ويوحنا ولوقا وتوما ومتى ·

وهؤلاء الذين سألوه نزول المائدة ،فلما سألوه ذلك قام عيسى فألقى الصوف عنه ولبس الشعر ووضع يمينه على شماله ووضعهما على صدره وصف بين قدميه وألصق الكعب بالكعب والابهام بالابهام وخفض رأسه خاشعاً ، ثم ارسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وجعلت تقطر على صدره وقال : (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا - اي تكون عطية منك لنا وعلامة بيننا وبينك وارزقنا عليها طعاماً نأكله - وانت خير الرازقين) ·

فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين ، غمامة فوقها وغمامة تحتها · وهم ينظرون اليها تهوي منقضة في الهواء ، وعيسى عليه السلام يبكي ويقول : اللهم اجعلنا لك من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، إلهي كم اسألك من العجائب فتعطيني ، اللهم اني اعوذ بك ان يكون انزالها غضباً ورجزاً ، اللهم اجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها فتنة ولا مثلة · حتى استقرت بين عيسى عليه السلام والناس حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا مثلها · وخر عيسى عليه السلام ساجداً لله تعالى وخر الحواريون معه ·

فبلغ اليهود ذلك فأقبلوا عتواً وكفراً ينظرون فرأوا امراً عجباً فاذا منديل مغطى على السفرة ، وجاء عيسى وجلس وهو يقول : من اجرؤنا واوثقنا بنفسه واخشانا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر ونأكل ونسمي باسم ربنا

ونحمد إلهنا . قال الحواريون : انت اولى بذلك يا روح الله وكلمته .

فتوضأ عيسى عليه السلام وضوءاً جديداً وصلى صلاة جديدة ودعا ربه دعاءً كثيراً وبكى بكاءً شديداً طويلا ، ثم قام حتى جاء عند السفرة فاذا سمكة مشوية ليس عليها فلوس وليس لها شوك تسيل دسما وقد نصب حولها من البقول خلا الكراث واذا عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وخمسة ارغفة على كل واحد منها زيتون وخمس رمّانات وخمس تمرات .

قال شمعون - رأس الحواريين - : يا روح الله وكلمته أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة ؟

فقال عيسى : ما اخوفني ان تعاقبوا . قال : لا وإله بني اسرائيل ما اردت عما سألتك سوءاً يابن الصديقة . قال : نزلت وما عليها من السماء ، ليس شيء مما ترون عليها من طعام الدنيا ، ولا من طعام الآخرة . وهي وما عليها شيء ابتدعه الله بالقدرة الغالبة انما قال له كن فكان . فكلوا مما سألتم واحمدوا الله ربكم يمدد كم ويزدكم فانه القادر البديع لما يشاء إذا شاء امراً فانما يقول له كن فيكون .

قال الحواريون : يا روح الله وكلمته لو أريتنا اليوم آية من هذه السمكة ؟

فقال عيسى عليه السلام : يا سمكة احيي باذن الله تعالى . فاضطربت السمكة طربة تدور عيناها ، لها بصيص تتلمض بفيها كما يتلمظ السبع ، وعاد عليها فلوسها . ففزع القوم ، فقال عيسى : ما لكم تسألون الشيء فاذا اعطيتموه كرهتموه ، فما اخوفني ان تعذبوا بهذه السمكة .

ثم قال : عودي كما كنت باذن الله تعالى . فعادت مشوية على حالها .

قالوا : كن انت يا روح الله اول من يأكل ، ثم نأكل بعدك . قال عيسى : معاذ الله ان يأكل منها إلا من طلبها وسألها . ففرق الحواريون ان تكون انما نزلت سخطة فيها مثلة ، فلم يأكلوا منها .

ودعا لها عيسى عليه السلام أهل الفاقة والزمانة من العميان والمجذومين

والبرصى والمقعدين واصحاب الماء الأصفر والمجانين . فقال : كلوا من رزق الله ودعوة نبيكم فانه رزق ربكم فتكون المهنأة لكم والبلاء لغيركم واذكروا اسم ربكم وكلوا من رزق الله ربكم . ففعلوا .

وصدر عن تلك السمكة والارغفة والرمانات والتمرات والبقول الف وثلاثمائة من رجل وامرأة بين فقير جائع وزمن ومبتلى بآفة كلهم شبعان يتجشى . فنظر عيسى فاذا ماعليها كهيئته حين نزل من السماء . ورفعت السفرة الى السماء وهم ينظرون اليها .

واستغنى كل فقير أكل منها يؤمئذ فلم يزل غنياً حتى مات ، وبرىء كل زمن من زمانته فلم يزل بريئاً حتى مات . وندم الحواريون وسائر الناس ممن أبى ان يأكل منها حسرة وشابت منها شعورهم . وكانت اذا نزلت بعد ذلك اقبلوا اليها حبوراً من كل مكان يركب بعضهم بعضاً الأغنياء والفقراء والرجال والنساء . فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوباً بينهم .

وكانت تنزل غباً ، تنزل يوماً وتغيب يوماً كناقة ثمود ترعى يوماً وترد يوماً . فلبثت كذلك اربعين صباحاً تغيب يوماً وتنزل يوماً ، حتى اذا فاء الفيء طارت صعداً ينظرون اليها والى ظلها في الأرض حتى توارت عنهم .

فأوحى الله الى عيسى : ان اجعل مائدتي رزقاً لليتامى والزمنى دون الأغنياء من الانس . فلما فعل ذلك عظم على الأغنياء واذاعوا القبيح حتى شكوا وشككوا فيه الناس . فوقعت فيه الفتنة في قلوب المرتدين ، قال قائلهم : يا روح الله وكلمته ان المائدة لحق أنها تنزل من عند الله .

قال عيسى : ويحكم هلكتم ان لم يرحمكم الله .

فأوحى الله الى عيسى : اني آخذ بشرطي من المكذبين قد اشترطت عليهم اني معذب من كفر منهم عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين بعد نزولها .

قال عيسى : (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم). فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين خنازير من ليلتهم . فأصبحوا يأكلون

المذرات في الحشوش ويتبعون ما في الكناسة والطرق ، وكانوا قد باتوا اول الليل على فراشهم عند نسائهم في ديارهم بأحسن صورة واوسع رزق ٠

فأصبح الناس يفرون الى عيسى فزعاً وخوفاً من عقوبة الله تعالى . وعيسى يبكي عليهم ويبكون معه عليهم ٠

وجاءت الخنازير بين يديه تسعى اليه حتى ابصرته ، ينظرون اليه ويشمون رائحته ويسجدون له واعينهم تسيل دموعاً لا يستطيعون الكلام ٠

ثم قام عيسى يناديهم بأسمائهم فيقول : يافلان . فيقول برأسه نعم . يافلان ابن فلان قد كنت خوفتكم عذاب الله وعقوبته وكأني قد كنت انظر اليكم ممثلا بكم في غير صوركم ٠

قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات) ٠ وقال الله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ٠

فسأل عيسى عليه السلام ربه أن يميتهم . فأماتهم بعد ثلاثة ايام ، فما وارى احد من الناس منهم جيفة في الأرض . نسأل الله تعالى العافية في ذلك ، والله اعلم .

﴿ ذكر صعود سيدنا عيسى الى السماء ﴾

ولما أعلم الله سبحانه وتعالى المسيح انه خارج من الدنيا ، جزع من ذلك فدعا الحواريين ووضع لهم طعاماً وقال : احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغ من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك . فقال : من رد علي شيئاً مما اصنع فليس مني ٠ فتركوه ، فلما فرغ قال لهم : انما فعلت هذا ليكون لكم اسوة بي في خدمة بعضكم بعضاً ، وأما حاجتي اليكم فأن تجتهدوا في الدعاء الى الله تعالى ان يؤخر اجلي ٠

فلما ارادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء ٠ وجعل المسيح

يوقظهم وينبههم فلايزدادون إلا نوماً وتكاسلا، واعلموه انهم مغلوبون على ذلك.

فقال المسيح: سبحان الله يذهب بالراعي وتتفرق الغنم. ثم قال لهم: الحق اقول لكم ليكفرن بي أحدكم قبل ان يصيح الديك وليبغي أحدكم بدارهم يسيرة ويأكل ثمني.

وكان اليهود قد جدوا في طلبه. فحضر بعض الحواريين الى هردوس الحاكم على اليهود الى جماعة من اليهود وقال: ما تجعلون لي اذا دللتكم على المسيح. فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه. فرفع الله عيسى اليه والقى شبهه على الذى دلهم عليه. فان اليهود لما قصدوه اظلمت الدنيا حتى صارت كالليل، واظلمت الشمس وظهرت الكواكب وانشقت الصخور. فلذلك لم يتحققوا المشبه به من شدة الظلمة وحصول الارجاف.

وقد اختلف العلماء في موته قبل رفعه فقيل: رفع ولم يمت، وقيل: بل توفاه الله ثلاث ساعات، وقيل: سبع ساعات ثم احياه الله. وتأول قائل هذا قوله تعالى: (اني متوفيك ورافعك إلي).

ولما امسك اليهود الشخص المشبه به ربطوه وجعلوا يقودونه بحبل ويقولون له انت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل، ويقبضون يديه ويبصقون في وجهه ويلفون عليه الشوك وصلبوه على الخشب فمكث عليه ست ساعات. ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي على اليهود وكان اسمه فيلاطوس ولقبه هردوس ودفنا في قبر كان يوسف المذكور قد اعده لنفسه.

وانزل الله المسيح من السماء الى امه مريم وهي تبكي عليه، فقال لها: ان الله رفعني اليه ولم يصبني إلا الخير. وامرها فجمعت له الحواريين، فبثهم في الأرض رسلا عن الله وامرهم ان يبلغوا عنه ما امره الله به. ثم رفعه الله اليه. وتفرق الحواريون حيث امرهم.

وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الاسكندر على دارم.

ثم ان اربعة من الحواريين وهم متى وثلاث معه اجتمعوا وجمع كل واحد منهم انجيلا ، وخاتمة انجيل متى ان المسيح قال: اني ارسلتكم الى الامم كما ارسلني ربي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الأب والابن وروح القدس .

وكان بين رفع المسيح ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريباً .

وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثاً وثلاثين سنة .

وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من رفعه الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفاً واربعمائة وثماني وتسعين سنة .

ونزل عليه جبريل عليه السلام عشر مرات . وامته النصارى على اختلافهم .

واما امه مريم فانها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة ، لأنها حملت به لما صار لها من العمر ثلاثة عشر سنة ، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة ، ورفع وبقيت بعد رفعه ست سنين ، والله اعلم . ويأتي ذكر قبرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وكان رفع المسيح من طور زيتا ـ جبل شرقي بيت المقدس ـ .

وروي انه دعا الله وقت رفعه تعالى بهذا الدعاء ـ وهو دعاء مستجاب ـ :

اللهم انت القريب في علوك ، المتعالي في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، انت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر اليك ، وغشيت دونك ، وسبح لك الفلق في النور ، انت الذي جليت الظلم بنورك فتباركت اللهم انت خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الامور بحكمتك ، مبدع الخلق بعظمتك ، القاضي في كل شي بعلمك ، الذى خلقت سبعاً طباقاً في الهواء بكلماتك ، مستويات الطباق ، مذعنات لطاعتك ، سماعين لعلو سلطانك ، فأجبن وهن دخان من خوفهن فأتين طائعين بأمرك ، فيهن الملائكة يسبحونك ويقدسونك ، وجعلت فيهن نوراً يجلو الظلام وضياء أضوء من الشمس ، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها في ظلمات

البر والبحر ورجوماً للشياطين ، فتباركت اللهم في مفطور سماواتك ، وفيما دحيت من الأرض ، ودحوتها على الماء ، فأذللت لها الماء الطاهر فذل لطاعتك ، وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك امواج البحار ففجرت فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الانهار العيون الغزار والينابيع ، ثم اخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال اوتاداً فأطاعتك اطوادها ، فتباركت اللهم صفاتك ، ومن يبلغ صفة قدرتك ، ومن ينعت بنعتك ، وتنشيء السحاب ، وتفك الرقاب ، وتقضي الحق وانت خير الفاصلين ، لا إله إلا انت انما يخشاك من عبادك العلماء ، واشهد أنك لست باله استحدثناك ، ولا رب لنا سواك نذكره ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم وندعك ، ولا اعانك أحد على خلقك فنشك فيك اشهد انك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً احد ولم تتخذ صاحبة ولا ولداً ، اجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً .

فلما اتم دعاءه رفعه الله اليه .

ولما ماتت امه مريم عليها السلام دفنت بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية خارج باب الاسباط في ذيل جبل طور زيتا ، وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى .

واستمر بيت المقدس عامراً بعد رفع عيسى اربعين سنة فيكون لبثه على عمارته الثانية التي عمرها كورش سبعمائة واحدى وعشرين سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثانى ، وهلاك اليهود ﴾
(وزوال دولتهم زوالا لا رجوع بعده)

لما جرى ما تقدم شرحه من رفع المسيح الى السماء استمر بيت المقدس عامراً بعده اربعين سنة . وتولى على بني اسرائيل جماعة من الملوك واحداً بعد

واحد الى ان ملك طيطوس الرومي وكان محل ملكه مدينة روميا من بلاد الافرنج .

ففي السنة الاولى من ملكه قصد بيت المقدس واوقع باليهود وقتلهم واسرهم عن آخرهم إلا من اختفى ، وخرب بيت المقدس ونهبه واحرق الهيكل واحرق كتبهم واخلى القدس من بني اسرائيل (كأن لم تغن بالأمس) ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم .

وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو اربعين سنة كما تقدم ، وهي لمضي ثلثمائة وست وسبعين سنة من غلبة الاسكندر ، ولثمانمائة واحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر . وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال : (فاذا جاء وعد الآخرة من افسادكم) وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع ، وقتلهم يحيي «ع» فسلط الله عليهم الفرس والروم وخردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم ، فذلك قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم - بادخال الهم والغم والحزن - وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا * عسى ربكم ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وإن عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة .

قال قتادة : فعادوا ، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

وبين هذا التخريب الثاني والهجرة خمسمائة وثمان وخمسون سنة بالتقريب . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من خراب بيت المقدس الثاني الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفاً وار بعمائة وثماني وخمسين سنة بالتقريب، وهو تاريخ تشتت اليهود في البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر عمارة بيت المقدس الشريف المرة الثالثة ﴾

لما جرى ما ذكر من تخريب طيطوس بيت المقدس وما فعله في اليهود تراجع الى العمارة قليلا قليلا وترمم شعثه واستمر عامراً حتى سارت هيلانة ام قسطنطين المظفر الى القدس وابنها قسطنطين كان ملكاً في رومية ، ثم انتقل منها الى قسطنطينية وبنى سورها وتنصر ، وكان اسمها البرنطية فسماها القسطنطينية .

وزعمت النصارى انه بعد ست سنين خلت من ملكه ظهر له من السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية ، وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة يعبدون اصناماً على اسماء الكواكب السبعة .

ولمضي عشرين سنة من ملك قسطنطين المذكور اجتمع الفان وثمانمائة واربعون اسقفاً ثم اختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً فحرموا ارنيوس الاسكندري لكونه يقول ان المسيح كان مخلوقاً ، واتفقت الاساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد ان لم تكن ، وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الاسكندرية . ومن هنا كان اصل النصرانية في الروم .

وكان قبل ذلك في سنة احدى عشرة خلت من ملكه سارت امه هيلانة - المتقدم ذكرها - الى القدس في طلب خشبة المسيح التي تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام صلب عليها . ولما وصلت الى القدس اخرجت خشبة الصليب وأقامت لذلك عيد الصليب ، وبنت كنيسة قمامة على القبر الذي تزعم النصارى ان عيسى دفن فيه ، وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه ، وكنيسة بيت لحم ، والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى عليه السلام ، وكنيسة الجيسمانية التي بها قبر مريم عليها السلام وغير ذلك ، وخربت هيكل بيت المقدس الى الأرض وهو الذي كان في المسجد ، وامرت ان يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته . فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة .

وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح بيت المقدس الشريف على ما سنذكره عند ذكر الفتح العمري إن شاء الله تعالى .

قال المشرف عن كعب قال : كانت قبة صخرة بيت المقدس طولها في السماء اثنى عشر ميلا ، وكان اهل اريحا وعمواس يستظلون بظلها ، وكان عليها ياقوتة تضيء بالليل كضوء الشمس فاذا كان النهار طمس الله ضوءها ، فلم تزل كذلك حتى اتت الروم فغلبوا عليها .

فلما صارت في ايديهم قالوا : تعالوا نبن عليها افضل من البناء الذي كان عليها . فبنوا عليها على قدر طولها في السماء وزخرفوه بالذهب والفضة . فلما فرغوا من البناء دخله سبعون الفاً من رهبانهم وشمامستهم في ايديهم مجامر الذهب والفضة واشركوا فيها فانقلبت عليهم فما خرج منهم احد .

فلما رأى ملك الروم ذلك جمع البطارقة والشمامسة ورؤساء الروم فقال لهم : ما ترون ؟ قالوا : نرى انا لم نرض إلهنا فلذلك لم يقبل بناءه .

قال : فأمر به الثانية فبنوها وأضعفوا فيها النفقة ودخلوها سبعين الفاً مثل ما دخلوا اول مرة ، ففعلوا كفعلهم . فلما اشركوا انقلبت عليهم . ولم يكن الملك معهم .

فلما رأى ذلك جمعهم ثالثة وقال لهم: ماترون ؟ قالوا : لم نرض ربنا كما ينبغي فلذلك خربت ونحب ان تبنى ثالثة .

فبنوا الثالثة حتى اذا رأوا انهم قد اتقنوها وفرغوا منها جمع النصارى وقال : هل ترون من العيب شيئاً ؟ قالوا : لا . فكللها بصليب الذهب والفضة . ثم دخلها قوم بعد ان اغتسلوا وتطيبوا ، فلما دخلوا أشركوا كما أشرك اصحابهم . فخرت عليهم الثالثة . فجمعهم ملكهم رابعة واستشارهم وكثر خوضهم في ذلك .

فبينما هم على ذلك إذ اقبل عليهم شيخ كبير عليه برانس سود وعمامة سوداء قد انحني ظهره يتوكأ على عصا وقال : يا معشر النصارى إلي فاني اكبركم سناً

وقد خرجت من متعبدي لأخبركم ان هذا المكان قد لعن اصحابه وان القدس قد نزع وتحول الى هذا المكان - واشار الى الموضع الذي بنوا فيه كنيسة القيامة - وانا اريكم الموضع ولستم تروني بعد هذا اليوم ابداً اقبلوا مني ما اقول لكم . واغواهم وزادهم طغياناً وامرهم ان يقلعوا الصخرة ويبنوا بحجارتها الموضع الذي امرهم به .

فبينما هو يكلمهم ويقول لهم ذلك إذ خفي فلم يروه . وازدادوا كفراً وقالوا فيه قولا عظيما . فخربوا بيت المقدس وحملوا العمد وغيرها وبنوا بها كنيستهم ، والكنيسة التي في وادي جهنم .

وقال لهم : اذا فرغتم من هذه فافرغوه واتخذوه مزبلة لعذراتكم . ففعلوا ذلك ، حتى كانت المرأة تطرح خرق حيضها عليه من القسطنطينية . واكبوا على ذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأسرى به اليها وذكر فضلها .

حكى ذلك صاحب مثير الغرام قال : وقد تقدم ان بخت نصر هو الذي خرب عمارة سليمان ، وهذا الذي رواه المشرف عن كعب الأحبار يقتضي ان الذي خرب عمارة سليمان وتغلب عليها انما هم الروم ، وهذا غير مستقيم اللهم إلا ان نجعل ملك الفرس المتقدم الباني لها بعد تخريب بخت نصر بنى المكان على نعت بناء سليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ قصة الفيل ﴾

وهي ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير . فلما صار الملك الى ابرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد ان يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام .

فجاء شخص من العرب فأحدث في تلك الكنيسة . فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل - وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا - ليهدم الكعبة المشرفة .

فلما وصل الى الطائف بعث الأسود بن مقصود الى مكة فساق اموال اهلها واحضرها الى ابرهة . وارسل ابرهة الى قريش قال لهم : لست اقصد الحرب بل جئت لأهدم الكعبة .

فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمه ، وان خلى بينه وبينه فوالله ماعندنا من دافع . ثم انطلق مع رسول ابرهة اليه.

فلما استأذن عبد المطلب ، قالوا لابرهة : هذا سيد قريش . فأذن له ابرهة واكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته . فذكر عبد المطلب أباعره التي اخذت له . فقال له ابرهة : اني كنت اظن أنك تطلب مني اني لا اخرب الكعبة التي هي دينك . فقال عبد المطلب : أنا رب الأباعر فأطلبها وللبيت رب يمنعه . فأمر ابرهة برد الأباعر عليه ، فأخذها عبد المطلب وانصرف الى قريش .

ولما قرب ابرهة من مكة وتهيأ لدخولها بقي كلما اقبل فيله على مكة ينام ويرمي بنفسه الأرض ولم يسر ، فاذا قبلوه غير مكة قام يهرول . وكان اسم الفيل محموداً .

فبينما هم كذلك إذ ارسل الله عليهم طيراً أبابيل امثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة احجار في منقاره ورجليه فقذفتهم بها ، وهي مثل الحمص والعدس . فلم تصب منهم احداً إلا هلك ، وليس كلهم اصابت .

ثم ارسل الله سيلا فألقاهم في البحر . والذي سلم منهم ولى هارباً مع ابرهة الى اليمن يستبدل الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل ، واصيب ابرهة في جسده وسقطت اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات .

ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا من اموالهم شيئاً كثيراً والله اعلم .

﴿ ذكر سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين ﴾

(وحبيب رب العالمين البشير النذير الداعي إلى الله باذنه السراج المنير)

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ·

ففهر المذكور هو قريش ، وكل من كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً · وقيل : سمي قريشاً لشدة شبهه بدابة من دواب البحر يقال لها : القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم .

وقيل : ان قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سموا قريشاً لأنه قرش بني فهر أى جمعهم حول الحرم فقيل لهم قريش . فعلى هذا يكون لفظ قريش اسماً لبني فهر لا لفهر نفسه .

وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . هذا هو النسب المتفق على صحته من غير خلاف .

وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام من غير خلاف ولكن الخلاف في عدّة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل . فعد بعضهم بينهما نحو اربعين رجلا ، وعد بعضهم سبعة . والمختار ان : عدنان بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلاط بن بنت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل «ع» ابن تارخ ـ وهو آزر ـ بن ناخور بن ساروع بن راعون بن فالغ بن عابر بن سالح بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح عليهما السلام بن لامخ ـ ويقال لامك ـ ابن متوشلح بن أخنوخ ـ وهو ادريس عليه السلام ـ بن بارد بن مهلاييل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ·

قال علماء السير : كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف في حجر عمها وهيب فمشي اليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله وخطب منه آمنة وعقد عليها نكاحه

ودخل بها فحملت بسيد العالم وأشرف بني آدم .

ثم خرج عبد الله الى الشام ، وعاد فمر بالمدينة وهو مريض فأقام عند اخواله بني عدي بن النجار مدة شهر . وتوفي ودفن في دار النابغة ـ وهو رجل من بني عدي بن النجار ـ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئـذ ابن شهرين . وقيل : كان حملا .

وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول . وقيل: لاثني عشر عام الفيل . وكان قدوم اصحاب الفيل قبل ذلك في نصف المحرم . وتقدمت قصتهم .

وبين الفيل وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون ليلة وهي سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين سنة من هبوط آدم عليه السلام ، على حكم التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين .

ولد صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً ، ففرح به عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكونن لابني هذا شأن عظيم . وكان له شأن واي شأن صلى الله عليه وسلم .

وخلق الله من الأنبياء اربعة عشر مختونين وهم : آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيى وحنظلة بن صفوان ـ من اصحاب الرس ـ ونبينا صلى الله عليه وسلم .

واولوا العزم من الرسل خمسة وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينـا محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل غير ذلك .

وأول الرسل عليهم السلام آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الأنبياء اربعـة سريانيون وهم : آدم وشيث واخنوخ ـ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ـ ونوح . واربعـة من العرب : هود وشعيب وصالح ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وأول انبياء بني اسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى .

وأما اسماؤه صلى الله عليه وسلم فهي ثلاثة وعشرون اسماً : محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم والشاهد والبشير والنذير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والأمين والخاتم والمصطفى والرسول والنبي الامي والقثم .

قاله ابن الجزري ، وذكر غيره اسماء كثيرة منها : طه ويس والمزمل والمدثر والرسول ، وله اسماء غير ذلك . وفيما ذكرته كفاية ، طلباً للاختصار .

واول من ارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح اياماً وكانت ارضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب فهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة .

ثم قدمت حليمة الى مكة فأخذته ومضت به الى بلادها وهي بادية بني سعد . واتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب . والقصة مشهورة . فلما علمت حليمة بذلك رجعت به الى مكة لأهله وهو ابن خمس .

وتوفيت امه آمنة وله ست سنين .

ولما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر سنة وشهران ارتحل به ابو طالب الى الشام . فلما نزل ببصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمامة تظلله من بين القوم ورأى فيه امارات النبوة بشر به وقال لأبي طالب : ان لابن اخيك شأناً عظيما .

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ ، وكان أعظم الناس مروءة وحلما واحسنهم جواباً واصدقهم حديثاً واعظمهم أمانة حتى صار اسمه في قومه الأمين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة .

وفي سنة خمس وعشرين من مولده تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ولها اربعون سنة ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت . ولم يتزوج بكراً غير عائشة .

وولدت له خديجة اولاده كلهم إلا ابراهيم فانه من مارية القبطية ، ويأتي ذكر مولده ووفاته . وبقية اولاده من خديجة وهم : زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم ، وبه كان يكنى ، توفي بمكة وله من العمر سنة . والطاهر وهو عبد الله ، توفي بمكة بعد النبوة قبل الهجرة . والطيب توفي بمكة .

وأما بناته فكلهن ادركن الاسلام ، فأسلمن وهاجرن معه . فرقية ماتت في سنة اثنين من الهجرة . وزينب في سنة ثمان من الهجرة . وام كلثوم ماتت بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع . وفاطمة ماتت بعد رسول الله (ص) بستة اشهر ، وقيل : اقل من ذلك .

وروي : ان عائشة رضي الله عنها اسقطت سقطاً اسمه عبد الله .

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده (ص) هدمت قريش الكعبة . وكان سبب هدمها : انها كانت قصيرة البناء ، فأرادوا رفعها وسقفها فهدموها . ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فاختصموا فيه ، لأن كل قبيلة ارادت رفعه الى موضعه . ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب الحرم .

وكان اول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا به واخبروه الخبر ، فقال: هلموا إلي ثوباً . فأتي به ، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم . ثم اتموا بناء الكعبة والله سبحانه وتعالى اعلم .

﴿ ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وابتداء الوحي اليه ﴾

بعث رسول الله (ص) ونزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة ، وكان يوم الاثنين لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان .واول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو

بغار حراء فيتعبد فيه فجاءه الملك واقرأه كما في الحديث الشريف، والقصة مشهورة .

فعاد الى خديجة واخبرها الخبر ، فانطلقت به حتى اتت ورقة بن نوفل فأخبرته خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي انزله الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني اكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجيّ هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يلبث ورقة ان توفى . وفتر الوحي .

ثم كان اول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ باسم ربك) : (نون والقلم وما يسطرون . .) ، و (يا أيها المدثر . .) ، (والضحى . .) .

وأول من آمن به من النساء : خديجة زوجته .

ثم اول شيء فرض الله عليه من شرائع الاسلام - بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان - : الصلاة . أتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة .

ورميت الشياطين بالشهب لمبعثه .

وأسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان عمره احدى عشرة سنة .

ثم اسلم زيد بن حارثة . ثم اسلم ابو بكر رضي الله عنه ، وقيل : انه اول من اسلم . واسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وصلوا . وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام فأسلم بعدهم من اسلم .

وامر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر وان يظهر دعوته . وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يظهرها إلا الى من يثق به . وكان اصحابه اذا ارادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بأمر الله تعالى وامر قومه بالاسلام ، فكان المشركون يحصل منهم الضرر للمستضعفين من المسلمين فمن

لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بالقائه في الرمضاء على ظهره وقت الظهيرة وبالقاء الصخرة العظيمة على صدره ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، وكانوا يفعلون بهم غير ذلك من انواع التعذيب . ومن المسلمين من مات من فعل المشركين .

وكان بعض المشركين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزىء به .

ثم اسلم حمزة عم النبي (ص) ، فعرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

ثم اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعز الله باسلامه الدين وقال : يارسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : اي والذي بعثني بالحق . قال : أما والذي بعثك بالحق نبيا لا يعبد الله بعد اليوم إلا جهراً . فأظهر الله الدين بإعانه .

﴿ الهجرة الاولى ﴾

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء امرهم ان يخرجوا الى ارض الحبشة . فخرج جماعة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على النجاشي ، وكان ملكاً عادلا اسمه اصحمة ومعناه بالعربية : عطيـة . فأكرمهم واقاموا عنـده بخير . ثم اسلم النجاشي بعد ذلك .

وكان السبب في ولايته عليهم بعد قتل امير الحبشة : ان اباه كان اميراً عليهم فكرهوه ، وكان له اخ فقصدوا ولايته عليهم بعد قتل اخيه فقتلوه ، وقصدوا قتل النجاشي فقال لهم عمه : انتم قتلتم اباه وتقتلوه ، اخرجوه من بلادكم .

فأخذوه الى البحر فرأوا سفينة فباعوه ورجعوا الى بلادهم فوجدوا عمه مات ، فقالوا : ذلك من خطيئة النجاشي فأدركوه واتوا به ليكون اميراً مكان ابيـه ، فجاؤا به اميراً مكان ابيه ، فأول ما حكم ان الذين اشتروه قالوا : ان

هؤلاء باعونا عبداً واخذوه منا · فقال لهم : اما ان تعطوهم ما اخذتم منهم واما ان تسلموهم عبدهم · فهذا اول حكمه فيهم ·

ثم بعد ذلك وقع من الحبشة تعصب على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: ان هؤلاء لهم دين غير ديننا · فأرسل وراءهم وقال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا نؤمن به ونصدقه فيما جاء به · فقال للحبشة : ما تقولون في نبيهم ؟ فلم يؤمنوا به · فقال لهم : هؤلاء يؤمنون بنبيكم وانتم لا تؤمنون بنبيهم فأنتم الآن ظلمة فكل منكم على دينه ولا احد منكم يعارض هؤلاء · فاستمروا في بلاده مدة ، وعادوا الى اوطانهم ·

ومات النجاشي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم اصحمة . فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ·

﴿ أمر الصحيفة ﴾

ولما رأى المشركون ان الاسلام ينمو ويزيد إئتمروا ان يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بني هاشم وبني عبد المطلب ولا ينكحوا منهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم . فكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة الشريفة ، وأقاموا على ذلك سنتين او ثلاثاً . هذا ورسول الله (ص) يدعو الناس سراً وجهراً ، والوحي يتتابع ·

ثم قام نفر من قريش وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، ووقع بينهم الخلاف · فقام مطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد اكلتها إلا ما كان (باسمك اللهم) كانت قريش تستفتح بها كتابها ، واكلت الأرضة ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها من اسم الله تعالى ·

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك. فاجتمع قريش واحضروا الصحيفة فوجدوا الأمر كما قاله ، فنكسوا رؤسهم . واتفق جماعة من قريش ونقضوا

ما تعاهدوا عليه في الصحيفة من قطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب . والله أعلم .

﴿ قصة المعراج وما وقع لنبينا محمد (ص) ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى ﴾

لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الوحي وأمره باظهار دينه وايده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ـ وهو بيت المقدس من ايليا ـ .

وقد فشا الاسلام في قريش وفي القبائل كلها .

وكان الاسراء ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن الجوزي : وقد قيل : كان في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب .

واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : انما كان جميع ذلك في المنام . والحق الذى عليه الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : انه اسرى بجسده صلى الله عليه وسلم يقظة لأن قوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) تدل على ذلك . ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن كان اسلم .

وقال الكفار : يزعم محمد انه اتى بيت المقدس ورجع الى مكة في ليلة واحدة والعير تطرد اليه شهراً مقبلة وشهراً مدبرة . فلو كانت رؤيا نوم لم يستبعد ذلك منه .

قال ابن عباس : رضي الله عنهما : هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام ، قال الله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) اضاف الأمر للبصر ، وقال تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها .

واختلف السلف والخلف : هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء . فأنكرته عائشة رضي الله عنها .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: رآه بعينيه . ومثله عن ابي ذر

وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك . وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة والامام احمد بن حنبل .

وحكى النقاش عن الامام احمد انه قال: أنا اقول بحديث ابن عباس بعينيه رآه رآه رآه ، حتى انقطع نفس الامام احمد .

واختلفوا في ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه عز وجل ليلة الاسراء ، فذكر عن جعفر بن محمد الصادق انه قال : اوحى الله اليه بلا واسطة . والى هذا ذهب بعض المتكلمين وقال : ان محمداً كلم ربه في ليلة الاسراء ، وحكوه عن ابن عباس وابن مسعود .

واختلف في المكان الذي اسرى به ربه منه : فروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : بينا انا نائم في بيت ام هاني بنت ابي طالب - وفي رواية بينما انا في الحطيم وربما قال : في الحجر مضطجعاً ، ومنهم من قال : بينما انا بين النائم واليقظان وكانت ليلة الاثنين إذ هبط عليّ الأمين جبريل عليه السلام .. وذكر القصة .

وكان من حديث المعراج الشريف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : أتيت بالبراق - وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه - قال : فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين .

وفي رواية فلما دخلت المسجد اذا أنا بالأنبياء والمرسلين قد حشروا إليّ من قبورهم ومثلوا لي وقد قعدوا صفوفاً صفوفاً ينتظروني فسلموا عليّ ، فقلت يا جبريل من هؤلاء القوم ؟ قال : اخوانك الأنبياء والمرسلون ، زعمت قريش ان لله شريكاً وزعمت النصارى ان لله ولداً اسأل هؤلاء النبيين هل كان لله شريك ؟ ثم قرأ (واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) .

قال ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر في كتاب التنزيل له : ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ليلة الاسراء . وقد

عدّها غيره من العلماء في الشامي ، والذي قاله ابو القاسم اخص مما ذكروه .

فلما نزلت وسمعها الأنبياء عليهم السلام اقروا لله عز وجل بالوحدانية .

قال عليه الصلاة والسلام : ثم جمعهم جبريل وقدمني فصليت بهم ركعتين . قال (ص) : ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من انت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال: قد بعث اليه . ففتح لنا ، فاذا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من انت ؟ قال جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا انا بيني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا «ع» فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ـ فذكر مثل الأول ـ ففتح لنا ، فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ـ وذكر مثله ـ فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بي الى السماء الخامسة ـ فذكر مثله ـ فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السادسة ـ فذكر مثله ـ فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السابعة ـ فذكر مثله ـ فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه .

ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى ، واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها

كالقلال . قال . فلما غشيها الله من امره ما غشيها تغيرت ، فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها . فأوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة .

فنزلت الى موسى فقال : ما فرض ربك عليك وعلى امتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم . قال : فرجعت الى ربي فقلت : يا رب خفف عن امتي . فحط عني خمساً . فرجعت الى موسى فقلت: حط عني خمساً قال : ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم ازل ارجع بين ربي تعالى و بين موسى حتى صارت خمس صلوات . قال : ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف . قال : يا محمد انهن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً . ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة .

قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه . وفي رواية : يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه . قال : بسم الله فاهبط .

قال صلى الله عليه وسلم : ثم حملني جبريل حتى انزلني على جبل بيت المقدس واذا انا بالبراق واقف على حاله في موضعه فسميت الله واستويت على ظهره ، فما كان بأسرع من ان اشرفت على مكة ومعي جبريل .

قال صلى الله عليه وسلم : لما كان صبيحة ليلة الاسراء اصبحت بمكة متحيراً في امري وعلمت ان الناس يكذبوني فقعدت معتزلا حزيناً الى ناحية من نواحي المسجد فمر بي ابو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إلي فقال - كالمستهزىء -

هل كان من شيء يا محمد ؟ فقلت : نعم . قال : وما هو ؟ قلت : اني اسري بي الليلة . قال : الى اين ؟ قلت : الى بيت المقدس . قال : ثم اصبحت بين اظهرنا ؟ قلت : نعم . فقال ابو جهل : يا معشر قريش يامعشر بني كعب يا معشر بني لؤي هلموا . فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا الى النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال ابو جهل : حدث قومك يا محمد بما حدثتني . فقال رسول الله (ص) : اني اسري بي الليلة . قالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قالوا : ثم اصبحت بين اظهرنا ؟ قال : نعم . فبقي منهم المتعجب ومنهم المصفق ومنهم الواضع يده على ام رأسه .

ثم قالوا : هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس ؟ قلت : نعم . قال : فذهبت انعته حتى التبس علي بعض النعت لكوني دخلته ليلا . فجيء بالمسجد انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل ، فجعلت انظر اليه واخبرهم عن آياته . قال صلى الله علية وسلم : وآية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فنفرهم حس الدابة فندلهم بعير فدللتهم عليه ، ثم اقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم اولاً إلا الجمل الذي وصف لهم وسألوهم عن الاناء فأخبروهم انهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه وانهم افتقدوه من الليل فوجدوه كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين ند لهم البعير فقالوا : صدق والله لقد ند لنا بعير بالوادي الذي ذكره فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه وانه لأشبه الأصوات بصوت محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) فجئنا حتى اخذناه .

وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا : هل لك يا أبا بكر في صاحبك انه يزعم انه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة .

فقال ابو بكر رضي الله عنه : والله لئن كان قال لكم ذلك لقد صدق فما تعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنا عن الوحي من الله يأتيه من السماء الى الأرض في ساعة واحدة من ليل او نهار فنصدقه فهذا ابعد مما تعجبون منه · ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يانبي الله أحدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم · قال : صدقت فصفه لي يا نبي الله فاني جئته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لي حتى نظرت اليه. وجعل يصفه لأبي بكر وهو يقول: صدقت أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى · فقال رسول الله (ص) : وانت يا ابابكر الصديق . فسمي من ذلك اليوم صديقاً . قال الله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون) ·

ثم انزل الله سورة النجم تصديقاً له صلى الله عليه وسلم ·

ثم توفي ابوطالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنهما قبل الهجرة الشريفة . وماتت خديجة قبل الهجرة الشريفة بخمسة وثمانين يوماً وقيل بخمسة وعشرين يوماً ، وقيل بثلاثة ايام . فعظمت المصيبة على رسول الله (ص) بموتهما وقال : ما نالتني قريش بشيء اكرهه حتى مات ابو طالب · وذلك ان قريشاً وصلوا من ايذائه بعد موت ابي طالب الى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته .

وتزوج بعد خديجة عائشة رضي الله عنها ولها تسع سنين . وتزوج بسودة ·

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبائل العرب يلتمس منهم نصرته والقيام معه على من يخالفه ، ويدعوهم الى الله فلم يجيبوه ·

﴿ ابتداء أمر الانصار ﴾

ولما اراد الله إظهار دينه خرج رسول الله ﷺ الى الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل ، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج فدعاهم الى الله تعالى · فأجابوه وصدقوه وانصرفوا راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة

ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوا قومهم الى الاسلام حتى فشا فيهم ٠

﴿ بيعة العقبة الاولى ﴾

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة فبايعوه أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادهم ٠ وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ٠ فنزل بالمدينة ٠

﴿ بيعة العقبة الثانية ﴾

ولما فشا الاسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير الى رسول الله (ص) مستخفين ٠ فساروا في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوه أوسط ايام التشريق بالعقبة ٠ فلما كان الليل خرجوا حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا معهم امرأتان ، وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه ، فتكلم رسول الله (ص) وتلا القرآن ثم قال : ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم واولادكم ٠ ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ٠ ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن قتلنا دونك ما لنا ؟ قال: لكم الجنة . قالوا فابسط يدك فبسط يده فبايعوه ، ثم رجعوا الى المدينة وكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية ذي الحجة والمحرم وصفر والله أعلم ٠

﴿ ذكر الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ﴾

وهي ابتداء التاريخ الاسلامي . اما لفظة التاريخ فانها محدثة في لغة العرب لأنه لفظ معرب من ماه روز . لأن عمر رضي الله عنه قصد التوصل الى الضبط من رسوم الفرس فاستحضر الهرمزان وسأله عن ذلك ، فقال : ان لنا به حساباً نسميه

ماهروز ومعناه حساب الشهور والأيام. فعربوا الكلمة فقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه. ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على ان يكون المبدأ سنة هذه الهجرة ، فكانت هذه الهجرة من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى. وقد تصرم من شهور هذه السنة واياما المحرم وصفر وثمانية ايام من ربيع الأول .

فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوماً وجعلوا مبدأ التاريخ اول المحرم من هذه السنة . ثم احصوا من اول يوم المحرم الى آخر يوم من عمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين واياماً ، واذا حسب عمره من الهجرة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين واحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

واما التواريخ القديمة فكانت الامم السالفة تؤرخ بالأحداث العظام وتملك الملوك . فأرخوا بهبوط آدم ، ثم بعث نوح ، ثم بالطوفان . وأرخ بنو اسحاق بنار ابراهيم الى يوسف ، ومن يوسف الى مبعث موسى الى ملك سليمان بن داود ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من ارخ بوفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر ببني اسرائيل ، ثم بخراب بيت المقدس . واما بنو اسماعيل فأرخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقوا ، وكان كل من خرج منهم من تهامة يؤرخ بخروجه . ثم ارخوا بعام الفيل ، ثم ارخوا بأيام الحروب .

وكانت حمير يؤرخون بملوكهم التبابعة . واما اليونان والروم فأرخوا بظهور الاسكندر . واما النبط فكانوا يؤرخون بملك بخت نصر . واما المجوس فكانوا يؤرخون بقتل دارا وظهور الاسكندر ، ثم بظهور ازدشير ، ثم بملك يزدجرد .

وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعرب تؤرخ بعام الفيل .

ولم يزل التاريخ كذلك الى ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة فقرر الأمر على ان يؤرخوا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . فجعلوا التاريخ من المحرم اول عام الهجرة .

وقد ورد في حديث المعراج الشريف ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اسرى به : انزل فصل هنا . ففعل . فقال : أتدري أين صليت صليت بطيبة واليهـا المهاجرة .

واما ما كان من حديث الهجرة : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة في شهر ربيع الأول وأمر اصحابه بالمهاجرة الى المدينة . فخرج جماعة وتتابع الصحابة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأقام النبي (ص) بمكة ينتظر ما يؤمر به ، وتخلف معه ابو بكر وعلي رضى الله عنهما .

واجمعت قريش على مكيدة يفعلونها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنجاه الله من مكرهم ، وانزل عليه في ذلك : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ..) الآية ، وأمره بالهجرة .

فأمر علياً ان يتخلف عنه ويؤدي ما عنده من الودائع لأربابها . ثم خرج هو وابو بكر الى غار ثور ـ وهو جبل أسفل مكة فأقاما فيه ، ثم خرجا بعد ثلاثة أيام وتوجها الى المدينة وقدماها لاثني عشر ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى وكان يوم الاثنين الظهر ، فنزل بقباء واقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ، واسس مسجد قباء وهو الذي نزل فيه (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه رجال) .

ثم خرج من قباء يوم الجمعة ، وادركته الجمعة في بني عمرو بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي ، وكانت اول جمعة صلاها بالمدينة .

فولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وهاجر يوم الاثنين ، وقبض (ص) يوم الاثنين .

واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد ان اوحى اليه فقيل : عشر سنين ، وقيل : ثلاثة عشر سنة ، وهو الصحيح . ولعل الذي قال عشر سنين أراد بعـد اظهار الدعوة فانه بقي ثلاث سنين يسرها والله اعلم .

﴿ ذكر بناء المسجد الشريف النبوى ﴾
(على صاحبه أفضل الصلاة والسلام)

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل من قباء يريد المدينة فما مر على دار من دور الانصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله الى العدد والعدة . ويعترضون ناقته ، فيقول: خلوا سبيلها فانها مأمورة . حتى انتهت الى موضع مسجد النبي (ص) فبركت هناك . فنزل عنها النبي صلى الله عليه وسلم واخذ ابو ايوب الانصارى الناقة الى بيته .

وكان موضع المسجد مربداً للتمر لسهل وسهيل ابني عمرو - يتيمين في حجر اسعد بن زرارة - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : لا ، بل نهبه لك يارسول الله . فأبى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً . وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه .

وقيل : بل كان الموضع لبني النجار وكان فيه قبور المشركين وخرب ونخل فأراد النبي (ص) ان يشتريه من بني النجار . فقال لهم يا بني النجار ثامنوني حائطكم . فقالوا : لا نطلب ثمنه إلا الى الله . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال : فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة ، وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وأقام رسول الله (ص) عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، وكان قبله يصلي حيث ادركته الصلاة . وبناه هو والمهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان المسجد الشريف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن

وسقفه الجريد وعمده خشب النخل . فلم يزد ابو بكر فيه شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً .

ثم غيره عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

ثم لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك - الذي عمر مسجد دمشق - استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكتب اليه في سنة سبع وثمانين من الهجرة الشريفة يأمره بهدم مسجد رسول الله (ص) وهدم بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن ، وأن يدخل البيوت في المسجد بحيث تصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وان يضع اثمان البيوت من بيت المال . فأجابه اهل المدينة الى ذلك ، وقدم الصناع من عند الوليد لعمارة المسجد وتجرد لذلك عمر بن عبدالعزيز وشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه ما حوله من المنازل .

ثم لما صارت الخلافة لبني العباس ووليها المهدي - ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر المنصور - وسع المسجد الشريف وزاد فيه وحمل اليه العمد الرخام ورفع سقفه وألبس خارج القبر الشريف الرخام ، وذلك في سنة سبع وستين ومائة . وأمر بتقصير المنابر في البلاد وجعلها بمقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد عمر في المسجد الشريف جماعة من ملوك الاسلام من الخلفاء والسلاطين وجددوا فيه اشياء من المحاسن .

وكان قد احترق المسجد الشريف في زمن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله فاهتم بعمارته ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة وعمل فيه منبراً وسقفه بالذهب .

ثم في عصرنا جرت حادثة وهي في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة وقعت صاعقة بالليل في المدينة الشريفة احترق منها المسجد الشريف النبوي والحجرة الشريفة وجميع ما بالمسجد الشريف من المصاحف والكتب

وغير ذلك . ووردت الأخبار بذلك الى السلطان الملك الأشرف قايتباى وكتب أهل المدينة الشريفة محضراً بما وقع وجهزوه الى القاهرة في اسرع وقت وجزع الناس لذلك . ثم اهتم السلطان بعمارته وأقام في ذلك اعظم قيام وانشأه وجدد عمارته فجاءت في غاية الحسن ولله الحمد والمنة .

واما المسجد الشريف فله اربعة أبواب من جهتي المشرق والمغرب ، فمن جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ، ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة . وعليه خمس منابر : اربعة قديمة والخامسة مستجدة بمدرسة السلطان الملك الأشرف قايتباي .

وقد وقف السلطان المشار اليه على المدينة الشريفة اوقافاً كثيرة اكثرها عقارات بالقاهرة ورتب قمحاً يحمل اليها في كل سنة يصرف لأهلها والواردين اليها وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة عند انتهاء المسجد الشريف .

وانما ذكرت هذه الحوادث هنا استطراداً على وجه الاختصار لتعلقها بالمسجد الشريف .

ولنرجع الى ذكر اخبار الهجرة الشريفة ، فأقول — وبالله التوفيق — :

ولما أقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة ، ففي السنة الاولى من هجرته (ص) بنى بعائشة رضي الله عنها في شهر ذي القعدة وهي بنت تسع سنين . وفيها كانت المؤاخاة بين المسلمين آخى بينهم رسول الله (ص) فاتخذ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه اخاً ، وصار ابو بكر وخارجة بن زيد بن ابي زهير الأنصاري اخوين ، وتواخى ابو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وسعيد بن زيد وابي بن كعب الانصاري رضي الله عنهم .

وفيها كانت غزوة الأبواء وهي أول غزواته . ثم غزوة بواط . ثم غزوة العشيرة . ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام ،

وكان تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الشريف الى المسجد الحرام قال الله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

وروى الليث عن يونس عن الزهري قال : لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبياً إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان اول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان محمداً صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة ، فلما هاجر الى المدينة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود إياه اذا صلى الى قبلتهم مع مايجدون من نعته في التوراة . فصلى بعد الهجرة الشريفة ستة عشر او سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس ، وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لأنها كانت قبلة ابيه ابراهيم «ع» فأنزل الله عليه الآية وامره باستقبال الكعبة .

ولما حولت القبلة كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد القبلتين في بني سلمة وكان يصلي فيه الظهر الى بيت المقدس ، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر ، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال . فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وعن البراء : ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه ان تكون قبلته البيت . فانه صلى الله عليه وسلم اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم . فخرج رجل ممن صلوا معه فمرّ على اهل مسجد وهم راكعون فقال : اشهد بالله لقد صليت مع النبي (ص) قبل مكة . فداروا كلهم وجوههم قبل البيت .

وكانت اليهود قد اعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس ، ولما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك .

وقال البراء في حديثه هذا : انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم . فأنزل الله عز وجل : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم) .

وكان تحويل القبلة في يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان . وقيل : في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

وفيها - اعني في السنة الثانية - في شعبان فرض صوم شهر رمضان وامر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين . فصام ﷺ تسع رمضانات إجماعاً .

وفيها رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري صورة الأذان في النوم وورد به الوحي .

وفيها تزوج علي رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله سبحانه وتعالى عقد عقد فاطمة لعلي في السماء فنزل الوحي بذلك . فجمع الصحابة لذلك وارسل وراء علي بن ابي طالب واخبره بالخبر ، فعقد النبي ﷺ عقد علي على فاطمة . فقيل لعلي : اولم يا علي . فنزل بدرعه يبيعه . فعرفه عبد الرحمن فاشتراه بألف درهم ودفعها لعلي ، ثم اوهبه الدرع .

وفيها كانت غزوة بدر الكبرى التي اظهر الله بها الدين . وسببها قتل عمرو ابن الحضرمي ، واقبال ابي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها اموال كثيرة . فانتدب المسلمون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا اليهم . فبلغ ابا سفيان ذلك فبعث الى مكة وأعلم قريشاً بذلك .

فخرج المشركون من مكة وكان عدتهم تسعمائة وخمسين رجلا فيهم مائة فرس.

وخرج رسول الله (ص) من المدينة ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا لم يكن فيهم إلا فارسان ، وكانت الابل سبعين يتعاقبون عليها . ونزل في بدر وبنى له عريش وجلس فيه ومعه ابو بكر .

واقبلت قريش . فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني به .

ولم يزل كذلك . والتقى الصفان وتزاحف القوم ، ورسول الله (ص) معه ابو بكر في العريش وهو يدعو ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، اللهم انجز لي ما وعدتني به . ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فوضعه ابو بكر عليه . وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتبه فقال : ابشر يا ابا بكر فقد أتى نصر الله .

ثم خرج رسول الله (ص) من العريش يحرض المسلمين على القتال ، واخذ حفنة من الحصا ورمى بها قريشاً وقال : شاهت الوجوه . وقال لأصحابه : شدوا عليهم . فكانت الهزيمة على المشركين .

وكانت الوقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .

وحمل عبد الله بن مسعود رأس ابي جهل بن هشام الى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً لله تعالى .

ونصر الله نبيه بالملائكة قال تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

وكان عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلا ، والاسرى كذلك . وكان من جملة الاسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انقضى القتال امر النبي (ص) بسحب القتلى الى القليب، وكانوا اربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه . وجميع من استشهد من المسلمين اربعة عشر رجلا .

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وكانت غيبته تسعة عشر يوماً . وماتت ابنته رقية - زوجة عثمان - في غيبته . وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم لسببها .

وفيها هلك ابو لهب · ثم كانت غزوة بني قينقاع ـ من اليهود ـ وأمر باجلائهم · ثم كانت غزوة السويق · ثم كانت غزوة قرقرة الكدر .وقرقرة الكدر: ماء مما يلي جادة العراق الى مكة · وقتل كعب بن الأشرف اليهودي بأمر النبي (ص).

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة الشريفة ، وفيها كانت غزوة بني النضير ـ من اليهود ـ ، وكانت على رأس ستة اشهر من بدر · فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحرق نخيلهم ·

وفيها كانت غزوة احد ، وسببها : وقعة بدر . فاجتمع المشركون و كانوا ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم ابو سفيان ، وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة يوم الأربعاء لأربع مضين من شوال ·

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في الف من الصحابة الى ان صار بين المدينة وأُحد ونزل الشعب من احد ·

ثم كانت الوقعة يوم السبت لسبع مضين من شوال · وعدة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ، وفيهم مائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين · والتقى الناس ودنا بعضهم من بعض · وقامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن المشركين على القتال وحرب المسلمين ·

وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتالا شديداً الى ان قتل . ضربه وحشي ـ عبد جبير بن مطعم و كان حبشياً ـ بحربة فقتله ·

وقتل مصعب حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ظن قاتله انه رسول الله ﷺ فقال لقريش : اني قتلت محمداً ·

ولما قتل مصعب اعطى النبي ﷺ الراية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وانهزم المشركون · فطمعت الرماة بالغنيمة وفارقوا المكان الذي امرهم النبي (ص) بملازمته ، ووقع الصراخ ان محمداً قتل . وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو ·

وكان يوم بلاء على المسلمين ، وكان عدة الشهداء منهم سبعين رجلا . وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلا .

ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابه حجارتهم حتى وقع واصيبت رباعيته وشج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعو الى ربهم . فنزل في ذلك قوله تعالى : (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) . ودخلت حلقتان من المغفر في وجهه الشريف من الشجة ، ونزع ابو عبيدة بن الجراح احد الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته الواحدة . ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى .

ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من الصحابة فجدعن الآذان والانوف وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها .

وصعد زوجها ابو سفيان الجبل وصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل - اي اظهر دينك - . فأجابه المسلمون : الله أعلى واجل . ونادى : ان موعدكم بدر العام القابل . فقال النبي (ص) لواحد : قل هو بيننا وبينكم .

ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجدع انفه واذناه فقال : لئن اظهرني الله عز وجل على قريش لأمثلن بثلاثين منهم . وجاءه جبريل فأخبره ان حمزة مكتوب في اهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله . ثم امر النبي (ص) به فسجي ببردة ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات .

ثم اتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه ثنتين وسبعين صلاة . وهذا دليل لأبي حنيفة فانه يرى الصلاة على الشهيد خلافاً للشافعي واحمد رحمهم الله تعالى .

ثم امر بحمزة فدفن . واحتمل اناس من المسلمين الى المدينة فدفنوا بها . ثم نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ادفنوهم حيث صرعوا .

واصيبت عين قتادة فردها رسول الله (ص) بيده و كانت أحسن عينيه ·
واستشهد انس بن النضر عم انس بن مالك ، وقد بلى بلاءً حسناً · وفيه نزلت (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه · ·) الآية ·

وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبنى بها و كانت تحت خنيس بن حذافة السهمي ·

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة بدر الثانية وهي في شعبان · وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر لميعاد ابي سفيان · وخرج ابو سفيان في اهل مكة ، ثم رجع ورجعت قريش معه · وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ·

ثم دخلت السنة الخامسة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب ، وكانت في شوال · وسببها : ان نفراً من اليهود حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدموا على قريش بمكة يدعونهم الى حربه ·

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك امر بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه وفرغ من الخندق ·

واقبلت قريش ومن تبعها من بني قريظة · واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن · واقام رسول الله (ص) والمشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بين القوم حرب إلا الرمي · ثم نصر الله نبيه (ص) على المشركين وخذلهم واختلفت كلمتهم ، وأهب الله ريح الصبا كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) · فجعلت الريح تقلب ابنيتهم وتكفأ قدورهم وانقلبوا خاسرين ·

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الآن نغزوهم ولا يغزونا · وكان كذلك حتى فتح مكة ·

وفيها ـ اى في ذي القعدة ـ كانت غزوة بني قريظة عقب عود النبي (ص)

الى المدينة من غزوة الخندق بوحي من الله تعالى نزل على نبيه محمد (ص) . فسار اليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وقذف في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرد الحكم فيهم الى سعد بن معاذ ، فحكم بقتل المقاتلة وسبي الذرية والنساء وقسم الأموال .

ثم رجع النبي (ص) الى المدينة وضرب اعناقهم وكانوا ستمائة أو تسعمائة . وقيل: ما بين الثمانمائة والسبعمائة . ثم قسم الأموال والسبايا ، واصطفى لنفسه ريحانة بنت شمعون . فكانت في ملكه حتى مات .

ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة القت عليه امرأة من بني قريظة رحاً شدخت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : له اجر شهيدين . وقتلها به .

ثم دخلت السنة السادسة من الهجرة الشريفة . وفيها في شعبان كانت غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع . وكان في جملة السبي جويرية بنت الحارث كان اسمها برة ، فسماها رسول الله (ص) جويرية ، وكانت احدى ازواجه .

وفيها كانت قصة الافك . فرميت السيدة ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالافك مع صفوان بن المعطل . وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء . والقصة مشهورة في الحديث الشريف .

وفيها نزلت آية التيمم .

وفيها كانت غزوة الحديبية وهي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، وساق الهدي وأحرم بالعمرة . وسار حتى وصل الى ثنية الزمار مهبط الحديبية اسفل مكة والحديبية بئر .

ووقع من معجزاته نبع الماء في ذلك المكان .

وتأهبت قريش للقتال ، وبعثوا رسولهم الى النبي صلى الله عليه وسلم . فبعث رسول الله (ص) عثمان بن عفان اليهم يعلمهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائراً

ومعظماً لهذا البيت · فلما وصل اليهم امسكوه وحبسوه ·

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، فدعا الناس الى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايع الناس على الموت· ثم اتاه الخبر ان عثمان لم يقتل ·

ثم وقع الصلح بين رسول الله (ص) وبين قريش · فانهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح ، فأجاب النبي (ص) · ثم دعا علي بن ابي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم · فقال سهيل : لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم · فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ·

ثم قال · اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله · فقال سهيل : لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ·

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب ــ هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأشهدوا في ذلك الكتاب على الصلح رجالا من المسلمين والمشركين ·

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك نحر هديه وحلق رأسه وفعل الناس كذلك · ثم عاد الى المدينة ، حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما) ·

ودخل في الاسلام في هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر ، والقصة مبسوطة مشهورة ولكن المراد هنا الاختصار ·

ثم دخلت السنة السابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة ذى قرد · وذو قرد : موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر · وهي الغزوة التي اغاروا فيها على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث ·

وفيها كانت غزوة خيبر في منتصف المحرم · سار النبي صلى الله عليه وسلم

الى خيبر وهي على ثمان برد من المدينة فأشرف عليها وقال لأصحابه : قفوا . ثم قال : اللهم رب السماوات ومـا اظللن ، ورب الأرضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب الرياح وما ذرين . نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله .

ونزل على خيبر ليلا ولم يعلم أهلها . فلما اصبحوا خرجوا الى اعمالهم ، فلما رأوه عادوا وقالوا : محمد والخميس ـ يعنون الجيش ـ . فقـال النبي (ص) : الله اكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

ثم حاصرهم وضيق عليهم وأخذ الأموال وفتح الحصون وأصاب سبايا منهن صفية بنت حي فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، وتزوجها وجعل عتقها صداقها .

وهذا مذهب الامام أحمد رضي الله عنه ، وهو من مفردات مذهبه .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقـه ، فلما أصبحوا جاء علي فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه ، فما اشتكى رمداً بعدها . ثم اعطاه الراية فنهض بها وأتى خيبر . فأشرف عليه رجـل من يهود خيبر وقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن ابي طالب . فقال اليهودي : غلبتم يا معشر اليهود .

فخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر يماني وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول :

قد علمت خيبر اني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرّب

اطعن احياناً وحيناً اضرب   اذا الليوث اقبلت تلهب

فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول :

أنا الذي سمتني امي حيدره   اكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديد قسوره

واختلف بينهما ضربتان فسبقه علي رضي الله عنـه فقدّ البيضة والمغفر ورأسه فسقط عدو الله ميتاً .

وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه .

ثم انصرف رسول الله (ص) الى وادي القرى فحاصره ليلة وفتحه عنوة ·

ثم سار الى المدينة . وكان قد كتب الى النجاشي يطلب منه بقية المهاجرين ويخطب ام حبيبة بنت ابي سفيان . فزوجها للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد ، واصدقها النجاشي عن النبي (ص) اربعمائة دينار ·

وفي غزوة خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة ، فأخذ منها قطعة ولاكها ، ثم لفظها وقال : تخبرني هذه الشاة انها مسمومة ·

ثم بعد غزوة خيبر كانت غزوة ذات الرقاع فتفارق الناس ولم يكن بينهم حرب . قال ابو موسى : سميت غزوة ذات الرقاع : لما كنا نعصب على ارجلنا من الخرق ·

وفي هذه السنة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الأرض . وارسل الى كسرى ، فمزق كتاب النبي (ص) . فلما بلغه ذلك قال : مزق الله ملكه · فسلط الله عليه ابنه پرويز فقتله ·

وأرسل الى قيصر - وهو هرقل - وكان إذ ذاك ببيت المقدس فانه مشى من حمص الى ايليا شكراً لما كشف الله عنه جنود فارس ·

وكان على الصخرة الشريفة مزبلة قد حاذت محراب داود مما القته النصارى عليها مضارة لليهود ، حتى كانت المرأة تبعث بخرق حيضها من رومية فتلقى عليها ·

فلما قرأ قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انكم يا معشر الروم لحقيق ان تقتلوا على هذه المزبلة بما انتهكتم من حرمة هذا المسجد كما قتلت بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام . فأمر بكشفها ، فأخذوا في ذلك فقدم المسلمون الشام ولم يكشفوا منها إلا ثلثها ·

فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بيت المقدس وفتحه ورأى ما عليها من المزبلة أعظم ذلك ، فأمر بكشفها وسخر لها انباط فلسطين ·

واكرم هرقل قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دحية الكلبي ،

ووضع كتاب النبي (ص) على فخذه وقصد ان يسلم فمنعه بطارقته ، فخاف على نفسه واعتذر ورد دحية رداً جميلا ٠

وأرسل الى المقوقس ـ صاحب مصر ـ ٠ فأكرم القاصد وقبل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع جواري احداهن مارية ام ولده ابراهيم واهدى اليه بغلته دلدل وحماره يعفور وكسوة ٠

وارسل الى النجاشي بالحبشة فقبل كتاب النبي (ص) وآمن به واتبعه وأسلم ٠

وارسل الى الحارث الغساني بدمشق ٠ فلما قرأ الكتاب قال : ها أنا سائر اليه ٠ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : باد ملكه ٠

وارسل الى هوذة ملك اليمامة وكان نصرانياً ٠ فقال : ان جعل الأمر لي من بعده سرت اليه واسلمت ونصرته وإلا قصدت حربه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة اللهم اكفنيه . فمات بعد قليل ٠

وارسل الى المنذر ملك البحرين ٠ فأسلم ، واسلم جميع العرب بالبحرين ٠

﴿ عمرة القضاء ﴾

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع معتمراً عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة ٠ فأبى اهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم بها ثلاثة ايام ٠ فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ قالوا : لا نقر بهذا ، لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن انت محمد بن عبد الله ٠ فقال : أنا رسول الله وانا محمد ابن عبد الله ٠

ثم قال لعلي : امح رسول الله ٠ فقال علي : والله لا امحوك ابداً ٠ فأخذ رسول الله (ص) الكتاب ـ وليس يحسن ان يكتب ـ فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله : لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب وانه لا يخرج من

اهلها بأحد إن اراد ان يتبعه وان لا يمنع من اصحابه احداً إن اراد ان يقيم بها ٠

فلما دخل المسجد اضطبع بردائه ورمل في اربعة اشواط من الطواف ، ثم خرج الى الصفا والمروة فسعى بينهما ٠ وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث ـ وهو محرم ـ وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم . وهي آخر امرأة تزوجها . واقام بمكة ثلاثاً ٠ فأرسل المشركون اليه مع علي بن ابي طالب : ليخرج عنهم . فخرج بميمونة وانصرف الى المدينة صلى الله عليه وسلم ٠

ثم دخلت السنة الثامنة من الهجرة الشريفة ، فيها اسلم عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد رضي الله عنهما ٠

وفيها كانت غزوة مؤتة ، وهي اول الغزوات بين المسلمين والروم ٠ ومؤتة من ارض الشام وهي قبل الكرك ٠ وفيها اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وكان يخطب الى جذع نخلة . فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر فأنّ الجذع الذي كان يقوم عليه انين الصبي فقال رسول الله (ص) : ان هذا بكى لما فقده من الذكر . فنزل يمسحه بيده حتى سكن ٠

فلما هدم المسجد وتغير اخذ ذلك الجذع ابيّ بن كعب فكان عنده في داره حتى بلى ٠

(نقض الصلح وفتح مكة)

وسبب ذلك : ان بني بكر بن عبد مناف عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ٠ وكانت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو بكر في عهد قريش في صلح الحديبية ٠ وكانت بينهم حروب في الجاهلية ٠ فكلمت بنو بكر اشراف قريش ان يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم متنكرين ، فبيتوا خزاعة ليلا فقتلوا منهم عشرين ٠ ثم ندمت قريش علي ما فعلوا وعلموا ان هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله (ص) ٠

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه فقدموا على رسول الله (ص) مستغيثين به · فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد وانشده ابياتاً يسأله ان ينصره · فقال رسول الله (ص) : نصرت يا عمرو بن سالم ·

ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشد العقدة ويزيد في المدة · فكان كذلك ·

ثم قدم ابو سفيان المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة ام المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم · فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته عنه فقال : ما ادري أرغبت لي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس · قال : والله لقد اصابك بعدي يا بنية شر ·

ثم خرج واتى النبي (ص) فكلمه فلم يرد عليه شيئاً · فذهب الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى علي رضوان الله عليهم اجمعين على ان يكلموا النبي (ص) في امره وتشفع بهم ، فلم يفعلوا · فقال لعلي : يا ابا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني · فقال : والله لا اعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك · قال : أوترى ذلك يغني عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك ·

فقام ابو سفيان في المسجد فقال : ايها الناس اني قد اجرت بين الناس · ثم ركب بعيره وانطلق · فلما قدم على قريش قالوا له : ما وراءك ؟ فقص شأنه وانه قد اجار بين الناس · قالوا : فهل اجاز محمد ذلك ؟ قال : لا · قالوا : والله ان زاد الرجل على ان لعب بك ·

ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر اهله ان يجهزوه · ثم علم الناس بانه يريد مكة · وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم

في بلادهم . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفاري .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار وطوائف من العرب ، فكان جيشه عشرة آلاف . فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد ــ وهو الماء الذي بين قديد وعسفان ــ أفطر .

وبلغ ذلك قريشاً فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس رضي الله عنه اسلم قديماً وكان يكتم اسلامه فخرج بعياله مهاجراً فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة ، وقيل : بذي الحليفة .

ثم حضر ابو سفيان بن حرب على يد العباس الى النبي (ص) بعد ان استأمن له . فأسلم واسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء . وممن اسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان واخوه يزيد وامه هند بنت عتبة . وكان معاوية يقول : انه اسلم يوم الحديبية فكتم اسلامه عن ابيه وامه .

وقال العباس : يا رسول الله ان أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن .

وكان فيمن خرج ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطرق : ابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن امية بن المغيرة بالابواء فاعرض عنهما ، فجاء اليه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله فقبلا وجهه فقال رسول الله (ص) : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) . وقبل منهما اسلامهما . فأنشده ابو سفيان معتذراً اليه ابياتاً . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : انت طردتني كل مطرد .

وكان ابو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامه . ويقال : انه ما رفع رأسه

الى رسول الله (ص) منذ اسلم حياء منه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول : ارجو ان يكون خلفاً من حمزة ٠

ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تركز راية سعد بن عبادة بالحجون لما بلغه انه قال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ٠ فقال : كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة ٠

وأمر خالد بن الوليد ان يدخل من اعلا مكة من كداء في بعض الناس ٠ وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال ، إلا ان خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول ، فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلا . فلما ظهر النبي (ص) على ذلك قال: ألم انهكم عن القتال ؟ فقالوا له : ان خالداً قوتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلان .

ودخل النبي (ص) من كدا وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح ويرجع ٠

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ٠ ودخل رسول الله (ص) مكة وملكها عنوة بالسيف ٠ والى ذلك ذهب مالك واصحابه وهو الصحيح من مذهب احمد رضي الله عنهم ٠ وقال ابو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما : انها فتحت صلحاً . والله أعلم ٠

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شد لهم ابليس اقدامها برصاص ، فجاء ومعه قضيب فجعل يومي الى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول : (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) حتى مر عليها كلها ٠

واتى النبي صلى الله عليه وسلم وحشي بن حرب ـ قاتل حمزة رضى الله عنه ـ وهو يقول : اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله ٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوحشي ؟ قال : نعم ٠ قال : اخبرني كيف قتلت عمي ؟ فأخبره ، فبكى وقال : غيب وجهك عني ٠

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده . ثم قال : يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فأعتقهم رسول الله (ص) وكان الله تعالى قد امكنه منهم فكانوا له فيئاً ، فبذلك سمي اهل مكة الطلقاء .

ولما اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطواف فطاف بالبيت سبعاً على راحلته واستلم الركن بمحجن كان في يده ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة ، وصورة ابراهيم وفي يده الازلام يستقسم بها فقال . قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ، ما شأن ابراهيم والأزلام . ثم امر بتلك الصورة فطمست ، وصلى في البيت ، ثم جلس (ص) على الصفا .

واجتمع الناس لبيعته على الاسلام ، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله ، فبايع الرجال ثم النساء .

ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح اذن بلال على ظهر الكعبة ، فقال الحارث ابن هشام : ليتني مت قبل هذا . وقال خالد بن اسيد . لقد اكرم الله ابي فلم ير هذا اليوم . فخرج عليهما رسول الله (ص) ثم ذكر لهما ما قالاه . فقال الحارث ابن هشام : اشهد انك رسول الله ، ما اطلع على هذا احد فنقول اخبرك .

وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية . فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له . فقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقال : خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا الظالم ، يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف .

وذكر : ان فضالة ابن عمير اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله (ص) : أفضالة ؟ قال : نعم . فضالة

يا رسول الله . ثم قال : ما ذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت اذكر الله تعالى • فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه • قال فضالة : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إليّ منه •

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا الى الأصنام التي حول مكة فكسروها . ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره •

ولما بعث السرايا حول مكة الى الناس يدعوهم الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال. وكان من السرايا سرية خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني خزيمة فأقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا . فوضعوه . فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا ؛ أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . فقتل منهم من قتل • فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال : اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد - مرتين - .

ثم ارسل علي بن ابي طالب (رض) بمال وامره ان يؤدي لهم الدماء والأموال. ففعل ذلك . ثم سألهم هل بقي لكم دم او مال ؟ فقالوا : لا • وكان قد فضل مع علي رضي الله عنه قليل مال فدفعه اليهم زيادة تطييب لقلوبهم • واخبر النبي (ص) بذلك فأعجبه •

وفيها كانت غزوة حنين وهوازن ، وكانت في شوال سنة ثمان من الهجرة الشريفة • وحنين : واد بينه وبين مكة ثلاثة اميال •

ولما فتحت مكة تجمعت هوازن بخيولهم واموالهم لحرب رسول الله (ص) ومقدمهم مالك بن عوف النضري ، وانضمت اليه ثقيف وهم اهل الطائف ، وبنو سعد وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مرتضعاً عندهم • فلما سمع النبي (ص) باجتماعهم خرج من مكة لست خلون من شوال . وخرج معه اثنا عشر الفاً : الفان من اهل مكة ، وعشرة آلاف كانت معه وحضرها جماعة كثيرة من المشركين وهم

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى الى حنين وركب بغلته الدلدل ٠

وقال رجل من المسلمين - لما رأى كثرة من مع رسول الله ﷺ - : لن يغلب هؤلاء من قلة ٠ وفي ذلك نزل قوله تعالى : (ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) ٠

ولما التقوا انهزم المسلمون لا يلوي احد على احد ، وانحاز رسول الله (ص) في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ٠ واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتاً ، وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالا شديداً وقال النبي ﷺ: لبغلته : البدي . فوضعت بطنها على الأرض .وأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجه المشركين ، فكانت الهزيمة عليهم ٠ ونصر الله المسلمين ، واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم ٠

ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش لغزوة أوطاس . فاستشهد رضى الله عنه ، وانهزمت ثقيف الى الطائف ، واغلقوا باب مدينتهم ٠ فسار النبي صلى الله عليه وسلم وحاصرهم نيفاً وعشرين يوماً وقاتلهم بالمنجنيق وامر بقطع اعناقهم . ثم رحل عنهم فنزل بالجعرانة . واتى اليه بعض هوازن ودخلوا عليه فرد عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب ورد الناس ابناءهم ونساءهم ٠ ثم لحق مالك بن عوف - مقدم هوازن - برسول الله (ص) واسلم وحسن اسلامه ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من اسلم من تلك القبائل ٠

وكان عدة السبي الذى اطلقه ستة آلاف ٠ ثم قسم الأموال ٠ وكانت عدة الابل اربعة وعشرين الف بعير ، والغنم اكثر من اربعين الف شاة ، ومن الفضة اربعة آلاف اوقية ٠ واعطى المؤلفة قلوبهم مثل ابي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل والحارث بن هشام اخي ابي جهل وصفوان ابن امية ، وهؤلاء من قريش ٠ واعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ومالك بن عوف - مقدم هوازن - وامثالهم ٠ فأعطى لكل من الأشراف مائة

من الابل ، واعطى الآخرين اربعين اربعين ، واعطى العباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضها ، وقال في ذلك ابياتاً :

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لم يرفع

فروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقطعوا عني لسانه . فأعطي حتى رضي .

ولما فرق رسول الله (ص) الغنائم لم يعط الانصار شيئاً فوجدوا في انفسهم . فدعاهم رسول الله (ص) فقال : ان قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة واني اردت ان اجبوهم واتألفهم أما ترضون ان يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم ؟ قالوا : بلى . قال : والله لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الانصار وشعب الأنصار .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد الى المدينة ، واستخلف على مكة عتاب بن اسيد وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة ، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس .

وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن اسيد على ما كانت تحج عليه العرب .

وفي ذي الحجة سنة ثمان ولد ابراهيم بن النبي ﷺ من مارية القبطية .

وفي السنة المذكورة مات حاتم الطائي ، وكان يضرب بجوده وكرمه المثل وكان من الشعراء المجيدين .

ثم دخلت السنة التاسعة من الهجرة الشريفة ، فيها فرض الله الحج على الصحيح . وفيها ترادفت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفد كعب بن زهير بن ابي سلمى بعد ان كان النبي (ص) اهدر دمه ومدحه بقصيدته المشهورة وهي :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . . . . .

واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم بردته ٠ فلما كان زمن معاوية ارسل الى كعب : ان بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله (ص) احـداً ٠ فلما مات كعب اشتراها معاوية من اولاده بعشرة آلاف درهم ٠

ونقل الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه : انه اشتراها بأربعين الف درهم ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى اخذها التتر ٠

وفيها كانت غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة لوقوعها في زمن الحر والبـلاد مجدبة والناس في عسرة ٠ فانفق ابو بكر جميع ماله ، وانفق عثمان نفقة عظيمـة ٠

وسار النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك واستخلف علياً رضي الله عنه. فقال علي : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه ليس نبي بعدي ٠

وتخلف عبد الله بن ابي المنافق ومن تبعه من اهل النفاق . وتخلف ثلاثة من الصحابة وهم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية . ولم يكن لهم عـذر ٠

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ان اقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ٠ فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ٠ فقبل منهم رسول الله (ص) علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى ٠

ثم جاءه كعب وكان تقدمه مرارة وهلال فسألهم عن سبب تخلفهم فاعترفوا ان لا عذر لهم ٠ فأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم ٠ ونهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنه ٠ فاجتنبهم الناس ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة ٠ ولما مضت اربعون ليلة من الخمسين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم ٠

وجاءت امرأة هلال الى النبي (ص) تستأذنه في خدمته . فأذن لها من غير ان يقربها .

فلما كملت لهم خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم اذن لهم رسول الله (ص) بتوبة الله عليهم . وذهب الناس يبشرونهم . وجاء كعب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسلم عليه فقال له ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك . فقال : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله .

وانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

قال كعب : فوالله ما انعم الله عليَّ بنعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) .

وفي ذي القعدة من سنة تسع هلك رأس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول . والله أعلم .

﴿ حج أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ﴾

بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه في سنة تسع ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله (ص) ومعه ثلثمائة رجل . فلما كان بذي الحليفة ارسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وامره بقراءة آيات من اول سورة براءة على الناس وان ينادي : ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

فسار ابو بكر رضي الله عنه أميراً على الموسم وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يؤذن ببراءة يوم الاضحى وان لا يحج مشرك ولا يطوف عريان .

ثم دخلت السنة العاشرة من الهجرة الشريفة ، وفيها كان قدوم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وجاءته وفود العرب قاطبة . ودخل الناس في الدين افواجاً كما قال الله تعالى: (اذا جاء نصر الله والفتح *ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) . فقدم عليه وفد بني تميم ووفد عبد القيس ووفد بني حنيفة وغيرهم . وفشا الاسلام في جميع القبائل .

وفيها توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من ربيع الأول .

﴿ حجة الوداع ﴾

خرج النبي صلى الله عليه وسلم حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة . وقد اختلف في حجه هل كان قراناً أم تمتعاً أم افراداً . قال صاحب حماه : والأظهر الذي اشتهر انه كان قارناً . وحج رسول الله (ص) بالناس ولقى علي بن ابي طالب رضي الله عنه محرماً فقال: حل كما حل اصحابك . فقال: اني اهللت بما اهل به رسول الله (ص) . فبقي علي إحرامه . ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي عنه ، وعلم

رسول الله (ص) الناس مناسك الحج والسنن . ونزل قوله تعالى: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) ٠

فبكى ابو بكر رضي الله عنه لما سمعها وكأنه استشعر بأن ليس بعد الكمال إلا النقصان وانه قد نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ٠

وخطب رسول الله (ص) للناس بعرفة خطبة بين فيها الأحكام . منها : أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ٠ وتم حجه . وسميت حجة الوداع لأنه لم يحج بعدها ٠ ولم يحج من المدينة الى مكة غير حجة الوداع .

ثم رجع رسول الله (ص) الى المدينة وأقام بها حتى خرجت السنة ٠

وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم تسعة عشر غزوة ، قاتل في تسع منها ٠ وهذه الغزوات غير السرايا ٠

ثم دخلت السنة الحادية عشر من الهجرة الشريفة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وكان قد قدم من حجة الوداع فأقام بها حتى خرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة احدى عشرة ٠ والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

قال تعالى : (انك ميت وانهم ميتون * ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) ٠ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ما ازال اجد ألم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم ٠

بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة في بيت ميمونة . ثم انتقل حين اشتد وجعه الى

بيت عائشة رضى الله عنها ٠

وعن ابن عباس قال : لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي (ص) : هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً ٠ فقال بعضهم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثقل عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ٠ ثم اختلف اهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا له يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً ، ومنهم من يقول غير ذلك . فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا ٠

فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ٠

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دعا النبي (ص) فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت . فسألناها عن ذلك ، فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني اني اول اهله لحوقاً به فضحكت ٠

ولما ثقل وجع النبي صلى الله عليه وسلم جاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا ابا بكر ان يصلي بالناس ٠ فقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ان ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر ٠ فقال : مروا ابا بكر ان يصلي بالناس ٠ فقالت عائشة لحفصة قولي له : ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر . قال : انكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا ابا بكر فليصلي بالناس . فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ورجلاه يخطان في الأرض حتى دخل المسجد ٠ فلما سمع ابو بكر رضى الله عنه حسه ذهب ابو بكر يتأخر ، فأومأ اليه رسول الله (ص) ، فجاء الى رسول الله (ص) حتى جلس عن يساره فكان ابو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله (ص) يصلي قاعداً ٠ يقتدي

يقتدي ابو بكر رضي الله عنه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة ابي بكر رضي الله عنه ·

وعن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : ان من نعم الله عليّ : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، دخل عبد الرحمن وبيده السواك وانا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك فأشار برأسه ان نعم ، فناولته له فاشتد عليه ، فقلت : ألينه لك فأشار برأسه ان نعم ، فلينته . وبين يديه ركوة او علبة وفيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ان للموت سكرات ، ثم نصب يده الكريمة فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده ·

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول - وهو صحيح - : انه لم يقبض نبي حتى يرى مقامه في الجنة ثم يخير · فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم افاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى · فقلت : إذاً لا يختارنا ، فعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح · قالت وكان آخر كلمة تكلم بها : اللهم الرفيق الاعلى ·

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ·

ونزل عليه جبريل عليه السلام اربعاً وعشرين الف مرة ·

وتوفي ودرعه مرهون عند يهودى على ثلاثين وسقاً من شعير ·

ولما مات قالت فاطمة رضى الله عنها : وا ابتاه أجاب رباً دعاه ، وا ابتاه من جنة الفردوس مأواه ، وا ابتاه أتى جبريل ينعاه · فلما دفن قالت : يا انس أطابت نفوسكم ان تحثوا على نبيكم التراب ·

ولما توفي دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت احوالهم في ذلك · فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات

علوت رأسه بسيفي هذا ، وانما ارتفع الى السماء . فقرأ ابو بكر رضى الله عنه : (وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) .

فرجع القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بني ساعدة ، فبايع عمر ابا بكر ثم بايعه الناس خلا جماعة .

وغسله صلى الله عليه وسلم علي والعباس وابناه الفضل وقثم ، وغسلوه وعليه قميصه لم ينزع . وكان علي بن ابي طالب يحضنه الى صدره والعباس يصب الماء . وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية ، وصلى عليه المسلمون افراداً لم يؤمهم احد وحفر له ابو طلحة الانصاري ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه .

وكانت وفاته يوم الاثنين ، وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء ، ودفن في ليلة الاربعاء في شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة الشريفة . وكان مرضه ثلاثة عشر ليلة .

قال انس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني المدينة ـ اضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء .

ورثاه جماعة منهم ابو بكر وعلي وفاطمة وعمته صفية رضى الله عنهم اجمعين . والله سبحانه وتعالى اعلم .

﴿ ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم ونبذة من معجزاته ﴾

كان صلى الله عليه وسلم مليح الوجه ، حسن الخلق ، معتدل القامة ليس بالقصير ولا بالطويل ، ابيض اللون مشرباً بحمرة ، يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر ليلة البدر ، كث اللحيـة ، واسع الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، لم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة ، إن صمت فعليـه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه

البهاء اجمل الناس وابهاهم من بعيد ، واحلاهم واحسنهم من قريب ، بين كتفيه خاتم النبوة ، ريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر . يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله .

واما معجزاته صلى الله عليه وسلم : فأفضلها القرآن الكريم الذي أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء . ومنها : انشقاق الصدر والتئامه . ومنها : انشقاق القمر فرقتين . ومنها : نبع الماء من بين اصابعه . وتكثير الطعام ببركته . وكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة ، وإجابتها دعوته . وسلام الحجر والشجر عليه . وحنين الجذع اليه . وتسبيح الحصا في كفه . وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، ولا يحاط به ولا يستقصى . ومن ذا يحيط بالبحر الزاخر ولو أجهد نفسه آناء الليل واطراف النهار .

وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها ، إلا ان تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لله .

وكان أحسن الناس خلقاً ، وارجحهم علماً ، واعظمهم عفواً ، وأسخاهم كفاً واوسعهم صدراً ، واصدقهم لهجة ، وكان اشد حياء من العذراء في خدرها ، واذا كره شيئاً عرف في وجهه . ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

وكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة اهله ، ويجيب الدعوة ويقبل الهدية ويكافىء عليها ويأكل منها ، ولا يأكل الصدقة ، ويعود المريض ويشهد الجنائز ، متواضعاً ، يمزح ولا يقول إلا حقاً ، يضحك من غير قهقهة ، وما خير بين شيئين إلا اختار ايسرهما إلا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون أبعد الناس عن ذلك .

مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام ، ارأف الناس وخيرهم ، لا ترتفع في مجلسه الأصوات ، اذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا إله إلا انت استغفرك واتوب اليك . طويل الصمت ، لا يتكلم في غير حاجة ، واحب الطعام اليه ما كثرت عليه الأيدي ، واذا وضعت المائدة قال : بسم الله اللهم

اجعلها نعمة مشكورة نصل بها الى نعيم الجنة ، واذا فرغ قال : اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت وآويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا .

وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يعجبه الثياب الخضر ، واكثر ثيابه البياض ويقول : ألبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم ، وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وكان زاهداً في الدنيا مات ولم يخلف ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ، وعرض عليه ان تجعل له بطحاء مكة ذهباً فقال : لا يا رب اجوع يوماً واشبع يوماً فأما اليوم الذي اجوع فيه فأتضرع اليك وادعوك وأما اليوم الذي اشبع فيه فأحمدك واثني عليك . وكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وآتاه الله علم الأولين والآخرين ، وفضله على سائر الخلق اجمعين ، ولا يحصي احد مناقبه من العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين ، وعلى أزواجه الطاهرات امهات المؤمنين صلاة دائمة الى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

﴿ ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم ﴾

اول من تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ثم سودة بنت زمعة ، ثم عائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ثم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى ام المساكين لرأفتها بهم ، ومكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة ودفنت بالبقيع .

ولم يمت من ازواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما .

ثم ام سلمة واسمها : هند بنت ابي امية بن المغيرة ، ثم زينب بنت جحش وكان اسمها : برة فسماها النبي ﷺ : زينب ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فطلقها ، فلما حلت زوجها الله تعالى إياه من السماء وهي التي قال الله تعالى فيها : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) . وأولم عليها واطعم المساكين خبزاً ولحماً .

وفيها نزلت آية الحجاب ، وكانت كثيرة الصدقة والايثار رضى الله عنها · ثم جويريه بنت الحارث وكان اسمها : برة فسماها جويرية · ثم ام حبيبة واسمها : رملة بنت ابي سفيان اصدقها عنه النجاشي - كما تقدم - . ثم صفية بنت حي من سبي خيبر اصطفاها لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها - كما تقدم - ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها : برة فسماها ميمونة وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . فهؤلاء نساؤه المدخول بهن احدى عشرة امرأة ، ومات عن تسع منهن ، وتزوج وخطب صلى الله عليه وسلم نساء غير هؤلاء لكن لم يدخل بهن ·

فمنهن اسماء بنت النعمان الجونيـة تزوج بها ثم فارقها . فقيل : ان سبب فراقها انه لما دخلت عليه قالت : اعوذ بالله منك . فقال لهـا : قد عذت بعظيم أو بمعاذ إلحقي بأهلك ، وطلقها . فكانت تسمي نفسها بالشقية . وقيل : ان صاحبة هذه القصة امرأة غير اسماء هذه ·

وخولة بنت الهذيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت في الطريق قبل وصولها اليه · وام شريك هي عرفة بنت دودان تزوجها ولم يدخل بها · وصفية بنت هشام العبدية · وشراف الكلبية اخت دحية · والعالية الكلابية ، روي انها مكثت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم طلقها . وسبا السلمية ماتت قبل ان يصل اليها · وقتيلة بنت قيس الكندية قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجها اليه من اليمن . وعمرة بنت يزيد الكلابية طلقها · وضباعة بنت عامر القسيرية خطبها ثم امسك · وليلى بنت الحطيم الاوسية تخطت منكبـه وهو غافل فقال : من هذه اكلها الاسد ؟ فقالت : أنا ليلى بنت الحطيم بن مطعم الطير قـد جئتك اعرض عليك نفسي . فقال : قد قبلتك . فرجعت الى اهلها فقالوا : ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم كثير الضرائر وانت امرأة غيورة ولسنا نأمن ان تغيظيه فيدعوا عليك فاستقيليه . فأتته فأقالها . فدخلت بعد ذلك حيطان المدينـة فشد عليها الأسد فأكلها ·

واما سراريه فكن اربعاً : مارية بنت شمعون القبطية أهداها له المقوقس صاحب مصر . وريحانة بنت شمعون النضيرية . واخرى جميلة اصابها في السبي . وجارية وهبتها له زينب بنت جحش .

وتقدم ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم .

﴿ ذكر الأسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطليحة وما جرى منهم ﴾

أما الأسود فاسمه عبهلة وهو ممن ارتدّ وتنبأ ، وكان من الكذابين ، وكان باليمن . وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة اشهر ، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ارسل الى نفر من اليمن يأمرهم بقتله . فقتلوه وارسلوا الى رسول الله (ص) بخبره ، فسبق خبر السماء اليه فأخبر الناس بذلك قبل وفاته بقليل . ووصل الكتاب بقتل الأسود في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ، فكان كما اخبر به صلى الله عليه وسلم .

وكان قتله قبل وفاة النبي (ص) بيوم وليلة .

واما مسيلمة فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة ثم ارتدّ وادعى النبوة وتسمى : رحمان اليمامة ، وخاف ان لا يتم له مراده فقال : ان محمداً قد اشركني معه . وشرع يسجع لقومه ويضاهي القرآن وذلك في حياة النبي (ص) وكانت له فتنة فاحشة .

وقتله ابو بكر رضي الله عنه في خلافته ، وكان وحشي قاتله بالحربة التي قتل بها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وشاركه في قتله رجل من الانصار .

واما سجاح بنت الحارث التميمية كانت قد ادعت النبوة في الردة وتبعها جماعة ، وقصدت قتال ابي بكر . ثم ذهبت الى اليمامة واجتمعت بمسيلمة وتزوجت به .

وتنقلت بها الأحوال الى زمن معاوية فأسلمت وحسن إسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها .

واما طليحة الأسدي فانه ادعى النبوة وتبعه جماعة وقوى أمره . وقاتله خالد بن الوليد في الردة . ثم اسلم وخرج نحو مكة معتمراً في خلافة ابي بكر (رض) وقاتل في الفتوحات فقتل يوم وقعة نهاوند مع الأعاجم في سنة إحدى وعشرين . في خلافة عمر رضي الله عنه .

﴿ فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفيتها ﴾

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ، فانه من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة لا تنبغي إلا لعبد واحد وارجو ان اكون أنا ، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى تصل على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فاذا فعلت انخرقت الحجب ودخل الدعاء وإن لم تفعل ذلك رجع الدعاء .

وعنه ﷺ انه قال: ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم عليّ صلاة

وروي عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه أنه قال: حدثني رسول الله (ص) وعدّهن في يدي قال : عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال جبريل هكذا انزلت بهن من عند رب العزة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

وعن ابي بكر رضي الله عنه : انه قال : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار ، والسلام عليه افضل من عتق الرقاب .

قال ابن الفاكهاني : قلت : وانما كان أفضل من عتق الرقاب ـ والله أعلم ـ لأن عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة ، والسلام عليه في مقابلة سلام الله تعالى وسلام من الله افضل من مائة الف الف جنة فناهيك بها من منة فنسأل الله تعالى ان يرزقنا مرافقته في الجنة بمنه وكرمه وجوده وإحسانه آمين .

﴿ ذكر آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

وما يستحب ان يفعله الزائر ويدعو به

يستحب لمن قدم المدينة الشريفة ان يغتسل قبل دخوله اليها ويتطيب ويلبس احسن ثيابه ويدخل بسكينة ووقار ويقول : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا. ويكره له الركوب في ازقتها إلا لعذر . فاذا وصل الى احد ابواب المسجد الشريف قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وكف عني ابواب سخطك ، الحمد لله الذي بلغني هذا الموضع الشريف وجعلني أهلا لحضور هذا المسجد العظيم وزيارة قبر رسوله الكريم فالحمد لله على ذلك عدد نعمه التي لا تحصى وافضاله الذي لا يستقصى ولا يفنى .

ثم يقدم رجله اليمنى قليلا ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا . وكذا يتلو اذا خرج ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم يأتي المنبر مستدعياً للذكر والثناء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي عنده ركعتين تحية المسجد ويتحرى لصلاته جانب المنبر تجاه صندوق

المصاحف ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف النبي ﷺ الذي كان يؤم الناس فيه .

ثم يقول بعد فراغهما : الحمد لله الذي بلغني هذا المكان ووفقني لاتيانه وأوصلنيه في يسر وعافية ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام والطول والانعام ، فلك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد .

ويأتي القبر الشريف من باب المقصورة القبلي ، فاذا وصل المقصورة استقبل وجه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر الشريف على نحو أربعة أذرع من السارية التي في زاوية المقصورة ويجعل القنديل على رأسه ولا يمس الجدار بيده ولا بشيء من بدنه ، ويقف متأدباً بين يديه كما لو كان حياً مظهراً لاحترامه ويستحضر في نفسه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بحضوره وقيامه تجاهه وسلامه عليه وانه يجيب من سلم عليه من بعيد فكيف من قريب ، ويسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه .

وقد ورد أشياء كثيرة في صفة السلام عليه ، فأيها فعل أجزأه .

ثم يتقدم يسيراً فيقف ويسلم على خليفته سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم يتقدم يسيراً فيسلم على امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ما يسر الله له ، ويصلي عند المنبر أيضاً ثم يدعو عند انصرافه فيقول اللهم اني اتيت قبر نبيك صلى الله عليه وسلم متقرباً اليك بزيارته متوسلا لديك به ، وانت قلت وقولك الحق ولا تخلف الميعاد (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) ، اللهم اجعلها زيارة مقبولة وسعياً مشكوراً وعملاً متقبلا مبروراً ودعاء تدخلنا به جنتك وتسبغ علينا رحمتك ، اللهم اجعل سيدنا محمداً انجح السائلين

واكرم الأولين والآخرين ، اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا محشره واوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعدها ابدا .

ويستحب له زيارة البقيع ، فيبدأ بقبر سيدنا ابراهيم بن رسول الله (ص) فيزوره ، ويزور قبر العباس ، وعثمان بن عفان ، والحسن بن علي ، وبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم . ويستحب زيارة ما بتلك الأرض الشريفة من الأماكن المشهورة .

ثم اذا قصد الذهاب الى وطنه اغتسل ولبس احسن ثيابه واتى المسجد الشريف مكرراً للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأتي القبر الشريف ويسلم على رسول الله (ص) وعلى ضجيعيه ويكثر من الصلاة عليه وعليهما ، ويدعو بما احب من خيري الدنيا والآخرة .

ثم يخرج غير مستدبر القبر الشريف ويبدأ برجله اليسرى قائلا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح لي ابواب فضلك وحط عني اوزاري بزيارة نبيك واحسن منقلبي الى اهلي ووطني ببركته صلى الله عليه وسلم يا رب العالمين يا ارحم الراحمين ادخلنا في شفاعته أجمعين .

﴿ ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث ﴾

قد تقدم في اول الكتاب الكلام على اول سورة الاسراء ، فلو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية فيه ، لأنه اذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة . وقال الله تعالى ـ اخباراً عن نبيه موسى عليه السلام ـ : (وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أي المطهرة ، والتقديس هو التطهير . وسمي بيت المقدس مقدساً لأنه يتطهر فيه من الذنوب . وتقدم ذلك عند اسماء بيت المقدس.

قال ابن عباس : بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والأيام .

وروي في قوله تعالى : (ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال : هي الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين ، لأن كل ماء في الأرض عذب يخرج منها من اصل الصخرة الشريفة ثم يتفرق في الأرض .

وقال تعالى : (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) قيل في احد الأقوال : انها الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) قال ابن عباس : هي بيت المقدس ، وهو قول قتادة وكعب .

وقال كعب : هي أقرب الأرض الى السماء بثمانية عشر ميلا ، يعني لأن الربوة المكان المرتفع من الأرض .

وقال تعالى : (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب) المنادي : هو اسرافيل عليه السلام ينادي من صخرة بيت المقدس بالحشر وهي وسط الارض . روي ان المكان القريب هو صخرة بيت المقدس .

وقال تعالى : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) يعني به بيت المقدس .

وقال تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) يعني بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار ، له ـ اي لذلك السور ـ باب فيه الرحمة وهي الجنة ، وظاهره ـ اي من خارج ذلك السور ـ ، من قبله ـ اي من قبل ذلك الظاهر العذاب ـ .

وعن أبي العوام قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : ان السور الذي ذكره الله في القرآن بقوله : (فضرب بينهم بسور له باب) هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة المسجد ، وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم .

وروى الامام أحمد رضي الله عنه في مسنده من حديث أمامة قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما اصابهم من اللأواء حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال: ببيت المقدس واكناف بيت المقدس.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : يا شام انت صفوتي من بلادي وأنا سائق اليك صفوتي من عبادي من كان مولده فيك فاختار عليك غيرك فبذنب يصيبه ، ومن كان مولده في غيرك فاختارك فبرحمة مني ، يا شام اتسعي لأهلك بالرزق كما يتسع الرحم للولد ، وعيني عليك بالطل والمطر مذ خلقت السنين والأيام . من يعدم فيك المال لايعدم فيك الخير . يا روشلم انت مقدسة بنوري وفيك المحشر والمنشر أزفك يوم القيامة كما تزف العروس الى بعلها ، ومن دخلك استغنى عن الزيت والقمح .

وعن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش الى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون الى يوم القيامة . فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة .

وعن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى لبيت المقدس انت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي من يسكنك فبرحمة مني ومن خرج منك فبسخط مني عليه .

فضل الصلاة في بيت المقدس

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ان سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة ، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله ايما

رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه ، فنحن نرجو ان يكون قد أعطاه إياه ·

وعن مكحول قال : من خرج الى بيت المقدس لغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صبحاً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاء خرج من خطيئته كيوم ولدته امه ·

وعن كعب قال : شكا بيت المقدس الى ربه الخراب ، فأوحى الله اليه : لأملأنك خدوداً سجداً يزفون اليك زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الحمام الى بيضها · فقال رجل : اتق الله يا كعب وان له لساناً ؟ قال : نعم وقلباً كقلب أحدكم ·

وعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار بيت المقدس محتسباً أعطاه الله أجر الف شهيد ·

وعنه صلى الله عليه وسلم : من زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس ، ومن زار بيت المقدس محتسباً حرم الله لحمه وجسده على النار ·

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها ·

وعن كعب الأحبار : من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل او كثر استجيب له دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، وإن سأل الله الشهادة اعطاه الله إياها والله أعلم ·

﴿ مضاعفة الصلاة في مسجد بيت المقدس ﴾

روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة الف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة

وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة . رواه الامام احمد رضي الله عنه .

﴿ مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس ﴾

روي عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو أنهما قالا : الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بألف .

وعن الليث بن سعد عن نافع قال : قال لي ابن عمر - ونحن ببيت المقدس - : يا نافع اخرج بنا من هـذا البيت فان السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات . وأحرم وخرج من بيت المقدس .

قال العلماء : معنى ذلك ان عقوبة من اقترف ذنباً في احد المساجد الثلاثة اعظم عقوبة ممن اقترفه في غيرها لشرف هذه المساجد وفضلها ، والذنب الواحـد في احدها أعظم من ذنوب كثيرة في غيرها من المواضع ولذلك تضاعف فيه السيئات ومعنـاه : تغليظ عقوبتها ، لا أن الانسان يعمل ذنبـاً واحداً فيكتب عليه عشرة ذنوب ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز : (من جاء بالحسنة فله عشر امثالهـا ومن جاء بالسيئـة فلا يجزى إلا مثلها) فقد غلظت الدية على من قتـل في الحرم او في الاحرام او في الاشهر الحرم او قتل ذا رحم محرم ، لحرمة هذه الاشياء وعظم محلها . فالتعدد في المعنى من حيث انه انتهك حرمة بيوت الله وقد قال الله تعالى : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله احسن مـا عملوا ويزيدهم من فضله) . وقد ارتكب المعصية فيها ، فهذا معنى التضعيف .

﴿ شد الرحال اليه ﴾

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدي هذا .

﴿ كراهية استقبال الصخرة ببول أو غائط ﴾

روى ابو داود رحمه الله في سننه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تستقبل القبلتان ببول او غائط .

وعن نافع ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستقبلوا واحدة من القبلتين ببول او غائط .

وروي تحريم ذلك عن الشعبي

﴿ فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس ﴾

عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول الله (ص) يقول : من أهلَّ بحج او عمرة من المسجد الأقصى الشريف الى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة .

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم قال : لوددت اني ما جئت بيت المقدس . واحرم منه ابنه عبد الله رضى الله عنه ايضاً .

والماء والرياح يخرجان من تحت صخرة بيت المقدس . روي عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : المياه العذبة والرياح اللواقح تخرج من تحت صخرة بيت المقدس .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنهار اربعة : سيحان وجيحان والنيل والفرات . فاما سيحان فنهر بلخ ، واما جيحان فدجلة ، واما النيل فنيل مصر ، واما الفرات ففرات الكوفة . وكل ماء يشربه ابن آدم فهو من هذه الأربعة ويخرج من تحت صخرة بيت المقدس .

وقد نقل في فضل ماء بيت المقدس وما فيه من المنفعة ، وان من أراد

ان يشرب ماء في جوف الليل فليقل : ياماء ماء بيت المقدس يقرئك السلام ثم يشرب فانه أمان باذن الله عز وجل ·

﴿ بيت المقدس أرض المحشر والمنشر ﴾

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله الصلاة في مسجدك أفضل من الصلاة في بيت المقدس ؟ قال : صلاة في مسجدي هذا افضل من اربع صلوات فيه ، ولنعم المصلى هو ارض المحشر والمنشر ·

وعن كعب قال : ان الكعبة بميزان البيت المعمور في السماء السابعة الذي تحجه ملائكة الله تعالى لو وقعت منه احجار لوقعت على احجار البيت الحرام وان الجنة في السماء السابعة بميزان بيت المقدس لو وقع منها حجر لوقع على الصخرة الشريفة ، ولذلك دعيت اورشلم ، ودعيت الجنة دار السلام ·

وقال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس : ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل ، او قام عليه ملك مقرب ·

وقال وهب بن منبه : أهل بيت المقدس جيران الله ، وحق على الله ان لا يعذب جيرانه ·

وعن عبد الله بن عمر انه قال : ان الحرم لمحرم في السماوات السبع بمقداره في الأرض ، وان بيت المقدس مقدس في السماوات السبع بمقداره في الارض ·

﴿ توكل الملائكة بالمسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصى ﴾

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ثلاثة املاك : ملك موكل بالكعبة ، وملك موكل بمسجدي ، وملك موكل بالمسجد الأقصى · فأما الموكل بالكعبة فينادي في كل يوم : من ترك فرائض الله خرج من أمان الله ، واما الموكل بمسجدي هذا فينادي في كل يوم : من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايردحوضه ولاتدركه شفاعة محمد ﷺ ، واما الملك الموكل بالمسجد الأقصى فينادي

في كل يوم : من كانت طعمته حراماً كان عمله مضروباً به وجهه ·

﴿ فضل اسراج بيت المقدس الشريف عند العجز عن الوصول اليه فانه يقوم مقام الصلاة فيه ، وفضل عمارته ﴾

روي عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت : يا رسول الله افتنا في بيت المقدس . فقال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان كل صلاة فيه كألف صلاة . قلنا : يا رسول الله فمن لم يستطع ان يصل اليه ؟ قال : فمن لم يستطع ان يأتيه فليهد اليه زيتاً يسرج في قناديله فان من أهدى اليه زيتاً كان كمن اتاه ·

وقال صلى الله عليه وسلم : من أسرج في بيت المقدس سراجاً لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام ضوؤه في المسجد ·

وفي نبوة يحيى عليه السلام من بنى في بيت المقدس بناء او أثر فيه اثراً حسناً او عمر فيه شيئاً زاد الله في عمره خمسة عشر سنة وزاد الله له من المال والولد وان كان ملكاً ملكه الله اياها - يعني الأرض - ·

﴿ صفة الدجال قاتله الله - الدجال لا يدخل بيت المقدس ﴾

روي عن الضحاك انه قال : الدجال ليس له لحية وافر الشارب طول وجهه ذراعان وقامته في السماء ثمانون ذراعاً وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعاً ، ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجواهر على رأسه تاج مرصع بالذهب والجوهر في يده طبرزن هيئته هيئة المجوس ترسه فارسية وكلامه الفارسية ، تطوى له الأرض ولأصحابه طياً طياً يطأ مجامعها ويرد مناهلها إلا المساجد الأربع مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد الطور ·

وعن عبد الله بن مسعود قال : يدخل الدجال الأرض كلها إلا أربعة مساجد واربع قرى مكة والمدينة وبيت المقدس وطور سيناء ·

وروي نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٠

وروى ثور عن خالد بن صفوان قال : عصمة المؤمنين من المسيخ الدجال بيت المقدس ٠

وعن ربيعة بن يزيد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الأردن بينكم النهر انتم غربيه وهم شرقيه . قال ربيعة : فقال المحدث من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما سمعت بنهر الاردن إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وروي : ان نبي الله عيسى عليه السلام يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة احجار الأول منها يقول : بسم إله ابراهيم ، والثاني يقول : بسم إله اسحاق والثالث يقول : بسم إله يعقوب ، ثم يخرج بمن معه من المسلمين الى الدجال فاذا رآه انهزم عنه فيدركه عند باب لد فيرميه بأول حجر فيصيبه بين عينيه ثم الثاني ثم الثالث فيقع فيضربه سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله ويقتل اليهود حتى ان الحجر والشجر ليقولان يا مؤمن تحتي يهودي فأته فاقتله ٠

قال صلى الله عليه وسلم : يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ٠

﴿ فضل الأذان فى بيت المقدس ﴾

روي عن جابر رضي الله عنه : ان رجلا قال : يارسول الله أي الخلق اول دخولاً الى الجنة ؟ قال : الأنبياء . قال: ثم من؟ قال: الشهداء . قال: ثم من ؟ قال: مؤذنو بيت المقدس . قال : ثم من ؟ قال : مؤذنو المسجد الحرام . قال : ثم من ؟ قال : مؤذنو مسجدي . قال : ثم من ؟ قال : سائر المؤذنين ٠

وعن العلاء بن هارون قال : بلغني ان الشهداء يسمعون أذان مؤذني بيت المقدس لصلاة الغداة يوم الجمعة ٠

وعن كعب قال : لم يستشهد عبد قط في بر ولا بحر إلا وهو يسمع أذان مؤذني بيت المقدس ، وانه يسمع أذان مؤذني بيت المقدس من السماء .

﴿ فضل الصدقة في بيت المقدس ﴾

روي عن الحسن البصري رضي الله عنه انه قال : من تصدق في بيت المقدس بدرهم كان له براءة من النار ، ومن تصدّق برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهباً .

﴿ فضل الصيام فيه والاستغفار ﴾

روي عن كعب انه قال : من صام يوماً ببيت المقدس اعطاه الله براءة من النار ، ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كتب له مثل جميع حسنات المؤمنين والمؤمنات ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه في كل يوم وليلة سبعون مغفرة .

﴿ فضل الدفن في بيت المقدس ﴾

قد سأل موسى عليه السلام ربه ان يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر . وتقدم ذكر ذلك عند ذكره عليه السلام .

وعن كعب : ان ببيت المقدس الف قبر من قبور الأنبياء عليهم السلام .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء .

﴿ فضل الصخرة ﴾

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : صخرة بيت المقدس من صخور الجنة .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيامة .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيد البقاع بيت المقدس ، وسيد الصخور صخرة بيت المقدس .

وعن ام عبد الله ابنة خالد بن سعدان عن أبيها : لا تقوم الساعة حتى تزف الكعبة الى الصخرة فيتعلق بها جميع من حجها واعتمرها فاذا رأتها الصخرة قالت : مرحباً بالزائرة والمزورة .

وروي ان الله عز وجل يجعل الصخرة يوم القيامة مرجانة بيضاء ثم يبسطها عرض السماء والأرض .

فضل الصلاة عن يمين الصخرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن ابي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : صليت ليلة اسري بي الى بيت المقدس عن يمين الصخرة .

قال المشرف : ولم يختلف اثنان انه عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج .

البلاطة السوداء

(وهي التي من داخل الباب الشامي من ابواب الصخرة ويعرف هذا الباب بباب الجنة)

حكي انه رؤي الخضر عليه السلام يصلي هناك والله اعلم . ويقال : ان قبر سليمان عليه السلام بهذا الباب . وتقدم عند ذكر وفاته ماقيل ان قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية ، وانه هو وابوه داود في قبر واحد .

اليمين عند الصخرة

حكي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه أمر ان يحمل عمال سليمان بن

عبد الملك يستحلفون عندالصخرة فحلفوا إلا رجلا واحداً افدى يمينه بألف دينار يقال له اهيب بن جندب ، فما حال عليهم الحول حتى ماتوا . والله أعلم .

﴿ فضل الصخرة ليلة الرجفة ﴾

روى ابو عمير عن جندب عن رستم الفارسى قال: اتت الرجفة فقيل لي : قم فأذن ، فاستهنت بذلك . ثم اتت الثانية فقيل لي : قم فأذن ، فاستهنت بذلك . ثم اتت الثالثة فانتهزت انتهازة شديدة وقيل لي : قم فأذن . فأتيت المسجد فاذا الدور قد تهدمت . قال : فخرج لي بعض حراس الصخرة فقال لي : اذهب فأتني بخبر أهلي وتعال حتى اخبرك بالعجب . قال : فأتيت منزله فاذا هو قد هدم ، فرجعت فأعلمته ، فقال لي ! لما كان من الأمر ما كان اتى اليها فحملت حتى نظرنا الى السماء والنجوم ثم اعيدت فسمعناهم يقولون : ساووها عدلوها . حتى اعيدت على حالها .

ورواه عبيد الله بن محمد القرماني عن ضمرة عن رستم بنحوه وفيه ان الذي خرج اليه رجل من حراس الصخرة الشريفة وكان على كل باب عشرة ، وفيه لما أخبره عن اهله قال : لم نعلم في اول الليل إلا وقد قلعت القبة من موضعها حتى بدت لنا الكواكب ، فلما كان قبل مجيئك سمعنا حفيفاً وحبكة ثم سمعنا قائلا يقول : ساووها عدلوها . ثلاث مرات ، فاعيدت على حالها .

وروى الوليد بن حماد عن عبد الرحمان بن محمد بن منصور بن ثابت قال : حدثني ابي عن ابيه عن جده ان ابا عثمان الانصاري كان يحيي الليل بعد انصرافه من القيام في شهر رمضان على البلاطة السوداء ، قال فبينما هو قائم في الصلاة حتى سمع صوت الهدة في المدينة وصراخ الناس واستغاثتهم . وكانت ليلة باردة مظلمة كثيرة الرياح والأمطار. قال: سمعت قائلا يقول ـ اسمع الصوت ولا أرى الشخص ـ ارفعوها رويداً بسم الله . فقلعت القبة قلعاً حتى تبدى لنا بياض السماء والنجوم

فأصاب وجهه من رش المطر حتى أذن رستم الفارسي فسمع قائلا يقول: ردوها رويداً بسم الله ساووها عدلوها. فردت القبة على ما كانت عليه، وكان هذا في الرجفة الاولى. وكانت هذه الرجفة في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائة. والله سبحانه وتعالى اعلم.

﴿ نبذة مما ذكر من فضائل بيت المقدس الشريف المعظم ﴾

قد تقدم ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: اربع من مدائن الجنة: مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس.

وروى المشرف بسنده عن عمران بن الحصين قال: قلت يا رسول الله ما أحسن المدينة. قال: لو رأيت بيت المقدس. قال: قلت أهي احسن منها؟ فقال: كيف لا تكون احسن منها وكل من فيها يزار ولا يزور وتهدى اليه الأرواح ولا يهدى روح بيت المقدس لغيرها، إلا ان الله اكرم المدينة الشريفة وطيبها بي وانا فيها حي، وانا فيها ميت، ولولا ذلك ما هاجرت من مكة فاني ما رأيت القمر في بلاد قط إلا وهو بمكة احسن.

وروي ان موسى عليه السلام نظر وهو ببيت المقدس الى نور رب العزة ينزل ويصعد الى بيت المقدس.

وعن كعب قال: باب مفتوح من السماء من ابواب الجنة ينزل منه النور والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة، والطل الذي ينزل على بيت المقدس شفاء من كل داء لأنه من الجنة.

وعن مقاتل بن سليمان: ان كل ليلة ينزل سبعون الف ملك من السماء الى مسجد بيت المقدس يهللون الله ويسبحونه ويقدسونه ويحمدونه لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس ·

وقال كعب : ان الله ينظر الى بيت المقدس كل يوم مرتين ·

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : ان الجنة لتحن شوقاً الى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس ، والفردوس بالسريانية : البستان ، وقيل الكرم .

وعن خالد بن معدان : ان حذو بيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل يوم سبعون الف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلي فيه ·

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبي او قام عليه ملك ·

وقال مقاتل : ان الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق إن فاته المال ، ومن مات مقيما محتسباً في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ، ومن مات حول بيت المقدس فكأنما مات في بيت المقدس ، واول ارض بارك الله فيها بيت المقدس والارض المقدسة التي ذكرها الله في القرآن فقال : (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) . هي ارض بيت المقدس ·

وكلم الله موسى في ارض بيت المقدس .

وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في ارض بيت المقدس ·

ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس ·

وبشر الله زكريا بيحيي في بيت المقدس ·

وسخر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس ·

وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس ·

وتتغلب يأجوج على الارض كلها غير بيت المقدس · ويهلكهم الله في ارض بيت المقدس .

وينظر الله كل يوم بخير الى بيت المقدس ·

واوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا ان يدفنا بأرض بيت المقدس.

واوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند ، ان يدفن ببيت المقدس ٠

واوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس ٠

وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد في بيت المقدس . وانزلت عليه المائدة في ارض بيت المقدس . ورفعه الله الى السماء من بيت المقدس . وينزل من السماء الى الأرض ببيت المقدس ٠

وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس ٠

وهاجر ابراهيم عليه السلام من كوثا الى بيت المقدس

وصلى النبي ﷺ زماناً الى بيت المقدس . واسري به الى بيت المقدس ٠

وتكون الهجرة في آخر الزمان الى بيت المقدس . والمحشر والمنشر الى بيت المقدس . والحساب يوم القيامة الى بيت المقدس ٠ وينصب الصراط على جهنم الى الجنة ببيت المقدس . وينفخ اسرافيل في الصور ببيت المقدس .

والحوت الذي الأرضون على ظهره : رأسه في مطلع الشمس وذنبه بالمغرب ووسطه تحت بيت المقدس ٠

ومن صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في سماء الدنيا ٠

وتخرب الأرض كلها وتعمر بيت المقدس ٠

ومن صبر في بيت المقدس سنة على لأوائها وشدتها جاءه الله برزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغداً ويدخل الجنة إن شاء الله تعالى ٠

وأول بقعة بنيت من الأرض كلها موضع صخرة بيت المقدس ٠

وتظهر عين موسى في آخر الزمان ببيت المقدس ٠

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان خيار امتي من هاجر هجرة بعد هجرة الى بيت المقدس . ومن صلى ببيت المقدس بعد ان توضأ واسبغ الوضوء ركعتين

او اربعاً غفر له ما كان قبل ذلك ·

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : النجاء النجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن . قال: يا رسول الله فان لم أدرك بيت المقدس . قال : فابذل واحرز دينك . وفي لفظ آخر : فابذل مالك واحرز دينك ·

وقال علي رضي الله عنه لصعصعة : نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم : ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس · أحب الشام الى الله تعالى بيت المقدس ، أحب جبالها اليه الصخرة وهي آخر الأرض خراباً بأربعين عاماً . قال : وهي روضة من رياض الجنة .

وروي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني انه قال : لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة احياط حائط من فضة وحائط من ذهب وحائط من لؤلؤ وحائط من ياقوت وحائط من زمرد وحائط من نور وحائط من غمام ·

واما ما يقال ان بيت المقدس طشت من ذهب مملوء عقارب وانه كأجمة الأسد فداخله اما ان يسلم واما ان يدركه العطب . فقد حمل ذلك على زمان بني اسرائيل الذين كانوا يعملون فيه بمعاصي الله تعالى ، فان اللفظ المذكور قيل انه مكتوب في التوراة · قال بعض العلماء : وظاهر الخطاب يدل على انهم - يعني العقارب - كانوا موجودين في ذلك الوقت ، ولو اراد قوماً من هذه الامة قال : املؤها عقارب حتى يكون للمستقبل والله أعلم ، وأما اليوم فالحمد لله فانما به وبأفنائه الطائفة المنصورة - كما تقدم - ·

وعن أبي عمرو الشيباني قال : ليس يعد من الخلفاء إلا من ملك المسجدين المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس الشريف ، وقد اجمعت الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ما عدا السامرة فانهم يقولون : ان القدس جبل نابلس . وخالفوا جميع الامم في ذلك ·

وقد كان بنو اسرائيل اذا نزل بهم خوف من عدو او اجدبوا صوّروا القدس

وجعلوه هيكلا وصوّروا ابوابه ومحاريبه واستقبلوا به العدو فيهزمه الله تعالى ٠ وكذلك في الجدب اذا صوروه واستقبلوا به فلا تزال السماء تمطر عليهم حتى يرفعوا الهيكل وكانوا يفعلون ذلك في كل امرمهم يدهمهم والله سبحانه وتعالى اعلم ٠

﴿ ذكر ما يستحب أن يدعى به عند دخول المسجد الشريف والصخرة الشريفة وآداب دخولها ومن أى باب يدخلها ﴾

يستحب لمن اراد دخول المسجد ان يبدأ برجله اليمنى ويؤخر اليسرى ويقول: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك٠ واذا خرج صلى على النبي (ص) وقال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ٠

ويستحب لمن اراد الدخول للصخرة الشريفة ان يجعلها عن يمينه حتى يكون بخلاف الطواف حول البيت الحرام ويقدم النية ويعقد التوبة بالاخلاص مع الله تعالى. وان احب ان ينزل تحت الصخرة الشريفة في المغارة فليفعل ٠ فاذا نزل يكون بأدب وخشوع ويصلي ما بدا له ويدعو بدعاء سليمان عليه السلام الذي دعا به لما فرغ من بنائه وقرب القربان وهو قوله : اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر ذنبه او ذي ضر فاكشف ضره ، ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ويجتهد في الدعاء تحت الصخرة فان الدعاء في ذلك الموضع مقطوع له بالاجابة إن شاء الله تعالى.

وحكى جماعة من العلماء : ان الأدعية التي يدعى بها ليس فيها خصوصية بهذا الموضع فان الانسان مأمور بالدعاء موعود عليه بالاستجابة لقوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) ، وقوله تعالى : (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) ٠ والمراد من الأدعية : ما وردت به السنة الشريفة النبوية ٠

فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لأبى عياش زيد بن الصامت الزرقي حين رآه يصلي ويقول : اللهم اني

اسألك يا ذا الحمد لا إله إلا انت المنان بديع السماوات والارض يا ذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى .

ومن ذلك ما رواه عبيد الله بن زيد عن ابيه : ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم اني اسألك بأنك انت الله الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب .

ومن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو به ويقول : انه لن يدعو به ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح إلا كان من الدعاء المستجاب اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت ان الحياة خير لي وتوفني ما علمت أن الوفاة خير لي ، واسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، واسألك نعيما لاينفد وقرة عين لاتنقطع وبرد العيش بعد الموت واسألك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين .

وروي ان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوة ويأمر ان لايعلموها السفهاء فيدعوا بها ،فكان يقول: يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الطول لا إله إلا انت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتني عندك في ام الكتاب شقياً أو محروماً أو مقتراً عليّ في رزقي فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني واقتار رزقي وأثبتني عندك في ام الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات مستوراً مكفياً مؤنة من يؤذيني انك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

وقد رأيت منقولا : انه يستحب الدعاء بهذا في ليلة النصف من شعبان . وقد

ورد في الأخبار والأحاديث غير ذلك ، والمراد هنا الاختصار . والله الموفق المهدى للصواب ·

﴿ ذكر الفتح العمري ﴾

الذي يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارة المسجد الأقصى الشريف على يده

روى عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعدد ستاً بين يدي الساعة موتى . قال : فوجمت عندها وجمة قال : قل احدى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يكون فيكم كقصاع الغنم واستفاضة المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل لها ساخطاً ثم تكون فيكم فتنة فلا يبقى بيت من بيوت العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بين بني الأصفر فيغدرون بكم ، ثم يأتونكم في ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر الفاً ·

قوله : فوجمت وجمة ، قال الجوهري : الوجم الذي اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام · والموتان ـ بضم الميم وسكون الواو ـ وهو الموت الكثير السريع وقوعه · ولذلك شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بقعاص الغنم فهو داء يأخذها لا يلبثها ان تموت · والقعص : ان يضرب الانسان فيموت مكانه سريعاً ، فقيل لهذا الداء قعاص لسرعة الموت ثم شبه به الموتان ·

وعن عوف قال : اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال لي : يا عوف أعدد ستاً بين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ·

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن اوس : ألا ان الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله تعالى وتكون انت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله تعالى ·

ثم ان الست المذكورة قد وقع بعضها ، فموته صلى الله عليه وسلم وفتح

بيت المقدس قد وجد ، ووقع الطاعون وهم بالجابية . ويقال : انه طاعون عموس الواقع في سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه . قال الوليد بن مسلم : قال سعيد بن عبد العزيز : زاد عثمان للناس عامة الديوان مائة دينار بزيادة دينـار في عطائهم . وكانت الفتنـة وهي قتل الوليد . وما وقع بين الناس بالشام والعراق وخراسان من الفرقة والعصبة ولا تزال متتابعة حتى تقع هدنة الروم .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليـه وسلم استقر الامام ابو بـكر الصديق رضي الله عنه بعده في الخلافة ، واسمه : عبد الله ، ولقبه : عتيق الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب القرشي .

وهو اول خليفة في الاسلام ، وكان يدعى خليفة رسول الله (ص) . له المواقف الرفيعة في الاسلام .

ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه واجل فضائله وهو استخلافـه على المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فمهد به الاسلام واعز به الدين . وذلك أنه لما حضرته الوفاة شاور الصحابة في ذلك فأشاروا به . ثم دعا ابو بكر عثمان ابن عفان رضى الله عنهما فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليـه ابو بكر بن ابي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند اول عهده بالآخرة داخلا فيها حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، اني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل فلكل امرىء مـا اكتسب والخير أردت ولا اعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمره فختم الكتاب وخرج به الى الناس ، فبايعوا عمر ورضوا به .

ولما اراد ابو بكر ان يقلدعمر الخلافة قال له عمر : اعفني ياخليفة رسول الله فاني غني عنها . قال : بل هي فقيرة اليك . قال : ليس لي بها حاجة . قال : هي محتاجة اليك . فقلده الخلافة على كره منه ، ثم اوصاه بما اوصاه .

فلما خرج رفع ابو بكر يديه وقال : اللهم اني لم ارد بذلك إلا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم في يدك وأصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وأصلح له رعيته .

ثم توفي ابو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة الشريفة وله ثلاث وستون سنة ، ودفن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليالي .

وبويع عمر بن الخطاب (رض) بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابو بكر (رض) وهو اول من سمي بأمير المؤمنين . واما نسبه : فهو ابو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رواح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب . وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرشي العدوي .

واول خطبة خطبها قال : يا أيها الناس والله ما فيكم احد أقوى من الضعيف عندي حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه .

ثم اول شيء أمر به ان عزل خالد بن الوليد عن الامرة وولى ابا عبيدة ابن الجراح على الجيش والشام وارسل بذلك اليهما فانهما كانا قبل وفاة ابي بكر رضي الله عنه في وقعة اليرموك ، وفرغا منها وقصدا دمشق .

فلما ورد عليهما كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه سار ابو عبيدة ونزل دمشق الشام من جهة باب الجابية ، ونزل خالد بن الوليد من جهة الباب الشرقي

ونزل عمرو بن العاص من جهـة باب توما ، ويزيد بن ابي سفيان من جهة الباب الصغير الى باب كيسان . وحاصروهـا قريباً من سبعين ليلة ، وفتح خالد مايليه بالسيف . فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من الجانب الآخر وفتحوا له الباب فأمنهم ودخل ، والتقى مع خالد في وسط البلد .

وبعث ابو عبيـدة بالفتح الى عمر . ثم بعد دمشق بيسير فتح حمص بعـد حصار طويل . ثم فتح حماه صلحاً ، وكذلك المعرة . ثم فتح اللاذقيه عنوة . وفتح جبلة والطرطوس . ثم فتح حلب وانطاكيـة . وفتح بلاداً اخرى منها : قيسارية وسبسطية ، ويقال ان بها قبر يحيى وزكرياه . ونابلس ولدّ ويافا وتلك البلاد جميعها حتى دخلت سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة .

ثم سار ابو عبيـدة بن الجراح رضي الله عنه حتى اتى الاردن فعسكر بها وبعث الرسل الى اهل ايليا وكتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة ابن الجراح الى بطارقة اهل ايليا وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد : فانا ندعوكم الى شهادة أن لا إله إلا الله محمـد رسول الله وان الساعة آتية لا ريب فيهـا وان الله يبعث من في القبور ، فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم واموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً ، وإن ابيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وانتم صاغرون ، وإن أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشـد حباً للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله تعالى ابداً حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذراريكم .

وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح : سلام عليك فاني احمـد الله تعالى اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فالحمد لله الذي اهلك المشركين ونصر المسلمين وقد نمـا ما تولى الله امرهم واظهر فلاحهم واعز دعوتهم فتبارك الله رب العالمين أخبر أمير المؤمنين اكرمه الله انا لقينا الروم وهم جموع لم تلق العرب مثلها جموعاً

فأتونا وهم يرون لا غالب لهم من الناس احد فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ، ورزق الله المؤمنين النصر وانزل عليهم الصبر فقتلهم الله تعالى في كل قرية وفي كل شعب وواد وجبل وسهل وغنم الله المسلمين عسكرهم وما كان فيهم من اموالهم ومتاعهم ، ثم اني تبعتهم بالمسلمين حتى بلغت اقصى بلاد الشام وقد بعثت الى اهل الشام عمالي ، وقد بعثت الى اهل ايليا ادعوهم الى الاسلام فان قبلوا وإلا فليؤدوا الجزية الينا عن يد وهم صاغرون ، فان ابوا سرت اليهم حتى انزل بهم ثم لا ازيلهم حتى يفتح الله تعالى على المسلمين ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فقد اتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من اهلاك الله المشركين ونصره المؤمنين وما صنع بأوليائه واهل طاعته والحمد لله على حسن صنيعه الينا وسيتم الله تعالى ذلك بشكره ، ثم اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا قوة ولا حول ولكن بعون الله ونصره ومنه وفضله فلله الطول والمنة والفضل العظيم فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين والسلام عليك .

ثم ان ابا عبيدة انتظر اهل ايليا ، فأبوا ان يأتوه وان يصالحوه . فأقبل سائراً اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم حصاراً شديداً وضيق عليهم فخرجوا اليه ذات يوم فقاتلوا المسلمين ساعة ، ثم ان المسلمين شدوا عليهم من كل جانب ومكان فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا فدخلوا حصنهم .

وكان الذي ولي قتالهم يومئذ خالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان كل رجل منهما بجانب .

فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على اهل دمشق فكتب الى ابي عبيدة ابن الجراح : بسم الله الرحمن ، الرحيم الى ابي عبيدة ابن الجراح من سعيد بن زيد

سلام عليك فاني احمـــد الله الذي لا إله إلا هو اليك ، أما بعد : فاني لعمري ما كنت لأوثرك واصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي اتاك كتابي هذا فابعث إلى عملك من هو ارغب فيـه فليله ما بدا لك فاني قادم اليك وشيكاً إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فقال ابو عبيدة ـ حين جاءه الكتاب ـ : ليتركنها خلوفاً . ثم دعا بيزيد بن ابي سفيان وقال : اكفني دمشق . فقال له يزيد : اكفيكها إن شاء الله تعالى . وسار اليها فولاها له .

ولما حصر ابو عبيدة اهل ايليا واوجب على نفسه انه غير مقلع عنهم ولم يجدوا لهم طاقة بحربه قالوا : نصالحك . قال : واني قابل منكم . قالوا : فأرسل الى خليفتكم فيكون هو الذي يعطينا هـذا العهد ويكتب لنا الأمان . فقبل ابو عبيدة ذلك وهم ان يكتب .

وكان ابو عبيدة رضي الله عنه قد بعث معاذ بن جبل على الاردن ولم يكن سار . فقال معاذ لأبي عبيدة : أتكتب لأمير المؤمنين تأمره بالقدوم عليك فلعله يقدم ، ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مجيئه فضلا وعناء . فلا تكتب حتى يوثقوا اليك واستحلفهم بالأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة إن انت بعثت الى امير المؤمنين فقدم عليهم واعطاهم أماناً على انفسهم واموالهم وكتب عليهم بذلك كتاباً ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه اهل الشام .

فبعث بذلك اليهم ابو عبيدة . فأجابوه اليه .

فلما فعلوا ذلك كتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المؤمنين من ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فانا اقمنا على اهل ايليا فظنوا ان لهم في مطاولتهم فرجا فلم يزدهم الله بهذا إلا ضيقاً ونقصاً وهزالاً وذلاً ، فلما رأوا ذلك سألوا ان يقدم عليهم امير المؤمنين فيكون هو الموثوق لهم والكاتب

فخشينا ان يقدم امير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك ـ اصلحك الله ـ عناء وفضلا ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه اهل الذمة ففعلوا ، فان رأيت ان تقدم فافعل فان في مسيرك اجراً وصلاحاً آتاك الله رشدك ويسر امرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ٠

وبعث المسلمون اليه وفداً وبعث الروم وفداً مع المسلمين حتى اتوا المدينة فجعلوا يسألون عن امير المؤمنين. فقال الروم لترجمانهم : عمن يسألون . فقال : عن امير المؤمنين . فاشتد عليهم وقالوا : هذا الذي غلب فارس والروم واخذ كنوز كسرى وقيصر ليس له مكان معروف بهذا غلب الامم . فوجدوه وقد القى نفسه حين اصابه الحر نائماً فازدادوا تعجباً ٠

فلما قدم الكتاب على عمر رضى الله عنه دعا برؤساء المسلمين اليه وقرأ عليهم كتاب ابي عبيدة رضي الله عنه واستشارهم في الذي كتب اليه ٠ فقال له عثمان رضى الله عنه : ان الله تعالى قد اذلهم وحصرهم وضيق عليهم وهم في كل يوم يزدادون نقصاً وهزالا وضعفاً ورعباً فان انت اقمت ولم تسر اليهم راوا انك بأمرهم مستخف ولشأنهم حاقر غير معظم فلا يلبثون إلا قليلا حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية ٠ فقال عمر : ما ترون هل عند احد كم رأي غير هذا ؟ فقال علي ابن ابي طالب رضى الله عنه : نعم ، عندي غير هذا الرأي ٠ قال : ما هو ؟ قال : انهم قد سألوا المنزلة التي فيها لهم الذل الصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز وهم يعطونكها الآن في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا ان تقدم عليهم ولك في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم فاذا قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن إن ايسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا او يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجوع ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب

او يقذفونهم بالمناجيق فان اصاب بعض المسلمين تمنيتم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بعشرك الى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من إخوانه اهلا .

فقال عمر رضى الله عنه : قد احسن عثمان النظر في مكيدة العدو ، واحسن علي بن ابي طالب النظر لأهل الاسلام ، سيروا على اسم الله فاني سائر .

فخرج فعسكر خارج المدينة ، ونودي في الناس بالعسكر والمسير . فعسكر العباس بن عبد المطلب بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوه قريش والأنصار والعرب رضي الله عنهم .

حتى اذا تكامل عنده الناس استخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وسار . فقل غداة إلا وهو يقبل على المسلمين بوجهه ويقول : الحمد الذي اعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة وجمعنا به من بعد الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا به على الأعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر عليها وتمام ما اصبحتم متقلبين فيه منها ، فان الله يزيد المزيدين من الراغبين ويتم نعمته على الشاكرين . وكان لا يدع هـذا القول في كل غداة في سفره كله .

فلما دنا من الشام عسكر حتى قدم اليه من تخلف من العسكر ، فما هو إلا ان طلعت الشمس فاذا الرايات والرماح والجنود قد اقبلوا على الخيول يستقبلون عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال الراوي : فكان اول مقنب لقينا من الناس سألنا عن المدينة واخبرناه بصلاح الناس . فنادوا هل لكم بأمير المؤمنين من علم ؟ فسكتنا ، ومضوا . فأقبل مقنب آخر فسلموا ، ثم سألوا عن أمير المؤمنين هل لنا به علم ، فقال لنا : ألا تخبرون القوم عن صاحبكم ؟ فقلنا : هذا امير المؤمنين . فذهبوا يرجعون ويقتحمون

عن خيولهم . فناداهم عمر رضى الله عنه : لا تفعلوا . ورجع الآخرون الذين مضوا فساروا معنا ·

واقبل المسلمون يصفون الخيـل ويشرعون الرماح في طريق عمر حتى طلع ابو عبيدة في عظيم الناس فاذا هو على قلوص اكفها بمباءة خطامها من شعر لابس سلاحه متنكب قوسه ، فلما نظر الى امير المؤمنين اناخ قوصه ، واناخ أمير المؤمنين بعيره · فنزل ابو عبيدة واقبل الى عمر ، واقبل عمر الى ابي عبيدة ·

فلما دنا عمر من ابي عبيدة مد ابو عبيدة يده الى عمر ليصافحه ، فمد عمر يده ، فأخذها ابو عبيدة واهوى ليقبلها يريد ان يعظمه في العامـة · فأهوى عمر الى رجل ابي عبيدة ليقبلها · فقـال ابو عبيدة : مه يا امير المؤمنين ، وتنحى · فقال عمر : مه يا ابا عبيدة · فتعانق الشيخان ، ثم ركبا يتسايران ، وسارا وسار الناس امامهما ·

وحكي انهم تلقوا عمر ببرذون وثياب بيض وكلموه ان يركب البرذون ليراه العدو فهو أهيب له عندهم وان يلبس الثياب البيض ويطرح الفروة عنه ، فأبى · ثم لجوا عليه ، فركب البرذون بفروته وثيـابه فهملج به البرذون وخطام ناقته بيـده بعد فنزل وركب راحلته وقال : لقد غيرني هذا حتى خفت ان اتكبر وانكر نفسي ، فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد وانما اعزكم الله عز وجل به ·

وروي عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره · فقال ابو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند اهل الأرض · فصكه عمر في صدره وقال له : لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس فأعزكم الله بالاسلام ومهما تطلبوا العز بغيره يذلـكم الله تعالى ·

وروي: انه لما قدم عمر من المدينة ناهضوهم القتال بعد قدومه فظهر المسلمون على اماكن لم يكونوا ظهروا عليها قبل ذلك ، وظهروا يومئذ على كرم كان

في ايديهم لرجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرمه عنب فجعلوا يأكلونه . فأتى الذمي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : يا امير المؤمنين كرمي كان في ايديهم فلم يستبيحوه ولم يتعرضوا لي وأنا رجل لي ذمة مع المسلمين ، فلما ظهر عليه المسلمون وقعوا فيه .

فدعا عمر رضي الله عنه ببرذون له فركبه عرياناً من العجلة ثم خرج يركض في اعراض المسلمين ، فكان اول من لقيه ابو هريرة يحمل فوق رأسه عنباً فقال له : وانت ايضاً يا ابا هريرة . فقال : يا امير المؤمنين أصابتنا مخمصة شديدة فكان أحق من اكلنا من ماله من قاتلنا . فتركه عمر ، ثم اتى الكرم فنظره فاذا هو قد اسرعت الناس فيه . فدعا عمر رضى الله عنه الذمي فقال له : كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا ؟ فقال له شيئاً . قال : فخل سبيله . ثم اخرج عمر رضى الله عنه ثمنه الذي قال له فأعطاه إياه ، ثم اباحه للمسلمين .

وعن سيف عن ابي حازم وابي عثمان عن خالد وعبادة قالا : صالح عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهل ايليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً ما خلا اهل ايليا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عبدالله امير المؤمنين عمر اهل ايليا من الأمان ، اعطاهم اماناً لأنفسهم واموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريها وسائر ملتها انها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدها ولا من صليبهم ولا شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايليا معهم احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن وعلى ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ، ومن احب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من اهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من

الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى ارضه فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان .

وعن عبد الرحمن بن غنم قال : كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحيي منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسها ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعوا اليه احداً ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا وان نلزم زينا حيثما كنا وان نشد زنانير على اوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم .

قال : فلما اتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه : ولا نضر بأحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا شيئاً مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق ٠

رواه الامام البيهقي وغيره وقد اعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون ٠

وروي ان عمر رضى الله عنه امر في اهل الذمة ان تجز نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق اي الزنانير ٠

ولما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو طور زيتا ، واتى رسول ـ بطريقها اليه ـ بالترحيب وقال : انا سنعطي بحضورك ما لم نكن نعطيه لاحد دونك ٠ وسأله ان يقبل منه الصلح والجزية وان يعطيه الأمان على دمائهم واموالهم وكنائسهم ٠ فأنعم له عمر بذلك ٠ فسأله الرسول الأمان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبته . فأنعم وخرج اليه بطريقها في جماعة فصالحهم واشهد على ذلك ٠

والبطريق هو الأمير ، وأما البطرك فهو الكاهن . وكان اسم البطرك يوم ذلك صقريوس ، وكان قد اخبر النصارى ان الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال ٠

فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين اهل بيت المقدس قال لبطريقها : دلني على مسجد داود . قال : نعم . وخرج عمر مقلداً بسيفه في اربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح إلا السيوف والبطريق بين يدي عمر في اصحابه حتى دخلوا بيت المقدس فأدخلهم الكنيسة التي يقال لها القمامة وقال : هذا مسجد داود . فنظر عمر وتأمل وقال له : كذبت ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود بصفة

ما هي هذه · فمضى به الى كنيسة يقال لها صيهون وقال له : هذا مسجد داود · فقال له : كذبت · فمضى به الى مسجد بيت المقدس حتى انتهى به الى الباب الذي يقال له باب محمد (ص) وقد انحدر ما في المسجد من الزبالة على درج الباب حتى خرج الى الزقاق الذي فيه الباب وكثر على الدرج حتى كاد ان يلصق بسقف الرواق فقال له : لا نقدر ان ندخل إلا حبواً . فقال عمر : ولو حبواً · فحبا بين يدي عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا الى صحنه واستووا فيه قياماً . فنظر عمر وتأمل ملياً ونظر يميناً وشمالا ثم قال : الله اكبر هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسري به اليه . ووجد على الصخرة زبلا كثيراً مما طرحته الروم غيظاً لبني اسرائيل ، فبسط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل · ومضى نحو محراب داود وهو الذي على باب البلد في القلعة فصلى فيه ، ثم قرأ سورة ص وسجد ·

وروي انه لما جلا المزبلة عن الصخرة قال : لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات ·

وروي انه لما فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال لكعب : يا أبا اسحاق أتعرف موضع الصخرة ؟ فقال : اذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً ثم احفر فانك تجدها . وكانت يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم · فقال عمر لكعب : أين ترى ان نجعل المسجد ـ او قال : القبلة ـ ؟ فقال : اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال له : ضاهيت اليهودية يا ابا اسحاق ، خير المساجد مقدمها فبناها في مقدم المسجد ·

وروي ان عمر قال لكعب : أين ترى نجعل المصلى ؟ قال : الى الصخرة . فقال : ضاهيت والله يا كعب اليهودية بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها ، اذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكن امرنا بالكعبة.

ولما فرغ عمر من فتح ايليا وعزل الصخرة من القمامة وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية ، فسمى المسلمون كنيسة النصارى العظمى عندهم قمامة تشبيهاً بالمزابل وتعظيما للصخرة الشريفة . ثم ارتحل من القدس الى ارض فلسطين ٠

وكان هذا الفتح في سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة قاله ابن الجوزي وغيره من المؤرخين ٠ وقيل : كان في سنة ستة عشر في ربيع الأول ٠ وقيل : لخمس خلون من ذي القعدة والله اعلم ٠

ووجد على رأس بعض التصاوير التي كانت في المسجد الأقصى عقب ما استنقذه المسلمون منهم هذه الأبيات ـ ويقال انها لابن ضامر الضبعي بعكا ـ :

أدمى الكنائس ان تكن عبثت بكم ايدي الحوادث او تغير حال
فلطالما سجدت لكن شمامس شم الانوف ضراغم ابطال
بعداً على هذا المصاب لأنه يوم بيوم والحروب سجال

وروي ان امير المؤمنين عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الأمان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض واقام عمر اياماً ، ثم قال لأبي عبيدة : لم يبق أمير من امراء الأجناد غيرك إلا استزارني ٠ فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين اني اخاف ان استزيرك فتعصب عينيك في بيتي ٠ قال : فاستزرني ٠ قال : فزرني ٠

فلما اتاه عمر في بيته فاذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه ، واذا هو فراشه وسرجه واذا هو وسادته ، واذا كسر يابسة في كوة بيته فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه واتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء . فلما نظر عمر الى ذلك بكى ثم التزمه وقال : انت اخي ، وما من احد من اصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك . فقال له ابو عبيدة : ألم اخبرك انك ستعصب عينيك ٠

ثم ان عمر قام في الناس ، فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : ياأهل الاسلام ان الله تعالى قد صدقكم الوعد

ونصركم على الأعداء واورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فان العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم. ثم نزل ، وحضرت الصلاة فقال : يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله . قال بلال : يا امير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها .

فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديداً ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من ابي عبيدة ومعاذ ابن جبل حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله .

فلما قضى صلاته انصرف امير المؤمنين راجعاً الى المدينة . واجتهد فيما هو بصدده من إقامة شعائر الاسلام والنظر في مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله . ولم يزل كذلك حتى توفي رضي الله عنه ونفعنا به وجمع بيننا وبينه في دار كرامته انه ولي الحسنات وغافر السيئات بمنه وكرمه .

وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها ما نقلته هنا والله الموفق .

﴿ ذكر وفاة عمر رضى الله عنه ﴾

روي انه خرج لصلاة الصبح في جماعة فضربه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ـ لما وقف يصلي ـ بخنجر برأسين وطعنه ثلاث طعنات احداها تحت سرته وهي التي قتلته ، وطعن اثنى عشر رجلا من اهل المسجد فمات منهم ستة . ثم نحر نفسه بخنجره فمات لعنه الله .

ولما طعنه ابو لؤلؤة وقع على الأرض ثم قال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم . قال : مروه يصلِّ بالناس وقال لولده عبد الله : انظر من الذي

قتلني . فقال : يا أمير المؤمنين ذلك ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة .

ثم بعث ابنه عبد الله الى عائشة رضي الله عنها فقال : قل لها : يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم أمير المؤمنين - ويقول لك انه لاحق بربه أفتأذنين له ان يدفن مع صاحبيه . فجاء عبد الله الى عائشة فاستأذن عليها فأذنت له ، فبلغها رسالة امير المؤمنين عمر رضى الله عنه . فتأوهت وبكت وقالت : لقد كنت اشم رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر ، فلما مات ابو بكر كنت أشم رائحته في امير المؤمنين عمر ، ما لي والدنيا افقد فيها الاحباب واحداً بعد واحد . ثم قالت له : بلغ امير المؤمنين مني السلام وقل له : ألا انها كانت قد ادخرت ذلك لنفسها ولكنها آثرتك اليوم على نفسها .

فلما رجع عبد الله قال له عمر : ما وراءك يا عبد الله ؟ قال : الذي تحب قد اذنت لك عائشة . قال : الحمد لله ما كان شيء اهم إلي من ذلك ، فاذا انا قبضت فارجع الى عائشة فاستأذنها ثانياً فربما تكون استحيت مني وانا حي ، فلا تستحي مني وانا ميت . واوصاهم ان يقتصروا في كفنه ولا يتغالوا .

وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة الشريفة . ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة اربع وعشرين ، وغسله ابنه عبد الله ، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلي عليه في مسجده ، وصلى بهم عليه صهيب وكبر عليه اربعاً ، ونزله في قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد ابن زيد وعبد الرحمن بن عوف .

وكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور .

والصحيح : ان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر ابي بكر رضي الله عنه وعمر وعلي وعائشة ثلاث وستون سنة .

وكان عمر رضى الله عنه طويلا اصلع ابيض تعلوه حمرة ، وقيل : كان آدم شديد الادمة كث اللحية . وعليه اكثر اهل العلم وفضائله اشهر من ان تذكر واكثر من ان تحصر : جاهد في الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلاد ومصر الأمصار واعز الاسلام واذل الكفر واجلى اليهود والنصارى من بلاد الحجاز وفي ايامه فتح العراق والموصل ومصر والاسكندرية وغيرها ، وهو الذي اختط الكوفة ووسع في المسجد الحرام وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وهو اول من جمع الناس لصلاة التراويح ، واول من كتب التاريخ وارخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واول من عس بالليل ، واول من نهى عن بيع امهات الاولاد ، واول من جمع الناس في صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا يكبرون اربعاً وخمساً وستاً ، واول من حمل الدرة وضرب بها ودوّن الدواوين . ولو لم يكن من فضائله إلا فتح هذا البيت المقدس وتطهيره من الشرك لكفاه رضي الله عنه ونفعنا ببركته وبركات علومه في الدنيا والآخرة .

واما من دخل بيت المقدس من الصحابة رضى الله عنهم فهم خلق كثير لايحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى ، ولنذكر جماعة من اعيانهم تبركاً بذكرهم ونجعل ترتيب اسمائهم على الوفيات من غير استقصاء في ذكر تراجمهم فأقول وبالله التوفيق :

ابو عبيدة بن الجراح ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري احد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وتقدم ذكره عند ابتداء ذكر الفتح . توفي في طاعون عمواس سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة ، وقبره في قرية يقال لها عثما تحت جبل عجلون بين فقارس والعادلية بزاوية دير علا من الغور الغربي ، ووفاته في خلافة عمر وله ثمان وخمسون سنة .

معاذ بن جبل الانصاري رضى الله عنه استخلفه ابو عبيدة على الناس عند موته . فمات ايضاً بالطاعون بناحية الاردن في سنة ثمان عشرة وله ثمان وثلاثون

سنة . وقيل : ثلاث وثلاثون سنة · وقبره بالقصر الذي من الغور ·

ومات من العسكر في هذا الطاعون خمسة وعشرون الف نفس ، وطال مكثه شهراً وطمع العدو في المسلمين ·

بلال بن رباح مولى ابي بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله ﷺ شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يؤذن بعد رسول الله (ص) سوى مرة واحدة لما امره عمر بالأذان بعد الفتح - كما تقدم - . توفي بدمشق في سنة تسعة عشر من الهجرة ، ودفن عند الباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة · وقيل : مات بحلب سنة عشرين · وقيل : ثمانية عشر . والله أعلم ·

عياض بن غنم رضي الله عنه ابن عم ابي عبيدة دخل بيت المقدس وبنى فيها حماماً ، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم · توفي في سنة عشرين من الهجرة ·

خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله المسلول توفي سنة احدى وعشرين من الهجرة الشريفة · واختلف في موضع قبره فقيل : بحمص . وقيل · بالمدينة ·

ابو ذر الغفاري ، واسمه : جندب بن جنادة دخل بيت المقدس · وكانت وفاته بالربذة في سنة اثنين وثلاثين والله اعلم ·

ابو الدرداء عويمر رضي الله عنه ، توفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين · وقيل : احدى وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه ·

عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه ، وجهه عمر الى الشام قاضياً ومعلماً · وأقام بحمص ، ثم انتقل الى فلسطين وهو اول ولي قضاها · سكن بيت المقدس ومات بفلسطين ودفن ببيت المقدس · وقيل بالرملة · والأول اشهر · وكانت وفاته في سنة اربع وثلاثين للهجرة ، والآن قبره لا يعرف ببيت المقدس ولا بالرملة واندرس لاستيلاء الافرنج على تلك الناحية ·

سلمان الفارسي ، توفي في سنة ست وثلاثين من الهجرة ودفن بالمدائن عن مائتين وخمسين سنة ، ويقال اكثر . ذكره النووي في التهذيب ، والكرماني

وابن الجوزي في صفوة الصفوة . قال أهل العلم بالسير : كان سلمان من المعمرين أدرك وصي عيسى بن مريم · ورد بعض العلماء هذا القول وقال : انه لم يبلغ المائة · والله أعلم ·

ابو مسعود الانصاري : عقبة بن عمرو البدري ، سكن بدراً ولم يشهدها على الراجح · توفي في سنة تسع وثلاثين من الهجرة · وقيل : سنة اربعين ·

تميم الداري بن اوس رضي الله عنه ، وفدهو واخوه نعيم على رسول الله ﷺ سنة تسع واسلما · وصحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه · ولم يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد قتل عثمان ، وكان اميراً على بيت المقدس ، وهو الذي اقطعه النبي صلى الله عليه وسلم ارض حبرون · وسنذكر نسخة الاقطاع فيما بعد عند ذكر بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام إن شاء الله تعالى · توفي سنة اربعين من الهجرة الشريفة ·

عمرو بن العاص السهمي توفي سنة ثلاث واربعين من الهجرة في خلافة معاوية ·

عبد الله بن سلام : ابو الحارث الامام الحبر الاسرائيلي المشهود له بالجنة قدم بيت المقدس ، من خواص الصحابة · كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ بعبد الله · شهد فتح بيت المقدس ، توفي سنة ثلاث واربعين من الهجرة ·

سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قدم بيت المقدس زمن الفتح توفي سنة احدى وخمسين من الهجرة بالعقيق ، وقيل : بالكوفة · وله بضع وسبعون سنة ·

ابو اسحاق سعد بن ابي وقاص ، واسمه مالك بن وهب رضي الله عنه. قدم بيت المقدس واحرم منه بعمرة ، احد العشرة المشهود لهم بالجنة · مات في قصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة ، فحمل الى المدينة وصلت عليه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجرهن ، ودفن بالبقيع في سنة خمس - وقيل ست - وخمسين من الهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة ·

مرّة بن كعب الفهري رضي الله عنـه ، نزل بالشام · وتوفي سنة سبـع وخمسين من الهجرة بالاردن ·

شداد بن اوس ابن اخي حسان بن ثابت ، نزل بالشام ناحية فلسطين· وكان ممن اوتي العلم والحلم والحكمة ·

يروى انه لما دنت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قام ثم جلس ، ثم قام ثم جلس · فقال رسول الله (ص) : يا شداد ما سبب قلقك ؟ فقال : يا رسول الله ضاقت بي الأرض · فقال : ألا ان الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح ان شاء الله تعالى وتكون انت وولدك من بعدك أئمة بها ان شاء الله· فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم · وكان ذا عبادة واجتهاد · توفي سنة ثمان وخمسين من الهجرة وله خمس وسبعون سنة · وقيل : مات سنة احدى واربعين · وقبره ظاهر ببيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى ، رضي الله عنه ·

ابو هريرة رضي الله عنه ، واسمه عبد الرحمن بن صخر · قدم بيت المقدس وشهد فتحه · مات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنـة تسع وخمسين من الهجرة · وهو ممن لازم خدمة النبي (ص) ، وروى عنـه الكثير · وليس هو المدفون بقرية يبنى التي هي من اعمال مدينة غزة وانما بها بعض ولده ·

معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين ، قدم بيت المقدس وقدم عليه عمرو بن العاص فبايعه على طلب عثمان وكتبا كتاباً بينهما : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والاسلام ، ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ، ولا يتخذ من دونه وليجة ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابداً ما حيينا فيما استطعنا · توفي بدمشق في النصف من رجب في سنة ستين من الهجرة وله ثمان وسبعون سنة · وقيل : ست وثمانون سنة · وقيل غير ذلك · وصلى عليه الضحاك ودفن بمقبرة دمشق ·

عبد الله بن عمرو بن العاص ، اسلم قبل ابيه ولم يكن أصغر من ابيه إلا باثنتي عشرة سنة . وكان يقرأ القرآن والتوراة ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً . توفي في سنة خمس وستين من الهجرة .

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مولده قبل الهجرة بثلاث سنين . ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . فكان كذلك . وكان يسمى الحبر لكثرة علومه ، واهل من بيت المقدس في الشتاء . توفي سنة ثمان وستين من الهجرة بالطائف بقرية تدعى السلامة ، وقبره ظاهر معروف بها عليه قبة مبنية وحولها مسجد جامع .

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، قدم بيت المقدس واهل منه بعمرة . توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة بعد قتل ابن الزبير بثلاثة اشهر ، وله سبع وثمانون سنة .

عوف بن مالك بن عوف الأشجعي : ابو محمد ، شهد فتح بيت المقدس ونزل بحمص ، وهو صحابي جليل . توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وان لا يسأل الناس شيئاً .

ابو جمعة الانصاري ، واسمه جندب بن سباع . وقيل : جنيد بن سباع . وقيل : ابن وهب . وقيل : ابن فديك . قدم بيت المقدس ليصلي فيه ، يعد من الشاميين . مات بالشام اول المحرم سنة سبع وسبعين من الهجرة .

واثلة بن الاسقع الهوازني ، اسلم والنبي ﷺ متوجه الى تبوك . ويقال : انه خدمه ثلاث سنين . وهو من اهل الصفة ، سكن البصرة ثم الشام ، وشهد المغازي بدمشق وحمص ، ثم تحول الى بيت المقدس ومات به وهو ابن مائة سنة . وقيل : مات بدمشق في آخر خلافة عبد الملك بن مروان سنة خمس - او ست - وثمانين من الهجرة رضى الله عنه .

ابو أمامة صدى بن عجلان الباهلي ، سكن بيت المقدس ودمشق الشام وكان آخر من اتى الشام من الصحابة رضي الله عنه ، شهد حجة الوداع وهو ابن ثلاثين سنة . توفي سنة ثمان ـ وقيل : ست ـ وثمانين من الهجرة .

محمود بن الربيع ابو نعيم ، وقيل : ابو محمد . في الصحيح من حديث الزهري عن محمود بن الربيع كان يزعم أنه ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين ، وزعم انه عقل مجة مجها رسول الله (ص) في وجهه . نزل بيت المقدس واهلّ منه بحج وعمرة ، وهو ختن عبادة بن الصامت . مات سنة تسع وتسعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب كان اميراً بالشام على جند من الأجناد ولما مات أمر عمر مكانه أخاه معاوية بن ابي سفيان .

ابو ريحانة واسمه شمعون ـ بشين معجمة وقيل بالمهملة ـ شمعون القرظي من بني قريظة ، ويقال : من بني النضير . ويقال له مولى رسول الله ﷺ ، كانت ابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسكن ابو ريحانة بيت المقدس وكان يعظ في المسجد الأقصى .

الشريد بن سويد ، قدم بيت المقدس لأنه كان قد نذر ان يصلي فيه ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه في ذلك فأذن له .

ابن ابي الجدعا ، وهو عبد الله بن ابي الجدعا التميمي ، ويقال له الكناني ويقال له العبدي .

فيروز الديلمي ابو عبد الله ، ويقال ابو عبد الرحمن ، ويقال ابو الضحاك ، ويقال الحميري لنزوله بحمير . وهو من ابناء فارس من فرس صنعاء . وفيروز من الذين بعثهم كسرى الى اليمن فنفوا الحبشة منها وغلبوا عليها . سكن بيت المقدس ويقال انه مات بها وقبره به ، مات في خلافة عثمان .

ذو الأصابع التميمي ، ويقال الخزاعي ، ويقال الجهني . سكن بيت المقدس وهو من اهل اليمن من المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس .

ابو محمد النجاري ـ بالجيم ـ الانصاري البدري . قال صاحب (مثير الغرام) : أظنه مسعود بن اويس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجاري. كذا نسبه الواقدي وغيره ، وهو الذي زعم ان الوتر واجب فقال عبادة بن الصامت: كذب ابو محمد . قيل : توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقيل : شهد صفين مع علي .

سلام بن قيصر ، وقيل : سلامة . له صحبة ، وكان والياً لمعاوية على بيت المقدس وله عقب به . وانكر بعضهم صحبته والله أعلم .

ابو أُبي بن ام حرام ، ويقال ابي ، ويقال عبد الله بن ابي ، وقيل عبدالله ابن كعب ، وقيل عبد الله بن عمرو بن شمعون بن خليفة بن قيس . وامه ام حرام بنت ملحان اخت ام سليم . اسلم قديماً ويعد في الشاميين ، سكن بيت المقدس وكان ربيب عبادة بن الصامت وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس .

وقال الحافظ ابو بكر الخطيب فيمن ذكر : انه كان ببيت المقدس من الصحابة والتابعين ، ومات به عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وابو ابي بن ام حرام وابو ريحانة وسلامة بن قيصر وفيروز الديلمي وذو الأصابع وابو محمد النجاري . هؤلاء من اهل بيت المقدس ماتوا به واعقب منهم عبادة بن الصامت وشداد وسلامة وفيروز وهؤلاء الذين اعقبوا واولادهم ببيت المقدس وقبورهم به ولم يعقب ابو ريحانة ولا ذو الأصابع ولا ابو محمد النجاري والله أعلم .

عصيف بن الحارث ، وهو الصواب في اسمه . قدم بيت المقدس هو واهله فصلى فيه وجماعة من الصحابة .

صفية بنت حي ام المؤمنين رضي الله عنها ، قدمت بيت المقدس فصلت فيه وصعدت على طور زيتا فصلت ، وقامت على طرف الجبل فقالت : من هاهنا يتفرق

الناس يوم القيامة الى الجنة والى النار . توفيت في سنة خمسين ، وقيل : اثنتين وخمسين وقيل : ست وثلاثين . ودفنت بالبقيع رضي الله عنها .

وحكى صاحب (مثير الغرام) ان حبراً من احبار بيت المقدس قدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، فلما كان صبيحة الخميس اذا نحن بشيخ ابيض الرأس واللحية متلثم بعمامة على قعود له نجاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد فنادى : السلام عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد رسول الله ؟ فقال علي : ما تريد ؟ فقال : أنا حبر من احبار بيت المقدس قرأت التوراة ثمانين سنة وتدبرتها اربعين سنة صفاحاً فوجدت فيها ذكر محمد وانه ليس بكاذب ولا قوال للكذب وقد جئت اطلب الاسلام على يديه . فذكر أثراً طويلاً مع علي رضي الله عنه .

﴿ ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف ﴾

روى صاحب (مثير الغرام) عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) : ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع الناس ببلاء أشد منه حتى تضيق عليهم الأرض بما رحبت وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً ، ثم ان الله يبعث رجلا يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الارض من بذرها شيئاً إلا اخرجته ، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبه الله عليهم مدراراً ، يعيش فيهم سبع سنين او ثماني سنين أو تسعاً يتمنى الأحياء الأموات بما صنع الله بأهل الأرض من الخير .

ورواه ابو القاسم البغوي بنحوه ، وفيه : وينزل بيت المقدس .

وروي عن علي قال : المهدي يولد بالمدينة من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ، ويهاجر بيت المقدس .

وعن محمد بن الحنفية قال : تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان اخرى سوداء وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له : شعيب بن صالح مولى بني تميم يهزمون اصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس ، يوطىء للمهدي سلطانه ويفد اليه ثلثمائة من الشام ، يكون بين خروجه وبين ان يسلم اليه الأمر ثلاثة وسبعون شهراً .

وعن شريح بن عبيد عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا : يخرج شعيب بن صالح مولى بني تميم مختفياً الى بيت المقدس يوطىء للمهدي منزله اذا بلغه خروجه الى الشام .

وعن محمد بن علي قال : اذا سمع العابد الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر الفاً فيهم الابدال حتى ينزلوا بايليا - يعني بيت المقدس - الأثر .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم خليفتين خليفة بيت المقدس يقتل الذي هو دونه . يعني بالخليفة الذي ببيت المقدس المهدي والذي دونه السفياني .

وعن سليمان بن عيسى قال : بلغني انه على يد المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه في بيت المقدس ، فاذا نظرت اليه اليهود أسلموا إلا قليلا منهم . ثم يموت المهدي .

واما ما روي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحاً ولا الدنيا إلا ادباراً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم . فقال الحافظ ابو محمد : انه حديث واهٍ جداً لا يعارض ما تقدم .

وعن هشام بن عمار قال : سمعت ان رجلا انتقل الى بيت المقدس فقيل له : ما نقلك اليها ؟ قال : بلغني انه لا يزال في بيت المقدس رجل يعمل عمل آل داود . والله أعلم .

﴿ ذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة ﴾ والمسجد الأقصى الشريف وما وقع فى ذلك

لما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، وشرط ان يكون ابنه عبدالله شريكاً في الرأي ولا يكون له حظ في الخلافة ٠

بويع بعده بالخلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله واستقر فيها لثلاث مضت من المحرم سنة اربع وعشرين من الهجرة . واستمر الى ان استشهد في يوم الاربعاء لثاني عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ٠ وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً . وفضائله ومناقبه مشهورة .

ثم استقر بعده في الخلافة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبويع له بالخلافة في يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ٠ ووقع بينه وبين معاوية بن ابي سفيان ما هو مشهور مما ليس في ذكره فائدة ، والسكوت عنه اولى ٠ واستمر الى ان استشهد بالكوفة ٠

وكانت وفاته ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة اربعين من الهجرة . وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر ٠

ثم استقر بعده في الخلافة ولده الحسن رضى الله عنه ، بويع له يوم وفاة والده . واستمر في الخلافة نحو ستة اشهر ،وهي تمام ثلاثين سنة لوفاة رسول الله (ص) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً عضوضاً ٠

وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة وسلم الأمر لمعاوية ٠ فاستقر في الخلافة في شهر ربيع الأول سنة احدى واربعين من الهجرة الشريفة ٠

واستمر في الخلافة نحو عشرين سنة الى ان توفي بدمشق في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة . وكان يلقب بالناصر لحق الله تعالى ٠

فلما توفي استقر بعده في الخلافة ولده يزيد ، ولقب نفسه بالمنتصر على اهل الزيغ . وكان قد بويع له بالخلافة قبل وفاة ابيه ، ثم جددت له البيعة بعد وفاته ٠ فأساء السيرة ، وجار على الرعية ، وتجاهر بالمعاصي ٠

فلما اشتهر جوره ، وكثر ظلمه ، وقتل آل الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع اهل المدينة على اخراج عامله عثمان بن محمد بن ابي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني امية وذلك باشارة عبد الله بن الزبير ٠

فلما بلغ ذلك يزيد بن معاوية سير الجيوش الى اهل المدينة وجهز عليهم مسلم ابن عقبة المزني . فانتهب المدينة الشريفة وقتل اهلها ٠ ثم قصد مكة فمات قبل وصوله اليها ، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير ٠

فأتى مكة وحاصر ابن الزبير اربعين يوماً ونصب المناجيق وهدم الكعبة الشريفة واحرقها ٠ وكان ذلك قبل موت يزيد بأحد عشر يوماً ٠

فأهلك الله يزيد ومات ، وكان موته بحوارين من عمل حمص لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة اربع وستين من الهجرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ٠ وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر ٠

وكانت سيرته اقبح السير ولو لم يكن منها إلا قتل الحسين في ايامه وما وقع منه في حق ذرية النبي صلى الله عليه وسلم لكفاه ذلك في قبح السيرة ٠

واستقر بعده في الخلافة بدمشق ولده معاوية بن يزيد بن معاوية ، ولقب بالراجع الى الله ٠ وكان صالحاً فلم يمتن بالخلافة ولا باشرها ، واقام ثلاثة اشهر وقيل دون ذلك . وتوفي رحمه الله ٠

وكان الناس حين موت يزيد بايعوا عبد الله بن الزبير بمكة وتلقب خادم بيت الله ٠

وكان مروان بن الحكم بالمدينة ، فقصد المسير الى عبد الله بن الزبير ومبايعته ، ثم توجه مع من توجه من بني امية الى الشام .

وبايع اهل البصرة ابن الزبير ، واجتمع له الحجاز والعراق واليمن ، وبعث الى مصر فبايعه اهلها ، وبايع له في الشام ثم الضحاك بن قيس ، وبايع له بحمص النعمان بن بشر الانصاري ، وبايع له بقنسرين بشر بن دفر بن الحارث الكلابي وكاد يتم له الأمر بالكلية .

وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة شرفها الله تعالى ، وكان ذلك في سنة اربع وستين من الهجرة الشريفة ، وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المنجنيق . فهدمها وحفر اساسها وشهد عنده سبعون من شيوخ قريش ، وذلك ان قريشاً حين بنوا الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة بناء البيت سبعة أذرع من اساس ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي اسسه هو واسماعيل عليه السلام . فبناه عبد الله بن الزبير وزاد فيه السبعة اذرع وادخل الحجر في الكعبة واعادها على ما كانت عليه اولا وجعل لها بابين باب يدخل منه وباب يخرج منه .

فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج ابن الزبير – كما سنذكره ان شاء الله تعالى – .

فلما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بالشام بويع بالخلافة لمروان بن الحكم ولقب بالمؤتمن بالله . وافترق الناس فرقتين : فرقة تهوى بني امية ، وفرقة تهوى ابن الزبير . ووقع بينهم خلاف وجرى بينهم وقائع وحروب .

ثم استقر أمر الشام لمروان ودخلت مصر تحت طاعته ، ثم امر الناس بالبيعة لولده عبد الملك ومن بعده لأخيه عبد العزيز . فما كان بأسرع من ان انقضت مدة مروان فمات بالطاعون بدمشق فجأة لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين من الهجرة . وكانت مدة ولايته تسعة اشهر وثمانية عشر يوماً ، وعمره ثلاث وستون سنة .

فلما مات بويع لولده عبد الملك بالخلافة في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين ، ولقب بالموفق لأمر الله ، وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام واول من ضرب الدراهم والدنانير في الاسلام . وكان النقش على الجانب الواحد الله احد ، وعلى الآخر الله الصمد . وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية .

ولما ولي الخلافة وعد الناس - يوم بويع - بخير ودعاهم الى إحياء الكتاب والسنة واقامة العدل .

فلما دخلت سنة ست وستين ابتدأ ببناء قبة الصخرة الشريفة وعمارة المسجد الأقصى الشريف ، وذلك لأنه منع الناس عن الحج لئلا يميلوا مع ابن الزبير فضجوا . فقصد ان يشغل الناس بعمارة هذا المسجد عن الحج . فكان ابن الزبير يشنع على عبد الملك بذلك .

وكان من خبر البناء : ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب في جميع عمله والى سائر الامصار ان عبد الملك قد أراد ان يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد وان يبني المسجد وكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه .

فوردت الكتب عليه من سائر عمال الأمصار : نرى رأي امير المؤمنين موافقاً رشيداً إن شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه .

فجمع الصناع لعمله ، وارصد للعمارة مالا كثيراً يقال : انه خراج مصر سبع سنين . ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد ان أمر ببنائها وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلا وشحنها بالأموال ، ووكل على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج اليه أبا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندي وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وضم

اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان من اهل بيت المقدس وولديه .

ويقال : ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها ، وامر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيام بأمرها وان يفرغا المال عليها افراغا دون ان ينفقاه انفاقا .

واخذوا في البناء والعمارة عند القبة من شرقي المسجد الى غربيه حتى اكملوا العمل وفرغ البناء ولم يبق للمتكلم فيه كلام . وكان البناء الذي هو في صدر المسجد الى غربيه من السور الذي عند مهد عيسى الى المكان المعروف الآن بجامع المغاربة .

فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق : قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ولم يبق لمتكلم فيه كلام وقد بقي مما امر به امير المؤمنين من النفقة عليه ـ بعد ان فرغ البناء وأحكم ـ مائة الف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما احب .

فكتب اليهما أمير المؤمنين : قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك .

فكتبا اليه : نحن اولى ان نزيده من حلي نسائنا فضلا عن اموالنا فاصرفها في أحب الأشياء اليك .

فكتب اليهما بأن تسبك وتفرغ على القبة . فسبكت وافرغت عليها . فما كان احد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب . وهيأ لها جلالا من لبود وأدم توضع من فوقها ، فاذا كان الشتاء ألبستها لتكنها من الأمطار والرياح والثلوج .

ثم بعد انتقال الخلافة الى المنتقم لله الوليد بن عبدالملك انهدم شرقي المسجد ولم يكن في بيت المال حاصل ، فأمر بضرب ذلك وانفاقه على ما انهدم منه .

وكانت ولاية الوليد في شوال سنة ست وثمانين ، ومات في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة .

وكان رجاء بن حياة ويزيد بن سلام قد حفا الصخرة بدرابزين ساسم ومن خلف الدرابزين ستور الديباج مرخاة بين العمد ، وكان كل يوم اثنين وخميس يأمران بالزعفران فيدق او يطحن ثم يعمل من الليل بالمسك والعبر والماورد الجوري ويخمر بالليل ، ثم يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان يغتسلون ويتطهرون ثم يأتون الى الخزانة التي فيها الخلوق فيلقون اثوابهم عنهم ثم يخرجون اثواباً جدداً من الخزانة مروية وهروية وشيئاً يقال له العصب ومناطق محلاة يشدون بها اوساطهم ، ثم يأخذون الخلوق ويأتون به الى الصخرة فيلطخون ما قدروا أن تناله ايديهم حتى يغمروه كله ، وما لا تناله ايديهم غسلوا اقدامهم ، ثم يصعدون على الصخرة حتى يلطخوا ما بقي منها وتفرغ آنية الخلوق ، ثم يأتون بمجامر الذهب والفضة والعود القماري والند مطري بالمسك والعنبر فترخى الستور حول الأعمدة كلها ، ثم يأخذون البخور ويدورون حولها حتى يحول البخور بينهم وبين القبة من كثرته ، ثم تشمر الستور فيخرج البخور ويفوح من كثرته حتى يبلغ الى رأس السوق فيشم الريح من يمر من هناك وينقطع البخور من عندهم . ثم ينادى مناد في صف البزازين وغيرهم : ألا ان الصخرة قد فتحت للناس فمن اراد الصلاة فيها فليأت . فتقبل الناس مبادرين الى الصلاة في الصخرة ، فأكثر الناس من يدرك أن يصلي ركعتين وأقلهم اربعاً فمن شم رائحته قال : هذا ممن دخل الصخرة ، ثم تغسل آثار اقدامهم بالماء ، وتمسح بالآس الاخضر ، وتنشف بالمناديل وتغلق الابواب ، وعلى كل باب عشرة من الحجبة ، ولا تفتح إلا يوم الاثنين ويوم الخميس ، ولا يدخلها في غيرهما إلا الخدم .

وعن ابي بكر بن الحارث رضي الله عنه قال : كنت اسرجها في خلافة عبد الملك كلها بالبان المديني والزنبق الرصاصي قال : وكانت الحجبة يقولون له : يا ابا بكر مر لنا بقنديل ندهن به ونتطيب به فكان يجيبهم الى ذلك ، وكان يفعل بها ذلك في ايام خلافة عبد الملك بن مروان كلها .

قال الوليد وحدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال : حدثني ابي عن ابيه عن جده قال : كان في السلسلة التي في وسط القبة على الصخرة درة ثمينة وقرنا كبش ابراهيم وتاج كسرى معلقات في ايام عبدالملك بن مروان ، فلما صارت الخلافة الى بني هاشم حولوها الى الكعبة حرسها الله تعالى ٠

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجدالأقصى في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة وهي السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير ٠

وكان من خبره : ان عبد الملك بن مروان لما صفا له الوقت وثبت امره في الخلافة بعث الحجاج بن يوسف الثقفي الى حرب عبدالله بن الزبير بمكة ، فأتى الحجاج الطائف فأقام بها شهراً ، ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير في هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ودام الحصار حتى غلت الأسعار واصاب الناس مجاعة وزاد الحجاج في الحصار والقتال ورمى الكعبة بالمنجنيق ، فلما رمى به ارعدت السماء وابرقت ، وجاءت صاعقة تتبعها اخرى ، فقتلت من اصحاب الحجاج اثنى عشر رجلا ٠

واشتد القتال وخرج ابن الزبير فقاتل قتالا شديداً ، وتكاثرت اهل الشام الوفاً من كل جانب فشدخوه بالحجارة فانصرع ، فأكب عليه موليان له فقتلوا جميعاً وتفرق اصحابه ، وامر به الحجاج فصلب ٠ وكان ذلك في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة بعد قتال سبعة اشهر ٠

وكان له من العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة . وهو اول من ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، لأنه بويع له سنة اربع وستين ٠

وكان سلطانه بالحجاز والعراق وخراسان واعمال الشرق . وكان كثير العبادة مكث اربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره ، وكانت خلافته تسع سنين ، وكان رضي الله عنه له جمة مفروقة طويلة ٠

ولما صلب علق الحجاج الى جانبه كلباً ميتاً ومنع والدته من دفنه وكان لها من العمر مائة سنة ، وهي اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها ، وكانت تدعى بذات النطاقين . ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بصلبه . فكتب اليه يلومه ويقول : هلا خليت بينه وبين امه . فأذن لها فدفنته ، وماتت بعده بقليل .

وبعث الحجاج الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في الكعبة . فأمر عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجعل له باباً واحداً . ففعل الحجاج ذلك ، وهو البناء الموجود في عصرنا .

وقد تقدم ذكر ما وقع من البناء والهدم في الكعبة . وخلاصة الأمر : ان سيدنا ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة وهي بيت الله الحرام ـ كما تقدم عند ذكره ـ بعد مضي مائة سنة من عمره . واستمر بناؤه نحو الفي سنة وسبعمائة وخمس وسبعين سنة الى ان هدمته قريش في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه ـ كما تقدم ـ وهو البناء الثاني ، واستمر نحو اثنتين وثمانين سنة .

ثم هدمه الحصين واحرقه في ايام يزيد بن معاوية ـ كما تقدم ـ وذلك في سنة اربع وستين من الهجرة .

ثم بناه عبد الله بن الزبير على قواعد ابراهيم . وهو البناء الثالث ، واستمر نحو تسع سنين . ثم هدمه الحجاج وقتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

ثم بناه الحجاج واخرج الحجر من البيت وجعله على ما كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو البناء الرابع وكان في سنة اربع وسبعين من الهجرة . واستمر على ما هو عليه الى هذا التاريخ ، وهو آخر سنة تسعمائة .

وكانت الكعبة تكسى القباطى ، ثم كسيت البرود . واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

وأما ذرع جدران الكعبة الشريفة : فطول جدارها الشرقي من أعلا

الشاخص الى ارض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعاً وثلث ذراع بذراع الحديد وكذلك جدرانها الثلاث سوى الشامي فانه ينقص عن الشرقي ربع ذراع ، والجدار الغربي ينقص عن الجدار الشرقي ثمن ذراع ، والجدار اليماني كالشرقي سواء بسواء . ذكر ذلك الفارسي في تاريخه المختصر ، وذكر هو وغيره من المؤرخين عرض البيت الشريف من كل جهة وحرروا ذلك . وليس هذا محل ذكره خشية الاطالة .

واما اخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته : فأول من وسعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدور اشتراها ودور هدمها على من ابى البيع وترك ثمنها لأربابها في خزانة الكعبة وذلك في سنة خمس عشرة من الهجرة . وكذلك فعل عثمان في سنة ست وعشرين من الهجرة .

ثم وسع عبد الله بن الزبير من جانبه الشرقي والشامي واليماني .

ثم وسع المنصور العباسي من جانبه الشمالي والغربي ، وكان ما زاده مثل ما كان من قبل . وابتدأ في العمل فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة ، وفرغ في ذي الحجة سنة اربعين ومائة .

ثم ان الخليفة المهدي ـ هو ابو عبدالله محمد بن ابي جعفر المنصور العباسي ـ حج في سنة ستين ومائة وجرد الكعبة وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من اعلاها الى اسفلها ، ووسع المسجد من جانبيه اليماني والغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم خلا الزيادتين فانهما احدثا بعده . وكانت الكعبة الشريفة في جانب المسجد ولم تكن متوسطة ، فهدم حيطان المسجد واشترى الدور والمنازل واحضر المهندسين وصير الكعبة في الوسط . وكانت توسعته في نوبتين الأولى في سنة احدى وستين ، والثانية في سنة سبع وستين ومائة وهي السنة التي عمر فيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس لأحد من الامراء في عمارة المسجد الحرام من النفقة مثل ما للمهدي رحمه الله .

وممن عمره من غير توسعة : عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج . وعمره ابنه الوليد وسقفه بالساج المزخرف وازره من داخله بالرخام . وزيد فيه بعد المهدي زيادة دار الندوة بالجانب الشامي ، والزيادات المعروفة بزيادة باب ابراهيم بالجانب الغربي .

وكان انشاء زيادة دار الندوة في زمن المعتضد العباسي ، وابتداء الكتابة اليه فيها في سنة احدى وثمانين ومائتين . وكان عمل الزيادة التي بباب ابراهيم في سنة ست وسبعين وثلاثمائة . ووقع في المسجد الحرام بعد ذلك عمارات كثيرة .

واما ذرع المسجد الحرام غير الزيادتين : فذكره بعض المؤرخين باعتبار ذراع اليد ، وحرره بعضهم بذراع العمل الحديد . فكان طوله من جداره الغربي الى جداره الشرقي المقابل له ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعاً وثمن ذراع بالذراع الحديد ، فيكون ذلك بذراع اليد اربعمائة وسبعة اذرع وذلك من وسط جداره الغربي الذي هو جدار رباط الجوزي الى وسط جداره الشرقي عند باب الجنائز ثم يمر به في الحجر ملاصقاً جدار الكعبة الشامي وكان عرضه من جداره الشامي الى جداره اليماني مائتي ذراع وستاً وستين ذراعاً بذراع الحديد ، فيكون بذراع اليد ثلثمائة ذراع واربعة اذرع وذلك من وسط جداره القديم عند العقود الى وسط جداره اليماني الذى فيما بين باب الصفا وباب اجياد يمر به فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وهو الى المقام اقرب .

واما ذرع زيادة دار الندوة : فهو اربعة وسبعون ذراعاً إلا ربع ذراع بالحديد وذلك من جدار المسجد الحرام الكبير الى الجدار المقابل له الشامي منها وعنده باب مناوتها ، هذا ذرعها طولا واما عرضاً : فسبعون ذراعاً ونصف ذراع وذلك من وسط جدارها الشرقي الى وسط جدارها الغربي .

واما زيادة باب ابراهيم : فذرعها طولا تسع وخمسون ذراعاً إلا سدس ذراع وذلك من الاساطين التي هي في موازاة المسجد الكبير الى العتبة التي هي في باب

هذه الزيادة . واما ذرعها عرضاً : فاثنان وخمسون ذراعاً وربع ذراع وذلك من صدر باب الجوزي الى جدار رباط رامشت .

واما عدد ابواب المسجد الحرام : فتسعة عشر باباً تفتح على ثمان وثلاثين طاقة ، فمنها في الجانب الشرقي : باب بني شيبة بثلاث طاقات ، وباب السلام ، وباب الجنائز طاقتان ، وباب العباس ثلاث طاقات ، وباب علي ثلاث طاقات . وفي الجانب اليماني : باب بازان ، وباب البغلة ، وباب الصفا ، وباب اجياد الصغير وباب المجاهدين ، وباب مدرسة الشريف عجلان ، وباب ام هاني . وكل من ابواب هذا الجانب طاقتان إلا باب الصفا فخمسة . وفي الجانب الغربي : باب غرورة وهو تصحيف الحزوزة وهو طاقتان ، وباب ابراهيم نسبة لابراهيم الخياط كان عندهم وبعضهم نسبه لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو بعيد ، وهو طاقة واحدة ، وباب العمرة طاقة واحدة . وفي الجانب الشمالي : باب السدة ، وباب دار العجلة وباب الزيادة واحدة ، وباب السكينة وكل منها طاقتان إلا باب الزيادة فهو طاقة .

وعدة ما فيه من المنائر : خمس منارات ، وزيدت منارة سادسة لمدرسة السلطان الملك الأشرف قايتباي نصره الله تعالى .

ومما وقع في الكعبة الشريفة في سنة سبع عشرة وثلثمائة في ايام المهدي بالله عبيدالله اول خلفاء الفاطميين ، وكان خليفة بغداد في ذلك العصر المقتدر بالله ابو الفضل جعفر العباسي ، أن ابا طاهر سليمان القرمطي صاحب البحرين قصد مكة ودخلها يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة ، فنهب اموال الحجاج وقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة ، ودفن القتلى في بئر زمزم وفي المسجد الحرام ، وامر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين اصحابه ، وهدم قبة زمزم وامر بقلع الحجر الأسود واخذه الى هجر . واستمر ببلادهم ثنتين وعشرين سنة ، ولم يرد الى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

ولما صنف الامام ابو القاسم عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي كتاب الخلاصة

في فقه مذهب الامام أحمد رضي الله عنه قال في كتاب الحج ـ في باب ذكر الحج ودخول مكة ـ : واذا دخل المسجد الحرام فالمستحب ان يدخل من باب بني شيبة فاذا رأى البيت رفع يديه وكبر الله تعالى ، ثم اتى الحجر الأسود ان كان .

وانما قال ذلك لأن تصنيفه الكتاب كان حال كون الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين اخذوه من مكانه ، ولم يردوه إلا بعد وفاة ابي القاسم الخرقي في التاريخ المتقدم ذكره ، فان ابا القاسم رحمه الله توفي بدمشق المحروسة في سنة اربع وثلاثين وثلثمائة قبل اعادة الحجر الى مكانه بخمسين سنة .

ذكر صفة المسجد الأقصى وما كان عليه في زمن عبد الملك وبعده

روى الحافظ بهاء الدين بن عساكر : انه كان فيه في ذلك الوقت من الخشب المسقف سوى اعمدة خشب ستة آلاف خشبة ، وفيه من الابواب خمسون باباً .

قال القرطبي : منها باب داود ، وباب سليمان ، وباب حطة ، وباب محمد عليه الصلاة والسلام ، وباب التوبة الذي تاب الله عز وجل على داود فيه ، وباب الرحمة ، وابواب الأسباط ستة ابواب ، وباب الوليد ، وباب الهاشمي ، وباب الخضر وباب السكينة . وكان فيه من العمد ستمائة عمود من رخام . وفيه من المحاريب سبعة ومن السلاسل للقناديل اربعمائة سلسلة إلا خمسة عشر منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى والباقي في قبة الصخرة الشريفة ، وذرع السلاسل اربعة آلاف ذراع ووزنها ثلاثة واربعون الف رطل بالشامي . وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل ، وكان يسرج مع القناديل الفا شمعة في ليلة الجمعة وفي ليلة النصف من رجب وشعبان ورمضان وفي ليلتي العيدين . وفيه من القباب خمسة عشر قبة سوى قبة الصخرة . وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة ، ووزن الشقفة سبعون رطلا بالشامي غير الذي على قبة الصخرة .

وكل ذلك عمل في ايام عبد الملك بن مروان ، ورتب له من الخدم القوام

ثلثمائة خادم اشتريت له من خمس بيت المال كلما مات منهم واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من اهلهم ، يجري عليهم ذلك ابداً ما تناسلوا .

وفيه من الصهاريج اربعة وعشرون صهريجاً كباراً . وفيه من المنابر اربعة ثلاثة منها صف واحد غربي المسجد وواحدة على باب الأسباط .

وكان له من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال ، وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس اوساخ المسجد الناشيء في المواسم والشتاء والصيف ولكنس المطاهر التي حول الجامع . وله من الخدم النصارى عشرة اهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر ولكنس حصر المسجد وكنس القناة التي يجري فيه الماء الى الصهاريج وكنس الصهاريج ايضاً وغير ذلك .

وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج القناديل والأقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل جارياً عليهم وعلى اولادهم ابداً ما تناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان وهلم جرا .

وتوفي عبد الملك بن مروان بدمشق في يوم الخميس لخمس عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ست وثمانين من الهجرة الشريفة وعمره ستون سنة ، وكانت خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتماع الناس له ثلاث عشرة سنة واربعة اشهر تنقص سبع ليال . وكان بالشام وما والاها قبل قتل ابن الزبير بسبع سنين ونحو تسعة اشهر .

ومات الحجاج في شهر رمضان ـ وقيل : شوال ـ سنة خمس وتسعين للهجرة وله ثلاث وخمسون سنة ، وكان موته بواسط وهو الذي بناها . واخفي قبره واجري عليه الماء .

ومات رجاء بن حياة الذي تولى بناء الصخرة والمسجد الأقصى في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان رأسه احمر ولحيته حمراء .

ولما ولي سليمان بن عبد الملك الأموي الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ست وتسعين من الهجرة أتى بيت المقدس ، واتته الوفود بالبيعة ، فلم ير وفادة كانت

أهنى، من الوفادة اليه . فكان يجلس في قبـة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة ، ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان عنـد باب الدويدارية . ويبسط البسط بين يدي قبته عليها النارق والكراسي فيجلس ويأذن للناس فيجلسون على الكراسي والوسائد والى جانبه الأموال وكتاب الدواوين . وقد هم بالاقامة ببيت المقـدس واتخذها منزلا ، وجمع الأموال والناس بها .

وكان رحمه الله تعالى يعظم العلماء . قال ابن سيرين رحمـه الله : يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير فصلى الصلوات لمواقيتها ، وختمها بخير فاستخلف عمر بن عبد العزيز وكان يلقب بالمهدي بالله الداعي الى الله ، توفي سنة تسع وتسعين من الهجرة وله خمس واربعون سنة رحمه الله .

وعن عطاء عن ابيه قال : كانت اليهود تسرج بيت المقدس ، فلما ولي عمر ابن عبد العزيز اخرجهم وجعل فيه من الخمس . فأتاه رجل من اهل الخمس وقال له : اعتقني . فقال : كيف اعتقك ولو ذهبت انظر ما كان لي شعرة من شعر جسدك .

وكانت ولاية عمر بن عبدالعزيز في صفر سنة تسع وتسعين من الهجرة ، وكان يلقب بالمعصوم بالله وخلافته سنتان وخمسة اشهر . وتوفي بدير سمعان من اعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة رضي الله عنه .

وروي عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت عن ابيه عن جده : ان الأبواب كلها كانت ملبسة بصفائح الذهب والفضة في خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قدم ابو جعفر المنصور العباسي ـ وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقعا ـ فقيل له : يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه من الرجفة في سنة ثلاثين ومائة ولو امرت ببناء هذا المسجد وعمارتـه . فقال : ما عندي شيء من المال . ثم امر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وانفقت عليه حتى فرغ .

وكانت خلافـة المنصور في سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو ثاني الخلفاء من

بني العباس ، وهو الذي بنى مدينة بغداد . وكان الابتداء في بنائها في سنة خمس واربعين ومائة . وتوفي يوم السبت لست ليال خلت من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وله خمس وستون سنة ، ودفن بمكة .

ثم كانت الرجفة الثانية فوقع البناء الذي كان امر به ابو جعفر ، ثم قدم المهدي من بعده وهو خراب ، فرفع ذلك اليه فأمر ببنائه وقال : رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه . فتم البناء في خلافته . وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدي ، بويع بالخلافة لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بين الركن والمقام .

ولما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه ابو عبد الله الأشعري كاتبه فقال له : يا ابا عبد الله سبقنا بنو امية بثلاث . فقال : وما هي يا امير المؤمنين ؟ فقال : بهذا البيت – يعني المسجد – لا اعلم على ظهر الأرض مثله وبنبل الموالي فان لهم موالي ليس لنا مثلهم ، وبعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله ابداً . ثم اتى بيت المقدس ودخل الصخرة فقال : يا ابا عبد الله وهذه رابعة .

وتوفي المهدي في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وله ثمان واربعون سنة .

قال الحافظ ابن عساكر : وطول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعاً بذراع الملك وعرضه اربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بذراع الملك . وكذا قال ابو المعالي المشرف .

قال صاحب (مثير الغرام) : أتيت الى زيارة القدس والشام ولكن رأيت قديماً بالحائط الشمالي التي فوق الباب مما يلي باب الدويدارية من داخل السور بلاطة فيها طول المسجد وعرضه . وذلك مخالف لما ذكرناه فالذي فيها ان طوله سبعمائة ذراع واربع وثمانون ذراعاً وعرضه اربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعاً ،

قال : ووصف فيها الذراع ، لكني لم اتحقق ذلك ، هل هو الذراع المذكور أم غيره لتشعث الكتابة . قال : وقد ذرع بالحبال طوله وعرضه في وقتنا هذا ، فجاء قدر طوله من الجهة الشرقية سبمائة ذراع وثلاثة وثمانين ذراعاً ، ومن الغربية ستمائة ذراع وخمسين ذراعاً ، وجاء قدر عرضه اربعمائة وثمانية وثلاثين ذراعاً خارجاً عن عرض سوره انتهى .

واما طوله وعرضه في عصرنا هذا ـ وهو اواخر سنة تسعمائة ـ فسأذكرهما مستوفياً فيما بعد عند ذكر صفة المسجد الأقصى وما هو عليه في عصرنا ، فأذكر طوله من جهة القبلة الى جهة الشمال وعرضه من جهة الشرق الى جهة الغرب ، وكذلك داخل الجامع الأقصى من عند المحراب المجاور للمنبر الى باب الدخول له وعرضه وصحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة ، واستوفي ذكر ذلك طولا وعرضاً بذراع العمل الذي تذرع به الأبنية في عصرنا ، واحرر ذلك حسب الامكان إن شاء الله تعالى .

ومما وجد في بيت المقدس على بعض الصخرات : ما نقله ابو سليمان الخطابي في كتاب « العزلة عن ذي النون » انه قال : وجدت صخرة ببيت المقدس عليها اسطر مكتتبة فحيث ترجمتها فاذا عليها مكتوب : كل عاص مستوحش ، وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل قانع غني ، وكل محب ذليل .

وعن ابي بكر الطرطوسي رحمه الله قال : كنت ليلة قائماً في المسجد الأقصى فلم يرعني إلا صوت كاد يصدع القلب وهو يقول شعر :

أخوف وأمن ان ذا لعجيب تكاتك من قلب فأنت كذوب
اما وجلال الله لو كنت صادقاً لما كان للاغماض فيك نصيب

فوالله لقد أبكى العيون وأشجى القلوب .

وقال سهل بن حاتم ـ وكان من العابدين ـ : حدثني ابو سعيد ـ رجل من الاسكندرية ـ قال : كنت أبيت في بيت المقدس وكان قليلا ما يخلو من المتهجدين

قال : فقمت ذات ليلة بعد ما مضى من الليل طويل فنظرت فلم أر في المسجد متهجداً وذكر انه سمع قائلا ينشد شعراً :

أيا عجباً للناس لذت عيونهم   مطاعم غمض بعده الموت ينتصب

قال : فسقطت على وجهي وذهب عقلي ، فلما افقت نظرت واذا لم يبق متهجد إلا قام .

وقيل : انه دخل بيت المقدس في زمن بني اسرائيل خمسمائة عذراء لباسهن الصوف يتذاكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعاً من الخوف .

وروى البيهقي عن ابن شهاب انه في صبيحة قتل الحسين بن علي رضي الله عنه لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم ، وكذلك يوم قتل والده علي رضي الله عنهما . وكان قتل الحسين رضي الله عنه بكربلاء يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة .

﴿ ذكر جماعة من أعيان التابعين ﴾

والعلماء والزهاد ممن دخلوا بيت المقدس بعد الفتح العمري وعمارة عبد الملك بن مروان

فمنهم من دخله زائراً ، ومنهم من دخله مستوطناً . وذلك قبل استيلاء الافرنج عليه . فمنهم جماعة لم اطلع على تاريخ وفاتهم وهم :

أويس بن عامر القرني من بني قرن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه أمر عمر ان يسأله ان يستغفر له . قيل : انه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت المقدس ، وقيل : انما لقيه في الموسم فقال لعمر : قد حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لو اني صليت في المسجد الأقصى فجهزه عمر واحسن جهازه . واتى المسجد الأقصى فصلى فيه ، ثم اتى الكوفة وخرج غازياً راجلا الى بغداد فأصابه البطن والتجأ الي اهل خيمة فمات عندهم ، ومعه

جراب وقضيب. فقالوا لرجلين منهم : اذهبا فاحفرا له قبراً . قالوا : فنظرنا في جرابه فاذا فيه ثوبان ليسا من ثياب اهل الدنيا ، وجاء الرجلان فقالا : اصبنا قبراً محفوراً في صخرة كأنما رفعت عنه الأيدي الساعة فكفنوه ثم دفنوه ثم التفتوا فلم يروا شيئاً. ويقال : قتل بصفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة الشريفة . ويقال : مات بدمشق ودفن بها . والله أعلم .

وعبيد عامل عمر رضى الله عنه على بيت المقدس لما وقع الطاعون في بيت المقدس كان عمر استعمله عليه ، فجعلت الجنائز تغسل وهو يصلي عليها ، وجعل لا يحمل الجنائز إلا الشباب .

وعمير بن سعد من عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حمص .

ويعلى بن شداد بن ثابت من الطبقة الثانية من تابعي اهل الشام ، حضر فتح بيت المقدس ، وكان ثقة روى عنه جماعة .

وابو نعيم المؤذن اول من اذن ببيت المقدس فكان عبادة بن الصامت والياً على ايليا فأبطأ بصلاة الصبح فأقام ابو نعيم الصلاة فصلى ، فحضر عبادة وهو يصلي فصلى بصلاته .

ابو الزبير المؤذن الدارقطني مؤذن بيت المقدس ، قال : جاءنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : اذا اذنت فترسل واذا أقمت فاحدر .

ابو سلام الجيشي واسمه محضور ، ويقال : الباهلي الدمشقي . كان يقدم بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه .

ابو جعفر الجرشي ، روي عنه انه قال : دخلت مع عبادة بن الصامت مسجد بيت المقدس فرأى رجلا يصلي واضعاً نعله عن يمينه - او عن شماله - فقال له : لولا انك تناجي ربك لعلوت رأسك بهذه العصا تفعل كفعل اهل الكتاب .

وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح الفقيه الكبير ، كان يسبح في اليوم

اربعين الف تسبيحة . اتى بيت المقدس ونزل من على ستة اميال ولم يصل فيه غير خمس صلوات .

ام الدرداء هجيمة ، ويقال : جهيمة . خطبها معاوية بن ابي سفيان فأبت وقالت : سمعت ابا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : المرأة لآخر ازواجها، فان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتخذي من بعدي زوجاً . وكانت تأتي من دمشق الى بيت المقدس فاذا مرت على الجبال قالت لقائدها : أسمع الجبال ما وعدها ربها . فيقرأ : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً * ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً) . وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وتقيم به نصف سنة وبدمشق نصف سنة .

وابو العوام مؤذن بيت المقدس روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ان السور المذكور في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي .

وقبيصة بن دويب ، وعبد الله بن محيريز ، وهاني بن كلثوم . كل هؤلاء كانوا عباداً زهاداً ،فقبيصة ! كان عالماً ربانياً ، مات سنة ثمان وستين من الهجرة .
وابن محيريز ! قرشي جمحي مكي ، نزل بيت المقدس . قال رجاء بن حياة : إن فخر علينا اهل المدينة بعابدهم ابن عمر فانا نفتخر بعابدنا ابن محيريز ، إنما كنت اعد بقاءه اماناً لأهل الأرض . مات قبل المائة . وهاني عرضت عليه امارة فلسطين فامتنع . وكان الثلاثة يقصرون الصلاة من الرملة الى بيت المقدس .

ومحارب بن دثار وكان قاضياً ، وهو من العلماء الزهاد وحديثه مخرّج في كتب الاسلام . قال : صحبنا القاسم بن عبد الرحمن الى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث : على قيام الليل والبسط في النفقة والكف عن الناس .

وعبد الله بن فيروز الديلمي مقدسي ثقة ، خرج له ابو داود والنسائي وابن ماجة . وله أخ يقال له : الضحاك بن فيروز ، ثقة ايضاً .

وزياد بن أبي سودة مقدسي ، روى عن عبادة بن الصامت وابي هريرة وهو من الثقات .

وابو الحسن الزهري الاندلسي ، كان مقيما ببيت المقدس . سمعه ابو عبدالله محمد الصوري في بقية بسمع محمد بن العباس العيني قال : سمعت الشبلي وقد سأله رجل فقال له : يا ابا بكر ما تقول في رجل كان له حظ في قيام الليل فتركه ثم عاد وهو مجتهد ان يناله فلا يقدر ؟ قال: فأنشأ يقول :

تشاغلتموا عنا بصحبة غيرنا   واظهرتموا الهجران ماهكذا كنا

وروى عن جماعة .

وابراهيم بن محمد بن يوسف العرباني ، نزل ببيت المقدس ، وروى عن جماعة وروى عنه جماعة ، وحديثه في كتاب ابن ماجة .

وابو عتبة الخواص عباد بن عباد الارسوفي ، قدم بيت المقدس وكان ثقة قال : رأيت ببيت المقدس شيخاً كأنه محترق بنار وعليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء ، طويل الصمت كريه المنظر كثير الشعر شديد الحزن ، فقلت : يرحمك الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما جاء في البياض ، فبكى وقال : هذا اشبه بلباس المصاب وانما نحن في الدنيا في حداد وكأنا قد دعينا ثم غشي عليه .

وعابد ببعض قرى بيت المقدس في زمن ثور بن يزيد ، قال محمد بن المعتصم: سمعت أبي يقول : سمعت منبه بن عثمان الاخمي يقول : كان ثور بن يزيد قد سكن بيت المقدس وكان رجل متعبد في بعض قرى بيت المقدس يجلس الى ثور ابن يزيد وكان يغدو من قريته مع الفجر فيصلي الصلوات كلها في بيت المقدس وينصرف بعد العشاء الآخرة الى قريته ، وقد سمع ثوراً يحدث : ان خالد بن معدان حدثه بحديث رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال: من رأى شيئاً يهوله او يفزعه فليقل : ان الله هو الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار ، ما قالها احد إلا فرج الله عنه ولو كان بين يديه سور من حديد . وانصرف ذلك الرجل

ليلة من الليالي الى الطريق فاذا بأسود بين يديه قد منعه من المسير ، فذكر حديث خالد فقاله ، ففرج الله عنه . فمضى فلق حمار وحش فاتحاً فاه يريد ليأكل يده فذكر حديث ثور فقاله ، فولى الحمار وهو يقول : لا يرحم الله ثوراً كما علمك .

وعبد الله بن عامر العامري قال : سألت راهباً ببيت المقدس فقلت له : يا راهب ما اول الدخول في العبادة ؟ قال : الجوع قلت : وما دليل ذلك ؟ قال : لأن الجسد خلق من تراب والروح من ملكوت السماوات ، فاذا شبع الجسد ركن الى الأرض واذا لم يشبع اشتاق الى الملكوت . قلت : ما سبب الجوع؟ قال : ملازمة الذكر والخضوع .

وابو عبد الله بن خصيف خرج من شيراز الى مكة ، ثم أتى بيت المقدس ثم دخل الشام رحمه الله .

وقاسم الزاهد قال : رأيت راهباً على باب بيت المقدس كالولهان لا يرقأ له دمع ، فهالني أمره فقلت : يا ايها الراهب اوصني وصية احفظها عنك . فقال : كن كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف مذعور يخاف ان يسهو فتفترسه او يلهو فتنهشه ، فليله ليل مخافة اذا أمن فيه المغترون ونهاره نهار حزن اذا فرح فيه البطالون . ثم ولى وتركني فقلت : لو زدتني شيئاً عسى الله ان ينفعني به . فقال : يا هذا ان الظمآن يكفيه من الماء ايسره .

ومحمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي ابو الحسن الطوسي تفقه على إمام الحرمين وكان صدوقاً خبيراً فقيهاً صوفياً دخل بيت المقدس وسمع به الحديث .

ابو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الانصاري الفقيه المالكي سكن مصر وروى بها عن ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني وغيره ، قال ابن الوليد : انبأنا ابو محمد بن ابي زيد قال : جماع آداب الخير وأزمته في اربعة احاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت . وقوله : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وقوله - للذي

اختصر له في الوصية ـ : لا تغضب . وقوله : المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. توفي ابن الوليد ببيت المقدس ، ووفاة ابن ابى زيد في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فيعلم من ذلك العصر الذي كان فيه ابن الوليد .

وجعفر بن محمد النيسابوري قدم بيت المقدس في سنة سبعين وثلثمائة وقال: سمعت الحسن بن الصباغ البزار يقول : سمعت الوليد بن مسلم يقول : سمعت بلال بن سعد يقول : لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر من عصيت . والله سبحانه وتعالى اعلم . ومنهم جماعة ارخت وفاتهم وذكرتهم على ترتيب الوفيات وهم :

كعب الأحبار ابن مانع الحميري أبو اسحاق ، كان يهودياً فأسلم في خلافة ابي بكر ، وقيل : عمر . قال له العباس : ما منعك الاسلام الى عهد عمر ؟ فقال : ان ابي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ وقال : اعمل بهذا . وختم على سائر كتبه وأخذ عليّ بحق الوالدين لا افض الخاتم . فلما رأيت الاسلام يظهر قالت لي نفسي لعل اباك غيب عنك علم كتبك فلو قرأته ، ففضت الكتاب فوجدت فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وامته فأسلمت الآن .

سكن الشام ، وروى عن جماعة من الصحابة كأبي هريرة ، وتقدم انه دخل بيت المقدس واستشاره عمر في موضع القبلة . توفي بحمص سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه .

وابراهيم بن ابى عبلة العقيلي المقدسي ، روى عن ابي امامة وانس ، وروى عنه الامامان مالك وابن المبارك . توفى سنة اثنتين وخمسين من الهجرة .

وجبير بن نصير الحضرمي الحمصي في الطبقة الاولى من التابعين ، ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم زمن ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، اتى بيت المقدس للصلاة ، وروى عن خالد بن الوليد وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت والنوّاس بن سمعان . قال جبير : خمس خصال قبيحة : الحدة في السلطان والحرص في العلماء والشره في الشيوخ والشح في الأغنياء وقلة الحياء في ذوى الأحساب .

توفي جبير سنة خمس وسبعين من الهجرة الشريفة .

وعبد الرحمن بن غنم الأشعري كان مسلماً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفد اليه لكنه لازم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن حتى مات معاذ ، وسمع عمر بن الخطاب . قال صاحب (مثير الغرام) : اظنه قدم بيت المقدس فانه هو الذي فقه عامة التابعين بالشام . توفي سنة تسع وسبعين من الهجرة الشريفة .

وخالد كان بصخرة بيت المقدس فجاء عمر بن عبد العزيز امير المؤمنين رضي الله عنه فأخذ بيده وقال يا خالد ما علينا ؟ قال : عليكم من الله اذن سميعة وعين بصيرة . فارتعد عمر خوفاً من الله ونزع يده فقال خالد يوشك ان يكون هذا إماماً عادلاً . ولزم خالد بيته في آخر امره وقال : ما بقي من الناس إلا حاسد او شامت . توفي سنة تسعين من الهجرة الشريفة .

ومالك بن دينار من الأئمة الأعلام روى عن انس ، واخرج له اصحاب السنن ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة . توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة .

ومحمد بن واسع ثقة زاهد من اهل البصرة من الأزد ، روى عن انس بن مالك وغيره ، اخرج له مسلم وابو داود والترمذي والنسائي . وجمعته الطريق ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وساروا الى بيت المقدس . توفي سنة تسع وعشرين ومائة .

ام الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة كانت من اعيان عصرها واخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وكانت تقول في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك . فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء . ومن وصاياها : اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم . واورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف :

اني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من اراد جلوسي

فالجسم مني للحبيب مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

توفيت سنة خمس وثلاثين ـ وقيل : وثمانين ـ ومائة ، وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي بيت المقدس بجوار مصعد السيد عيسى عليه السلام من جهة القبلة وهو في زاوية ينزل اليها من درج وهو مكان مأنوس يقصد للزيارة .

ومن النساء العابدات ببيت المقدس امرأة تسمى طافية كانت تأتي بيت المقدس تتعبد فيه ، وامرأة اخرى تسمى لبابة . ذكرهما ابن الجوزي ، وذكر عدة من العابدات المجهولات الأسماء ولم يؤرخ وفاة واحدة منهن .

وسليمان بن طرخان الهيثمي التميمي نزل بالبصرة وسمع أنساً ، وكان يقول : اذا دخلت بيت المقدس كأن نفسي لا تدخل معي حتى اخرج منه . توفي سنة ثلاث واربعين ومائة .

ومقاتل بن سليمان المفسر قدم بيت المقدس فصلى فيه وجلس عند باب الصخرة القبلي ، واجتمع اليه خلق كثير من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه ، فأقبل بدوي يطأ بنعليه على البلاط وطأً شديداً ، فسمع مقاتل فقال لمن حوله : افرجوا فانفرج الناس عنه ، فأهوى بيده يشير اليه ويزيده بصوته : ايها الواطىء ارفق بوطئك فوالذي نفس مقاتل بيده ما تطأ إلا على اجاجين الجنة .

وفي كلام آخر قال الامام الشافعي رضى الله عنه : الناس كلهم عيال على ثلاثة : مقاتل بن سليمان في التفسير ... وذكر الآخرين . توفي مقاتل سنة خمسين ومائة .

والاوزاعي عبد الرحمن بن عمر واحد الأئمة الأعلام فقيه الشام كان رأساً في العلم والعبادة قدم بيت المقدس فصلى فيه ثمان ركعات والصخرة وراءه ، ثم صلى فيه الخمس وقال : هكذا فعل عمر بن عبد العزيز ، ولم يأت شيئاً من المزارات . توفي في الحمام سنة سبع وخمسين ومائة .

وسفيان الثوري هو ابن سعيد بن مسروق الامام العالم المجمع على جلالته

وزهده وورعه ، اتى المسجد الأقصى فصلى فيه بموضع الجماعة ، واتى قبة الصخرة الشريفة وختم فيها القرآن ، وروى انه اشترى موزاً بدرهم فأكل منه في ظلها ثم قال : ان الحمار اذا وفي عليقه ـ او قال علفه ـ زيد في عمله . ثم قام يصلي حتى رحمه من رآه . توفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة .

وابراهيم بن ادهم بن اسحاق من كور بلخ احد الزهاد وهو من ثقات اتباع التابعين ومن ابناء الملوك ، خرج يوماً يتصيد وأثار ثعلباً ـ او ارنباً ـ واسرع في طلبه ، فهتف به هاتف : ألهذا خلقت أم بهذا امرت ؟ ثم هتف به من قربوس سرجه : والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت ، فنزل عن دابته وترك الامارة .

ودخل البادية وتزهد وصحب الامام ابا حنيفة وله من الكرامات ما هو مشهور بها ، قدم بيت المقدس وقام بالصخرة الشريفة ، وسكن الشام . وتوفي بمدينة جبلة من اعمال طرابلس وقبره مشهور بها .

قال صاحب (مثير الغرام) : انه مات ببلاد الروم ووفاته في سنة احدى وستين ومائة .

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم عالم اهل مصر كان نظير مالك في العلم . قيل : انه كان دخله في كل سنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة . وفي رواية : لا ينقضي عليه عام إلا وعليه دين من كثرة جوده وبره . وقدم بيت المقدس . قال الليث لما ودعت أبا جعفر ـ يعني الخليفة ـ ببيت المقدس قال : اعجبني ما رأيت من شدة عقلك فالحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك . ويقال : انه كان حنفي المذهب ، وانه ولي القضاء بمصر . ولد سنة اثنتين وتسعين من الهجرة الشريفة ، وتوفي يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى وقبره احد المزارات . قال بعض اصحابه : لما دفن الليث ابن سعد سمعنا صوتاً يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم   ومضى العلم غريباً وقبر

قال : فالتفتنا فلم نر احداً . وترجمه الشافعي رحمه الله ترجمة عظيمة ، وكان يأتي الى قبره بالقرافة كل عشية جمعة ويستمر حتى يقرأ على قبره ختما كاملا . فاستمر اهل مصر يفعلون ذلك بقبره في عشية كل جمعة الى يومنا هذا ويختلفون لذلك ولهم فيه اعتقاد عظيم وله شهرة ظاهرة واحوال بارزة ، نفعنا الله به .

ووكيع بن الجراح بن مليح ابوسفيان الرواسي مولده سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان من الأعلام . وهو من الرواة عن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وروى عنه الامام احمد ايضاً وقال عنه : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ .

قدم بيت المقدس واحرم منه الى مكة . توفي يوم عاشوراء ودفن بفيد راجعاً من الحج سنة تسع - وقيل : سنة ثمان وتسعين ومائة .

الامام الأعظم والحبر الاكرم محمد بن ادريس الشافعي المطلبي احد الأئمة المجتهدين الأعلام وإمام اهل السنة ركن الاسلام ، ولد بغزة من بلاد الشام على الأصح سنة خمسين ومائة وهي التي توفي فيها الامام الأعظم ابو حنيفة رضي الله عنه وقيل : في اليوم الذى مات فيه .

خرج كتاب الام وكتاب السنن واشياء كثيرة كلها في اربع سنين ، قدم بيت المقدس فصلى فيه وقال : سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له ما تقول في محرم قتل زنبوراً ؟ فقال : قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وحدثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتدوا من بعدي بأبي بكر وعمر ، وحدثنا ابن عيينة عن مسعود عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب : ان عمر امر المحرم بقتل الزنبور .

وتوفي الامام الشافعي رضى الله عنه بمصر يوم الجمعة ودفن من يومه بعد العصر آخر يوم من رجب سنة اربع ومائتين بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار نفعنا الله به .

واما الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم فلم اطلع على شيء يدل على قدوم احد منهم بيت المقدس ٠

والمؤمل بن اسماعيل البصري صدوق وكان شديداً في السنة ، قدم بيت المقدس واعطى به قوماً شيئاً وداروا به تلك الأماكن ٠ توفي سنة ست ومائتين ٠

وبشر بن الحارث الحافي احد رجال الطريقة من كبار الصالحين واعيان الأتقياء المتورعين ، اصله من مرو من قرية من قراها ، وسكن بغداد ٠ وانما لقب بالحافي : لأنه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعاً لأحد نعليه وكان قد انقطع ، فقال له الاسكاف : ما اكثر كلفتكم على الناس ؟ فألقى النعل من رجله وحلف لا يلبس نعلا بعدها ٠ ولد سنة خمسين ومائة ٠

قيل له : لم يفرح الصالحون ببيت القدس ؟ قال : لأنها تذهب الهم ولا تشتغل النفس بها ٠ وقال : ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا ان استلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس ٠ توفي في شهر ربيع الآخر سنة ست ـ وقيل : سبع ـ وعشرين ومائتين ببغداد ، وقيل : بمرو ٠

وذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح المشهور احد رجال الطريقة ، قدم بيت المقدس وقال : وجدت على صخرة بيت المقدس : كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل قانع غني ، وكل محب ذليل ٠ قال : فرأيت هذه الكلمات اصول ما استعبدالله به الخلق ٠ توفي سنة خمس واربعين ومائتين ٠

والسري بن المغلس السقطي ، قدم بيت المقدس وروى عنه جماعة قال : خرجت من الرملة الى بيت المقدس الشريف فمررت بعشرفة وغدير ماء وعشب نابت فجلست آكل من العشب واشرب من الماء فقلت في نفسي إن كنت اكلت اوشربت في الدنيا حلالا فهوهذا ، فسمعت هاتفاً يقول : ياسري فالنفقة التي بلغتك من أين ؟٠ توفي سنة احدى وخمسين ومائتين ٠

ومحمد بن كرام المتكلم التي تنسب اليه الفرقة الكرامية الذي ينسب اليهم تجويز وضع الأحاديث للترغيب والترهيب ، وكرام - بفتح الكاف وتشديد الراء - على وزن جمال : ابو عبد الله السجستاني العابد ، ومنهم من يقول : محمد بن كرام - بكسر الكاف وتخفيف الراء - . روى عن جماعة وكان حبسه طاهر بن عبد الله فلما اطلقه ذهب الى ثغور الشام ، ثم عاد الى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبدالله فطال حبسه ، وكان يتأهب لصلاة الجمعة فيمنعه السجان فيقول : اللهم انك تعلم ان المنع من غيري . اقام ببيت المقدس وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مهد عيسى واجتمع عليه خلق كثير ، ثم تبين لهم انه يقول : ان الايمان قول . فتركه اهل بيت المقدس . توفي ببيت المقدس ليلا ودفن بباب اريحا عند قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وله ببيت المقدس نحو عشرين سنة ، وكانت وفاته في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين .

قلت : والباب المعروف بباب اريحا قد اندرس لطول المدة واستيلاء الافرنج ولم يبق له اثر ، والظاهر انه كان عند انتهاء البناء الذي كان متصلا بطور زيتا وكذلك قبور الأنبياء لا يعلم مكانها لطول المدة واستيلاء الافرنج على الأرض المقدسة .

وصالح بن يوسف ابو شعيب المقنع الواسطي الأصل يقال : انه حج تسعين حجة راجلا فى كل حجة يحرم من صخرة بيت المقدس ، وكان يدخل بادية تبوك على التجريد والتوكل . توفي بمدينة الرملة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . حكي انه يستشفى بقبره ويستجاب الدعاء عنده .

قلت: ولم يعلم الآن قبره لطول الزمان واستيلاء الافرنج على تلك الاراضي مدة طويلة رحمه الله تعالى .

وبكر بن سهل الدمياطي المحدث ، قدم الى بيت المقدس فجمعوا له الف دينار حتى روى لهم التفسير . توفي في ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

واحمد بن يحيى البزاز البغدادي ، حكى عنه ابو الحسن علي بن محمد الجلال البغدادي انه اخبره انه قدم من مكة الى بيت المقدس فندم على مجيئه وقال : تركت الصلاة بمكة بمائة الف صلاة وهنا بخمسة وعشرين الف صلاة ، وبمكة تنزل مائة وعشرون الف رحمة للطائفين والمصلين والناظرين . واراد الخروج الى مكة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ما خطر بباله من الفضل فقال له النبي ﷺ : نعم هناك تنزل الرحمة نزولا وهنا تنصب الرحمة صباً ولو لم يكن لهذا الموضع شأن - واشار بيده الى موضع الاسراء عند قبة المعراج - لما اسري بي اليه . فأقام الرجل بالقدس الى ان مات به . وكانت هذه الرؤيا في رجب سنة احدى واربعين وثلثمائة .

والشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي الضرير صاحب شرح المفتاح لابن القاص ، وله ايضاً مصنف مفرد في التقاء الختانين ، كان عديم النظير في زمانه لأجل ما خصه الله به من حضور القلب وصفاء الذهن وكثرة الحفظ وقد ذكره جماعة واثنوا عليه . توفي سنة ثمانين واربعمائة .

وشيخ الاسلام الامام العالم الحبر ابو الفرج عبد الواحد بن احمد بن محمد ابن علي بن احمد الشيرازي ثم المقدسي الانصاري الحنبلي شيخ الشام في وقته وهو من اصحاب القاضي ابي يعلى بن الفراء أمام الحنابلة قدم الشام فسكن ببيت المقدس وهو الذي نشر مذهب الامام احمد رضي الله عنه فيما حوله ، ثم أقام بدمشق فنشر المذهب بها وكان له اتباع وتلامذة ، ويقال : انه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين وكان يتكلم في عدة اوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد.

له تصانيف منها المبهج والايضاح والتبصرة في اصول الدين ومختصر في الحدود في اصول الفقه ومسائل الامتحان ، ويقال : ان له كتاب الجواهر في التفسير وهو ثلاث مجلدات . توفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي الحجة سنة ست وثمانين واربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

والشيخ العلامة ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي الشافعي شيخ

المذهب بالشام صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة ، سمع الحديث وأملى وحدّث . أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة بالناصرية ، والظاهر ان تسميتها بالناصرية نسبة للشيخ نصر ، ثم عرفت بالغزالية لاقامة الغزالي بها . ثم قدم دمشق فسكنها وعظم شأنه . وحكى بعض اهل العلم قال : صحبت إمام الحرمين ثم صحبت الشيخ ابا اسحاق فرأيت طريقته أحسن ، ثم صحبت الشيخ نصر فرأيت طريقته أحسن منهما . ولما قدم الغزالي الى دمشق اجتمع به واستفاد منه .

ومن تصانيفه : التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الفصول وكتاب الكافي ، وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن ايوب الرازي سماه الاشارة وكتاب الحجة لتارك المحجة . توفي يوم عاشوراء سنة تسعين واربعمائة بدمشق ، ودفن بالباب الصغير ـ رحمه الله .

والفقيه ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية بالقدس الشريف فقهاً وعلماً ، وشيخ الصوفية طريقة ، كان في زمن الشيخ نصر المقدسي رحمهما الله تعالى .

والشيخ الامام ابو المعالي المشرف بن المرجا بن ابراهيم المقدسي كان من علماء بيت المقدس ، له كتاب فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بذلك من اخبار وآثار وفضائل الشام ، وهو كتاب مفيد رواه بالأسانيد عنه ابو القاسم مكي الرميلي ـ الآتي ذكره بعده ـ . ولم اطلع لأبي المعالي على ترجمة ولا تاريخ وفاة ولكنه كان في عصر ابي القاسم المذكور .

والشيخ ابو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الانصاري الرميلي الشافعي الحافظ ، مولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ، كانت الفتاوى تأتي اليه من مصر والشام وغيرها ، وكان من الجوّالين في الآفاق كثير التعب والنصب والسهر ، وكان ورعاً سمع بالقدس وبلاد كثيرة وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله وجمع فيه اشياء كثيرة .

ولما اخذ الافرنج بيت المقدس في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة اخذوه

أسيراً وبعثوه الى البلاد ينادى في فكاكه بألف دينار لما علموا انه من علماء المسلمين فلم يستفكه احد ، فرموه بالحجارة على باب انطاكية حتى قتلوه رحمه الله .

وقال السبكي في (طبقات الشافعية) : أنهم قتلوه ببيت المقدس في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ثنتين وتسعين واربعمائة .

ابو القاسم عبدالجبار بن احمد بن يوسف الرازي الشافعي تفقه على الخجندي بأصبهان ، ثم استوطن بغداد مدة ، ثم انتقل الى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع الى الله تعالى الى ان استشهد على يد الافرنج لعنهم الله تعالى حين اخذهم القدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة .

والغزالي الامام زين الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي الشافعي ، ولد سنة خمسين واربعمائة ، ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله . اشتغل في مبدأ امره بطوس ثم قدم نيسابور وصار من الأعيان المشار اليهم وارتفعت منزلته .

أقام بدمشق ، ثم انتقل الى بيت المقدس مجتهداً في العبادة والطاعة وزيارة المشاهد والمواضع العظيمة ، واخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس فيقال : انه صنف في القدس احياء علوم الدين . وأقام بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة قبل ذلك بالناصرية شرقي بيت المقدس فسميت بالغزالية نسبة اليه ، وقد خربت ودثرت . توفي بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة رحمه الله .

والقاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشاعوني التركي الحنفي ويعرف بالاشتلي ، ولي قضاء بيت المقدس فشكوا منه فعزل ، ثم ولي قضاء دمشق وكان عالماً في مذهب ابي حنيفة ، وهو الذي رتب الاقامة مثنى ، وكان شديد التعصب . توفي في جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة .

والامام الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد المعروف بابن القيسراني كذا اسمه في تاريخ ابن خلكان ، وقيل : اسمه علي بن احمد بن محمد بن طاهر

المقدسي الجوّال في الآفاق الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط . ولد ببيت المقدس في سادس شوال سنة ثمان واربعين واربعمائة ، وحدّث في سنة ستين واول من سمعه الفقيه نصر المقدسي ، وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث وله في ذلك مصنفات مجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته ، وصنف تصانيف كثيرة منها : اطراف الكتب الستة وهي: صحيح البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجـــة ، واطراف الغرائب تصنيف الدارقطني وكتاب الأنساب في جزء لطيف ، وهو الذي ذيله الحافظ ابو موسى الاصبهاني ، وغير ذلك من الكتب . وله شعر حسن . وكتب عنه غير واحد من الحفاظ منهم ابو موسى المذكور .

رحل الى بغداد في سنة سبع وستين واربعمائة ، ثم رجع الى بيت المقدس واحرم منه الى مكة . توفي ببغداد يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة ، ودفن بالمقبرة العتيقة بالجانب الغربي . وكان ولده ابو زرعة طاهر من المشهورين بعلو الاسناد وكثرة السماع ، قدم بغداد للحج فحدّث بها بأكثر مسموعاته ، وسمع منه الوزير ابو المظفر يحيى بن هبيرة والقيسراني - بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الألف نون - هذه النسبة الى قيسرية بلدة على ساحل البحر ببلاد الشام .

وابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون القرشي الكوفي الحافظ كان ديناً خيراً ثقة ، رحل الى الشام وسمع الحديث ببيت المقدس . وتوفي سنة عشر وخمسمائة بجبلة وحمل الى الكوفة .

وابو روح ياسين بن سهل القابسي الخشاب ، توفي بنيسابور سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

وابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي الفقيه الشافعي صاحب الذخائر ، ولد بالقدس سنة اثنتين واربعين واربعمائة وتفقه على الفقيه نصر حتى برع

في المذهب ، ودخل مصر بعد السبعين والاربعمائة وكان من الفقهاء بمصر وقرأ عليه اكثرهم ، روى عنه السلفي وغيره ، وصنف كتاباً في احكام التقاء الختانين . توفي سنة ثمانية عشر أو في التي بعدها ، وقيل : في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

الطرطوشى الامام ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشى الفهرى الاندلسى المالكي ، قدم بيت المقدس وحج على نفقة الامام ابي بكر الشاشى المستظهر ، وكان إماماً عالماً زاهداً سكن الشام ودرس بها مولده سنة احدى وخمسين واربعمائة تقريباً . وتوفي ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الاسكندرية . والطرطوشي : نسبة الى طرطوشة وهي مدينة بالاندلس في آخر بلاد المسلمين في شرقي الاندلس على ساحل البحر .

وابو عبد الله محمد بن احمد بن يحي الاموي العثماني المقدسى النابلسى ، نزل بغداد وتفقه على الشيخ نصر المقدسى ، وكان يفتي ويدرس ، وهو من اهل العلم والعمل . توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة عن خمس وستين سنة .

وابو عبد الله محمد بن احمد المقدسى العثماني المشهور بالديباجي من اولاد الديباجي بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ومحمد الديباجي امه فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب . سمي الديباجي لحسنه ولأن ديباجة وجهه كانت تشبه ديباجة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اصله من مكة ، وأقام ببيت المقدس وكتب الاحاديث بها وسمعها ، وسكن بغداد بدرب السلسلة . وهو فقيه فاضل حسن السيرة قوّال بالحق ، كان يقال له سمي النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه . توفي يوم الأحد سابع عشر من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بالوردية .

وابو الحسن علي بن احمد بن عبد الله الربعي المقدسى الشافعي اشتغل على الشيخ ابي اسحاق ، وسمع الحديث من الشيخ نصر المقدسى والحافظ ابي بكر

الخطيب ، ثم دخل الغرب وسكن البرية . توفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة .

وابو علي الحسن بن فرج بن حاتم المقدسى الواعظ الشافعي ، روى عن القاضى الرشيد المقدسى . توفي في نصف شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

والامام ابو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المغربي المعافرى الاندلسى الاشبيلي الحافظ المشهور ، دخل مع ابيه الى المشرق سنة خمس وثمانين واربعمائة ولقي الامام الطرطوشى وتفقه عليه ، وصحب الشاشى والغزالي ، قدم بيت المقدس وروى عنه خلق كثير من العلماء . توفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة .

وابو بكر الجرجاني محمد بن احمد بن ابي بكر من اهل جرجان من عمل نيسابور ، قصد هو وابوسعيد السمعاني زيارة بيت المقدس فذهبا ولم يفترقا حتى رجعا الى العراق . وكان شيخاً صالحاً قيما بكتاب الله دائم البكاء كثير الحزن مولده سنة خمس وستين واربعمائة . توفي سنة اربع واربعين وخمسمائة .

وتاج الاسلام ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني الشافعي صاحب كتاب الذيل لتاريخ مدينة السلام عدة مجلدات ، وله تاريخ مرور الاسباب وطراز المذهب في آداب الطلب وتحفة المسافر وعز العزلة والمناسك والتخيير في المعجم الكبير والأماني وغيرذلك ، قدم بيت المقدس زائراً له وهو في ايدي الكفار . وتوفي في غرة ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ومن عباد بيت المقدس المشهورين بالصلاح ادريس بن ابي خولة الانطاكي وعبد العزيز المقدسى ، وكانا صالحين . ذكرهما ابن الجوزى في صفوة الصفوة وذكر لهما كرامات ولم يؤرخ وفاتهما .

واما من دخل بيت المقدس واستوطنه من الزهاد والصالحين ممن لم يعرف اسمه فكثير ، ولهم اخبار ومناقب لم نذكرها لعدم معرفة اسمائهم وبالله التوفيق.

وقد انتهى ذكر ما قصدته من تراجم الاعيان بالقدس الشريف ممن كان به في الزمن السالف قبل استيلاء الافرنج عليه ، ولم اظفر بغير ذلك لطول الازمنة

وانقطاع اخبار السلف باستيلاء الكفار على الأرض المقدسة ، وسأذكر ما تيسر من اسماء العلماء والأعيان بالقدس الشريف ممن كان به بعد الفتح الصلاحي - كما تقدم الوعد به - ان شاء الله تعالى .

ولنذكر الآن نبذة يسيرة مما وقع ببيت المقدس من الحوادث والأخبار في ذلك الزمان :

فمن ذلك ما وقع في شهور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ان الحاكم بأمر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي خليفة مصر أمر بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس واباح للعامة ما كان بها من اموال وامتعة وغير ذلك ، وكان ذلك بسبب ما انتهى اليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها بحيث يتوهم الاغمار من جهلتهم انها تنزل من السماء وانها مصبوغة بدهن البيلسان في خيوط الابريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام منهم والعوام ، وهم الى الآن يستعملونها في القمامة ويسمى ذلك اليوم عندهم سبت النور ويقع فيه من المنكر بحضور المسلمين ما لا يحل سماعه ولا رؤيته من جهرهم بالكفر ورفع اصواتهم يقولون يا لدين الصليب واظهار كتبهم ورفع الصلبان على رؤسهم ، وغير ذلك من الامور التي تقشعر منها الأجساد .

ثم لما توفي الحاكم بأمر الله في شوال سنة احدى عشرة واربعمائة ولي بعده الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي ، واستمر الى ان توفي في شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة .

ثم تولى بعده المستنصر بالله ابو تميم معد ، فهادن ملك الروم على ان يطلق خمسة آلاف أسير ليمكن من عمارة قمامة التي كان خربها جده الحاكم في ايام خلافته. فأطلق الأسرى ، وأخرج ملك الروم عليها اموالا عظيمة .

(قلت) : والذي يظهر ان تخريبها لم يكن تخريباً كلياً بل كان في غالبها والله اعلم .

ورأيت في بعض التواريخ : انه في سنة سبع واربعمائة في ربيع الأول احترق مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه بشرارة وقعت من بعض الشعالين من حيث لم يشعر .

وورد الخبر بتشعب الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط جدار بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

وانه سقطت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس . قال الناقل : وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها .

(قلت) : ولم اطلع على حقيقة الحال في سقوط القبة التي على الصخرة ولا اعادتها ، والظاهر ان السقوط كان في بعضها لا في كلها والله أعلم .

وفي سنة خمس وعشرين واربعمائة كثرت الزلازل بمصر والشام ، فهدمت اشياء كثيرة ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها تقطعاً وخرج اهلها منها فأقاموا بظاهرها ثمانية ايام ، ثم سكن الحال فعادوا اليها . وسقط بعض حيطان بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قطعة .

وفي سنة اثنتين وخمسين واربعمائة سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس وفيه خمسمائة قنديل ، فتطير المقيمون به من المسلمين وقالوا : ليكونن فى الاسلام حادث عظيم . فكان اخذ الافرنج له على ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

وفي جمادى الاولى سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين اهلكت بلاد الرملة ، ورمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانشقت الأرض عن كنوز من المال وهلك منها خمسة عشر الف نسمة ، وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى ، وغار البحر مسيرة يوم ودخل الناس في ارضه يلتقطون منه ، فرجع عليهم فأهلك خلقاً كثيراً منهم ، فسبحان من يتصرف بعباده بما يشاء .

وفي سنة ثلاث وستين واربعمائة في ايام المستنصر بالله العبيدي خليفة مصر استولى على القدس والرملة آتسز بن اوق الخوارزمي صاحب دمشق ·

وفي سنة خمس وستين اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس وقطعت دعوة الفاطميين ، ثم استولى آتسز على دمشق بعد استيلائه على القدس والرملة وقطع الخطبة العلوية من دمشق فلم يخطب بعدها لهم بها ، وأقام الخطبة العباسية يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة سنة ثمان وستين واربعمائة ·

فلما قتل آتسز في سنة احدى وسبعين واربعمائة استولى بعده على دمشق تاج الدولة الأمير تتش بن السلطان البارسلان السلجوقي وكان القدس من مضافاته على عادة من تقدمه ، فقلده للأمير أرتق بن اكسك التركماني جد الملوك اصحاب ماردين . واستمر ارتق مالكاً للقدس الى ان توفي في سنة اربع وثمانين واربعمائة .

ثم استقر الأمر بعده في القدس لولديه ايلغازى وسقمان ابني ارتق . واستمر على ذلك الى ان قتل تتش صاحب دمشق في سنة ثمان وثمانين واربعمائة .

ثم سار الأفضل بن بدر الجمالي امير الجيوش من مصر بعسكر الخليفة العلوي وهو المستعلي بأمر الله فاستولى على القدس بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين واربعمائة ·

وسار سقمان واخوه ايلغازى من القدس ، واقام سقمان ببلد الرها ، وسار اخوه ايلغازى الى العراق . وبقي القدس في يد المصريين ·

﴿ ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه ﴾

لما فتح الله البيت المقدس على يد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر على يده ، ثم على يد عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء ـ كما سبق شرحه ـ استمر بأيدي المسلمين الخلفاء من حين الفتح العمري في سنة خمس وعشرين من الهجرة الشريفة الى سنة اثنتين وتسعين واربعمائة في خلافة المستظهر بالله هو ابو العباس

احمد بن المقتدي بأمر الله العباسي خليفة بغداد ٠

وكان لبثه بأيدي المسلمين اربعمائة سنة وسبعاً وسبعين سنة ٠

وكان الفاطميون قد تغلبوا على بني العباس وادعوا الخلافة بالمغرب من اواخر سنة ست وتسعين ومائتين في ايام المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن المستنصر العباسي خليفة بغداد ، ثم بنوا القاهرة واستولوا على الديار المصرية والشام ومكة واليمن وبيت المقدس .

واولهم : عبيد الله المهدي بالله الذي ينسبون اليه ، ثم ابنه ابو القاسم محمد القائم بأمر الله ، ثم ابنه ابو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله ، ثم ابنه ابو تميم معد المعز لدين الله باني القاهرة المحروسة على يد القائد ابي الحسن جوهر المعروف بالكاتب الرومي فانه جهزه من المغرب لأخذ الديار المصرية فأخذها في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وبنى القاهرة المحروسة والجامع الأزهر . ثم ارسل يستدعي مخدومه المعز لدين الله ، فحضر الى القاهرة واستوطنها في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، واستمر الى ان توفي بها في يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وثلثمائة ، وهو الذي تنسب اليه القاهرة فيقال : القاهرة المعزية . ولما بناها جوهر سماها المنصورية . فلما قدم المعز لدين الله اليها سماها القاهرة ٠

وقيل: ان سبب تسميتها بذلك انها تقهر من شدّ عليها ورام مخالفة امرها .

ولما توفي استقر بعده في الخلافة بمصر ابنه المنصور نزار العزيز بالله ٠ ثم ابنه ابو علي المنصور الحاكم بأمر الله الذي امر بتخريب كنيسة القمامة ـ كما تقدم ـ . ثم ابنه ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله . ثم ابنه ابو تميم معد المستنصر بالله الذي مكن الكفار من اعادة كنيسة القمامة ـ كما تقدم ـ . ثم ابنه ابو القاسم احمد المستعلي بأمر الله ٠

وسيأتي ذكر من بقي منهم عند ابتداء ذكر الفتح الصلاحي ان شاء الله تعالى .

فلما آل الأمر الى المستعلي بأمر الله وكانت وفاة ابيه المستنصر في ذي الحجة

سنة سبع وثمانين واربعمائة ولي الأمر بعد ابيه بالديار المصرية ، وكان المتولي لتدبير دولته الأفضل ابو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي أمير الجيوش .

وفي ايام المستعلي بأمر الله اختلفت دولتهم وضعف امرهم وانقطعت من اكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الاتراك والافرنج ، وكان مدبر دولته الأفضل قد استولى على بيت المقدس فى شعبان سنة تسع وثمانين واربعمائة - كما تقدم - . وكان الفاطميون يخافون من الافرنج خوفاً شديداً فلا يطيقون مقاتلتهم بخلاف الدولة الايوبية .

فلما دخلت سنة تسعين واربعمائة سار الافرنج الى الشام واخذوا انطاكية بعد ان حاصروها تسعة اشهر وملكوها في ذي القعدة ، وحصل بينهم وبين المسلمين وقعات وحروب ، وولى المسلمون هاربين وكثر القتل فيهم ونهب الافرنج خيامهم وتقووا بأسلحتهم . ثم سار الافرنج الى معرة النعمان فاستولوا عليها ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا فيها ما يزيد على مائة الف انسان وسبوا السبي الكثير . واقاموا بالمعرة اربعين يوماً وساروا الى حمص وصالحهم اهلها ، وذلك في سنة احدى وتسعين .

فلما دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة قصد الافرنج بيت المقدس وهم فى نحو الف الف مقاتل لعنهم الله ، وحاصروا بيت المقدس نيفاً واربعين يوماً وملكوه في ضحى نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة . ولبث الافرنج يقتلون في المسلمين بالقدس الشريف اسبوعاً ، وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين الف نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور في هذا الموضع الشريف ، وغنموا ما لا يقع عليه الحصر ، وجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً .

ثم حصروا جميع من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشترطوا عليهم انهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة ايام قتلوهم عن آخرهم . فشرع

المسلمون في الاسراع والمبادرة الى الخروج ، فمن شدة ازدحامهم بأبواب المسجد قتل منهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى •

واخذ الافرنج من عند الصخرة الفين واربعين قنديلا من فضة زنة كل منهم ثلاثة آلاف وستمائة ، وتنوراً من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلا من الذهب •

وهزم الأفضل بن بدر الجمالي امير الجيوش بظاهر عسقلان اقبح هزيمة •

وكان عند الافرنج شاعر منتجع اليهم فقال ـ يخاطب ملك الافرنج واسمه صنجلي ـ :

نصرت بسيفك دين المسيح فلله درك من صنجلي
وما سمع الناس فيما روي بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر •

وذهب الناس هاربين على وجوههم من الشام الى العراق ، ووصل المستنفرون الى بغداد في رمضان مستغيثين الى الخليفة والسلطان، منهم القاضي بدمشق ابو سعد الهروي • واجتمع اهل بغداد في الجوامع واستغاثوا وبكوا حتى انهم افطروا من عظم ما جرى عليهم •

وندب الخليفة ببغداد ـ وهو المستظهر بأمر الله ابو العباس احمد العباسي ـ الفقهاء الى الخروج في البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد • فخرج الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي ، وغير واحد من اعيان الفقهاء وساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئاً . فانا لله وإنا اليه راجعون •

ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الافرنج في البلاد ، وانزعج المسلمون في سائر ممالك الاسلام بسبب اخذ بيت المقدس غاية الانزعاج • ثم استولى الافرنج على اكثر بلاد السواحل في ايام المستعلي بأمر الله ، فملكوا يافا وقيسارية وغيرها من القلاع والحصون • وكانت محنة فاحشة ، فالحكم لله العلي

الكبير . وكان الآخذ لهذه البلاد بيت المقدس وغيره بردويل الافرنجي .

ثم في سنة احدى عشرة - وقيل: اربعة عشرة - وخمسمائة قصد الديار المصرية ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وخربها واحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش فشق اصحابه بطنه ورموا حشوته هناك فهي ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بكنيسة قمامة بالقدس الشريف .

وسبخة بردويل هي التي في سبخة الرمل على طريق الشام وهي مما يلي العريش الى جهة مصر منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وانما هي الحشوة لعنة الله عليه .

ولما اخذ بيت المقدس وغيره من المسلمين قال في ذلك مظفر الابيوردي ابياتاً منها :

مزجنا دماء بالدموع السواجم	فلم يبق منا عرضة للمزاحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايهاً بني الاسلام ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملأ جفونها	على هفوات ايقظت كل نائم
فاخوانكم بالشام يضحي قتيلهم	ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى	توارى حياء حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقعة	يظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها	ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللنا بأيدي المشركين قواضباً	ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستكن بطيبة	ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى امتي لا يشرعون الى العدى	رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى	ولا تحسبون العار ضربة لازم

أترضى صناديد الأعارب بالأذى ... وتغضي على ذل صماة الأعاجم
فليتهموا إذ لم يذودوا حمية ... عن الدين شنوا غيرة للمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى ... فهلا اتوه رغبة في المغانم

واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الافرنج احدى وتسعين سنة . فلم ير في الاسلام مصيبة اعظم من ذلك .

وعجز ملوك الأرض عن انتزاعه منهم ، حتى اذن الله سبحانه وتعالى وقدّر فتحه على يد من اختاره من عباده في شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

فأقول ـ وبالله استعين وعليه اتوكل فهو حسبي ونعم الوكيل ـ :

﴿ ذكر الفتح الصلاحي ﴾

الذي يسره الله تعالى على يد السلطان الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته

قد تقدم ذكر تغلب الفاطميين على غالب المملكة واستيلائهم عليها ، وتقدم ان اولهم المهدي بالله عبيد الله ، وتقدم ذكر من بعده الى المستعلي بأمر الله الذي اخذ الافرنج القدس في ايامه ، فلما مات المستعلي بأمر الله استقر بعده في خلافة مصر ابنه ابو علي المنصور الملقب بالآمر بأحكام الله ، ثم ابن عمه ابو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ، ثم ابنه ابو منصور اسماعيل الظاهر بأمر الله ، ثم ابنه ابو القاسم عيسى الفائز بنصر الله ، ثم ابن عمه ابو محمد عبد الله العاضد لدين الله وهو آخرهم وكان استقراره في خلافة مصر في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وكان صاحب دمشق في ذلك الزمان السلطان الملك العادل نور الدين ابا القاسم محمود بن زنكي الملقب بالشهيد رضي الله عنه .

فلما دخلت سنة اربع وستين وخمسمائة تمكن الافرنج من البلاد المصرية وتحكموا على المسلمين بها وملكوا بلبيس قهراً في مستهل شهر صفر ونهبوها وقتلوا

اهلها واسروهم . ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها .

وكان وزير العاضد أمير الجيوش شاور ، فأحرق شاور مدينة مصر خوفاً من ان يملكها الافرنج ، وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة . فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوماً .

وارسل العاضد العلوي خليفة مصر الى السلطان نور الدين الشهيد يستغيث به ، وارسل في الكتب شعور النساء .

وصالح شاور الافرنج على الف الف دينار يحملها اليهم . فحمل اليهم مائة الف دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله ، فرحلوا .

ولما وصل الى السلطان نور الدين كتب العاضد جهز الأمير اسد الدين شيركوه بن شادي الى الديار المصرية ومعه العساكر النورية وانفق فيهم الأموال واعطى شيركوه مائتي الف دينار سوى الثياب والدواب والأسلحة وغير ذلك وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الذي تسلطن فيما بعد ، وكان مسير صلاح الدين على كره منه ، أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بين يديه ، وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه . (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم) . فان نور الدين امره بالمسير مع عمه شيركوه ، وكان شيركوه قد قال بحضرة نور الدين : تجهز يا يوسف . فقال : والله لو اعطيتني ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية ما لا انساه ابداً . فقال شيركوه لنور الدين: لا بد من مسيره معي . فأمره نور الدين وهو يستقيل ، فقال نور الدين : لا بد من مسيرك مع عمك . فشكى الضيقة ، فأعطاه ماتجهز به ، فكأنما يساق الى الموت.

ولما قرب شيركوه من مصر رحل الافرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا المصر فتحاً شديداً .

ووصل اسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر ، واجتمع

بالعاضد وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية . وشرع شاور يماطل شير كوه فيما كان بذله لنور الدين قبل ذلك من تقرير المال وإفراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى اسد الدين شير كوه ويمده ويمنيه ، (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) .

ثم ان شاور عزم على ان يعمل دعوة لشير كوه وامرائه ويقبض عليهم ، فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك . ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور ، واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف ومن معه من الامراء وعرفوا شير كوه بذلك فنهاهم عنه .

واتفق ان شاور قصد شير كوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه ، فلقي صلاح الدين شاور واعلمه برواح شير كوه الى زيارة الشافعي ، فسارا ومن معهما جميعاً الى شير كوه . فوثب صلاح الدين ومن معه على شاور وألقوه على الارض عن فرسه وامسكوه في سابع عشر ربيع الآخر سنة اربع وستين وخمسمائة فهرب اصحابه عنه ، واعلموا شير كوه بما فعلوا فحضر ولم يمكنه الاتمام لذلك .

وسمع العاضد الخبر فأرسل الى شير كوه يطلب منه انفاذ رأس شاور . فقتله وارسل رأسه الى العاضد ، ودخل بعد ذلك شير كوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش . واستقر في الأمر وكتب له منشوراً بالوزارة وتفويض امور الخلافة اليه .

ولما لم يبق له منازع أتاه أجله (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ، وتوفي في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة ، فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام وهي ابتداء الدولة الأيوبية . وكان شير كوه وأيوب ابني شادى من بلدوين واصلهما من الاكراد وخدما عماد الدين زنكي ثم ولده نور الدين محمود ، وبقيا معه الى ان ارسل

شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى حتى ملكها وتوفي في هذه السنة على ما ذكرناه.

ولما توفي شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية. فأحضر العاضد صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه الملك الناصر وثبت قدمه على انه نائب لنور الدين يخطب له على المنابر بالديار المصرية وكان نور الدين يكتب لصلاح الدين الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيماً عن ان يكتب اسمه ، وكان لا يفرده بكتاب بل الى الأمير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا .

ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نورالدين أباه ايوب واهله ليتم له السرور وتكون قضيته مشاكلة لقضية يوسف الصديق عليه السلام . فأرسلهم اليه نورالدين فوصل والده اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة .

وسلك مع والده من الأدب ما جرت به عادته ، وألبسه الأمر كله فأبى ان يلبسه ، فحكمه في الخزائن كلها . واعطى صلاح الدين أهله الاقطاعات بمصر وتمكن من البلاد وضعف امر العاضد .

وفي هذه السنة وهي سنة خمس وستين وخمسمائة سار الافرنج الى دمياط وحاصروها ، وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح ، فحاصروها خمسين يوماً . وخرج نورالدين فأغار على بلادهم بالشام ، فرحلوا عائدين على اعقابهم ولم يظفروا بشيء منها .

وفي سنة ست وستين وخمسمائة سار صلاح الدين من مصر فغزا بلاد الافرنج قريب عسقلان والرملة ، وعاد الى مصر . ثم خرج الى ايلة وحاصرها وهي للافرنج على ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحاصرها براً وبحراً وفتحها في العشر الأول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها . وعاد الى مصر وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ، ورتب قضاة شافعية ، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين .

ثم لما دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة اقيمت الخطبة العباسية بمصر وقطعت خطبة العاضد لدين الله ، وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية .

وكان سبب الخطبة العباسية بمصر : انه لما تمكن الملك الناصر صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الأسدي وكان خصياً ابيض ، وبلغ نور الدين ذلك ، ارسل الى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع خطبة العلويين وإقامة الخطبة العباسية . فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة ، فلم يلتفت اليه نور الدين واصر على ذلك . وكان العاضد قد مرض ، فأمر صلاح الدين الخطباء ان يخطبوا للمستضيء بأمر الله هو ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد ويقطعوا خطبة العاضد . فامتثلوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عنزان .

وكانت قد قطعت الخطابة لبني العباس من ديار مصر في سنة تسع وخمسين وثلثمائة في خلافة المطيع لله العباسي حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز بالله الفاطمي باني القاهرة الى هذا الآن وذلك مائتا سنة وثمان سنين .

وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلم احد من أهله بقطع خطبته . فتوفي العاضد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة ولم يعلم بقطع خطبته .

واستولى صلاح الدين على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه ، وكانت كثرته تخرج عن الاحصاء . ونقل اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم وخلا القصر من سكانه (كأن لم يغن بالأمس) . وهذا العاضد هو آخر خلفاء الفاطميين .

وجملة مدتهم من حين ظهور جدهم المهدي بالله عبيد الله بجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في التاريخ المذكور مائتان وسبعون سنة ونحو شهر . وهذا دأب الدنيا لم تعط إلا واستردت ، ولم تحل إلا وتمررت ولم تصف إلا وتكررت ، بل صفوها لا يخلو من الكدر . وانقرضت دولتهم في خلافة المستضيء بأمر الله العباسي - كما تقدم - .

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة أيام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدام المنسوبة الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الأعلام السود .

ثم توفي والد الملك صلاح الدين وهو الملك الأفضل نجم الدين ابو الشكر ايوب وكان ولده غائباً عن القاهرة في جهة الكرك ، لأنه كان قصدها لغزو الافرنج فلما عاد وجد اباه قد مات . وسبب موته : انه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقع فحمل الى قصره وبقي أياماً ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وكان خيراً عاقلا حسن السيرة كريماً كثير الاحسان . ودفن الى جانب اخيه شيركوه ، ثم نقلا بعد سنتين الى المدينة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام .

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة فتوفي فيها الملك العادل نور الدين الشهيد هو ابو القاسم محمود بن الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي بن اق سنقر تغمده الله برحمته . ومولده في شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة ، وكانت وفاته يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة وكان ملكه لدمشق في سنة تسع واربعين وخمسمائة بعد ان ملك حلب وغيرها من قبل ذلك ، وكان ملكاً عادلا مجاهداً خيراً فتح الفتوحات واتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن ومصر وخطب له في الدنيا على جميع منابر الاسلام وبنى السبل والمكاتب واكمل سور المدينة الشريفة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله وزهده رضي الله عنه .

واستقر بعده في الملك بدمشق ولده الملك الصالح اسماعيل ، فقصد الملك الناصر صلاح الدين دمشق وأخذها ، وكان الصالح توجه الى حلب ليقيم بها .

وثبتت قدم الملك صلاح الدين وقرر امر دمشق ، وكان دخوله اليها في سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة . ثم سار الى حمص وحماه وملكهما ، ثم الى حلب وحاصرها فلم يقدر على اخذها لأن اهلها صدوه عنها محبة في الملك الصالح

وآخر الأمر وقع الاتفاق ان يكون للملك الناصر صلاح الدين ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه ، فصالحهم على ذلك.

ورحل عن حلب واخذ عدة اماكن وقلاع ممن هي بيده ثم عاد الى مصر .

فلما توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في سنة سبع وسبعين وخمسمائة استقر بعده في الملك بحلب عمه عز الدين مسعود .

ثم استقر بحلب عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ،واستقر مسعود بسنجار بتراضيهما .

ثم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في خامس المحرم سار الملك الناصر صلاح الدين عن مصر الى الشام ولم يعد بعد ذلك الى مصر الى ان توفي ، وسار في طريقه على بلاد الافرنج وغنم ووصل الى دمشق فى صفر . ثم سار في ربيع الأول ونزل قرب طبرية وشن الأغارة على بلاد الافرنج مثل بيسان وجبين والغور فغنم وقتل . ثم سار الى بيروت وحاصرها وأغار على بلادها . ثم سار الى عدة بلاد .

وفي السنة المذكورة وهي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الافرنج المقيمون بالكرك والشوبك المسير لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل . فأنشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفناً حملها على البر الى بحر القلزم وركب فيها الرجال . وسارت الافرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة .

فكان السلطان صلاح الدين على حوران ، فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر يأمره بتجهيز حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو .

فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى ادركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية إلا مسافة يوم ، وكانوا نيفاً وثلثمائة وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة ففرت العربان ، والتجأ الافرنج الى رأس جبل صعب المرتقى . فصعد اليهم في نحو

عشرة انفس وضايقهم فيـه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان ، وقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهود ٠

وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وارباب الديانة بعد ما ساق رجلين من اعيان الافرنج الى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة ٠

ثم في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ملك حمص وآمد وعنتاب وغيرها ، ثم سار الى حلب وحاصرها واخذها من صاحبها عمادالدين زنكي ابن مودود بن عمادالدين وعوضه عنها سنجار وما معها وتسلم حلب في صفر من هذه السنة ٠

ومن الاتفاقات العجيبـة ان محيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق مـدح السلطان بقصيدة منها :

وفتحـكم حلباً بالسيف في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين على ماسنذكره ان شاءالله تعالى ٠

وفي سنة ثمانين وخمسمائة غزا السلطان الكرك وضيق على اهلها من الافرنج وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وحصل بين المسلمين والافرنج القتال ، فرحـل عنها وسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتـل وأسر وسبى ، وعاد الى دمشق ٠

وفي سنة احدى وثمانين وخمسمائة ملك ميافارقين ٠

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة أحضر السلطان ولده الملك الأفضل من مصر فأقطعـه دمشق ، ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل ولده العزيز عثمان نائباً عنه بمصر ، واستدعى نائبه بمصر ـ هو ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه ـ وزاده على حمـاه سنج والمعرة وكفر طاب وميافارقين ٠ واستقر العزيز عثمان والعادل ابو بكر في مصر ٠

واستمر الحال على ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فيها كانت الوقعة العظيمة التي فتح الله بها بيت المقدس وغيره على يد السلطان الأعظم

والليث الهمام المقدم سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر ... والمتمردين جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان رافع علم العدل والاحسان خادم الحرمين الشريفين منقذ البيت المقدس من اهل الزيغ والطغيان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شادى تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيراً . وذلك في ايام الامام الأعظم والخليفة الاكرم امير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين وارث الخلفاء الراشدين الامام الناصر لدين الله هو ابو العباس احمد بن الامام المستضيء بالله بن محمد بن الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفي لأمر الله أبي عبد الله ابي العباس محمد بن الامام المستظهر بالله احمد بن الامام المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن الامام القائم بأمر الله ابي جعفر عبد الله بن الامام القادر بالله ابى العباس احمد بن الأمير اسحاق بن الامام المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق بالله أبي احمد طلحة بن الامام المتوكل على الله ابى الفضل جعفر بن الامام المعتصم بالله ابى اسحاق محمد بن الامام الرشيد ابى جعفر هارون بن الامام المهدي ابى عبد الله محمد بن الامام المنصور ابي جعفر عبد الله باني مدينة السلام بغداد ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وعن اسلافه الطاهرين .

وقد حكي : ان السلطان لما كثرت فتوحاته في السواحل واوجع فيهم بسهامه وسطوته ، وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الابطال والعدة لكونه كرسي دين النصرانية . وكان في بيت المقدس شاب مأسور من اهل دمشق كتب هذه الأبيات وارسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس فقال :

يا ايها الملك الذي لمعالم الصلبان نكس
جاءت اليك ظلامة تسعى من البيت المقدس

كل المساجد طهرت وأنا على شرفي منجس

فكانت هذه الأبيات هي الداعية له الى فتح بيت المقدس . ويقال : ان السلطان وجد في ذلك الشاب اهلية فولاه خطابة المسجد الأقصى .

وكان السلطان الملك الناصر رحمه الله لما عزم على الفتح كتب يستدعي للجهاد من جميع البلاد . وبرز من دمشق يوم السبت مستهل شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قبل اجتماع العساكر عليه وحضور من استنفره للجهاد اليه وسافر بمن معه من عسكره ، وخيم على قصر سلامة من بصرى على سمت الكرك خوفاً على الحاج من صاحب الكرك البرنس ارناط ، فانه كان شديد العداوة للمسلمين مقداماً على الشر وإثارة الحروب ، وكان قد عزم على أسر الحجاج . فلما أحس بنزول السلطان قريباً منه ، عاد وأقام بحصنه خشية على نفسه . فوصل الحاج في اول صفر الى وطنهم بدمشق واطمأنت فكرة السلطان عليهم .

وانتظر السلطان وصول العسكر المصري فأبطأ عليه ، فأمر ولده الملك الأفضل نور الدين علياً ان يقيم برأس الماء ويجمع العساكر الواصلة اليه . وتوجه السلطان ومن معه الى الكرك وضياعه فأحرق فيها ونهب واسر ، وسار الى الشوبك ففعل كذلك . ووصل اليه عسكر مصر . واستمر على هذا الحال شهرين والملك الأفضل مقيم برأس الماء في جمع عظيم ينتظر ما يأمره به والده .

ثم قوى عزمه على طبرية فسار بمن معه ووصل الى صفورية فخرج اليهم الافرنج في جمع كبير والتقى الفريقان ، فنصر الله المسلمين وظفرهم بالمشركين فقتلوا منهم واسروا ، وعد ذلك من حسن تدبير الملك الأفضل . فوردت البشائر على السلطان بالكرك .

ثم سار السلطان واجتمع به ولده ، وقد كثر عسكر الاسلام واجتمع واشتد عزمهم على الجهاد وقوى . وسمع الافرنج بما هم فيه من الكثرة وتحققوا انهم

مأخوذون . وكان بينهم خلف وتنافر ، فشرعوا حينئذ في الصلح وتوافقوا على اجتماع الكلمة .

ثم ان السلطان سار بالعسكر الى ديار الافرنج بعد ان رتب العسكر واستعرضه ورحل على هيئة عظيمة يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر وخيم على جبين ثم اصبح سائراً ونزل على الاردن وهو نهر الشريعة . والافرنج قد تأهبوا للحرب بصفورية ورتبوا جيوشهم ورفعوا صلبانهم وكانوا نحو خمسين الفاً واكثر والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويراميهم .

﴿ فتح طبرية ﴾

ثم قوى عزمه على طبرية فسار اليها ونزل عليها واحضر الحجارين والنقابين وامرهم بالهدم والنقب ، وكان ذلك يوم الخميس . فنقبوا في برج فهدموه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل .

فلما بلغ الافرنج ذلك اعتدوا وشدوا عزمهم وعلموا ان طبرية متى اخذت تؤخذ منهم جميع البلاد ، فاجتمع الافرنج مع ملوكهم وساروا بفارسهم وراجلهم نحو السلطان . فبلغ السلطان ذلك يوم الجمعة فما كذب الخبر واستخار الله تعالى وسار بعسكره .

وجاء يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر والافرنج سائرون الى طبرية فرتب السلطان الاطلاب في مقاتلتهم ، فحال الليل بين الفريقين .

﴿ وقعة حطين - وهى الوقعة العظمى ﴾

فلما اسفر الصبح ثار الحرب بين الفريقين وصاح المسلمون صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ووقع البطش في الافرنج ومكن الله المسلمين منهم . فأووا الى جبل حطين - وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه الصلاة والسلام - وانهزم القمس حين أحس بالكسرة وذلك قبل اضطراب الجمع . فدهمهم المسلمون

ومالوا عليهم من كل جانب فتثبتوا ، فأحاط بهم عسكر الاسلام واوقدوا حولهم النيران فانه كان تحت اقدام خيولهم حشيش ، فأمر السلطان بالقاء النار فيه .فاجتمع عليهم حر الشمس وحر النار واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر ووقع السيف فيهم واشتد القتال فنصر الله المسلمين واطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وأبادوا الافرنج قتلا واسراً ، وأسروا ملكهم ومن معه . وسميت هذه الوقعة : وقعة حطين ، وهي من الوقعات المشهورة . وقتل من الافرنج ثلاثون الفاً من شجعانهم وفرسانهم .

رؤي بعض الفلاحين وهو يقود نيفاً وثلاثين اسيراً قد ربطهم في طنب خيمته وباع منهم واحداً بنعل لبسه في رجله . فقيل له في ذلك ، فقال : احببت ان يقال باع أسيراً بمداس .

وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى ، فأول من قدم اليه مقدم الراوية وعدة كثيرة منهم ومن الاستبارية واحضر الملك كى واخاه جفرى وأود صاحب جبيل وهنفرى والبرنس ارباط صاحب الكرك وهو اول من اسر ، وكان السلطان قد نذر دمه وأقسم انه اذا ظفر به يعجل باتلافه ، لأنه كان قد عبر به بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم . فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقصد المسير الى المدينة ومكة المشرفة ـ كما تقدم ذكره ـ وبلغ ذلك السلطان فحملته الحمية الدينية على ان نذر دمه .

ولما فتح الله عليه بنصره وجلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى ، فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجنب السلطان وقرّعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وذكره بذنبه من حلفه وحنثه ونقضه العهود والمواثيق . فقال الترجمان : انه يقول : قد جرت بذلك عادة الملوك .

وكان الملك كى يلهث من الظما فآنسه السلطان وسكن رعبه ، واتي بماء

مثلوج فشرب منه ، ثم ناوله البرنس فأخذه من يده فشرب به الملعون . فقال السلطان للملك : ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني فيكون اماناً له .

ثم نصبت له الخيام ، فلما جلس في خيمته أحضر البرنس ، فلما اقبل عليه أوقفه بين يديه وقال له : ها أنا انتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الاسلام فلم يقبل فبادره وضربه بالسيف فصرعه ، ثم أمر برأسه فقطع وجر برجله قدام الملك . فارتاع وانزعج ، فعرف السلطان منه ذلك فاستدعاه وأمنه وطمنه وقال : لما غدر غدرنا به لأنه تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وكانت هذه النصرة للمسلمين في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر . وبات الناس في تلك الليلة على أتم ترفع اصواتهم سرور بحمد الله تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر .

وأما الصليب الأعظم عندهم فان المسلمين استولوا عليه يوم المصاف ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصلبوت وهو الذي اذا رفع ونصب سجد له كل نصراني وركع ، وهم يزعمون انه من الخشبة التي صلب عليها معبودهم . وقد غلفوه بالذهب وكللوه بالجوهر وكان اخذه عندهم اعظم من اسر الملك ، وعظمت مصيبتهم بأخذه .

ثم نزل السلطان على صحراء طبرية وندب الى حصنها من تسلمه بالأمان وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته ونقلت اليه كل ما تملكه ، فأمنها على اصحابها واموالها وخرجت بمن معها الى طرابلس بلد زوجها القمس . وصارت طبرية للمسلمين وعين لولايتها صارم الدين قيماز اصنجي ، وكان من الأكابر والسلطان نازل ظاهر طبرية .

فلما اصبح يوم الاثنين سابع عشر من ربيع الآخر طلب السلطان الاسارى من الداوية والاستبارية ، فأحضر العسكر منهم في الحال مائتين ، وامر بضرب اعناقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف فسأل كل واحد في قتل واحد فقتلوا بحضرة السلطان . ثم سير ملك الافرنج واخاه وهنفرى وصاحب جبيل

ومقدم الزاوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق وسجنهم .

﴿ فتح عكا ﴾

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء بمن معه من العساكر الاسلامية ونزل عشية بأرض لوبيا ، فلما اصبح سار . وكان في صحبته الأمير عز الدين ابو فليسة القاسم ابن المهنى الحسيني أمير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام وكان حضر تلك السنة صحبة الحجاج وهو ذو شيبة نيرة وحضر مع السلطان هذا الفتح جميعه .

فأقبل السلطان على عكا وخيم قريباً منها واصبح يوم الخميس ركب لحربها فخرج اهل البلد يطلبون الأمان . فأمنهم وخيرهم بين المقام والانتقال ، وامهلهم اياماً حتى ينتقل من يختار النقلة . فأسرع الافرنج في الخروج منها ، ودخل الجند واستولوا على الدور ونزلوا بها وغنموا منها شيئاً كثيراً .

وكان السلطان جعل للفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالزاوية من منازل وضياع فأخذها بما فيها . ووهب عكا لولده الملك الأفضل .

ودخلها المسلمون مستهل جمادى الاولى وصليت الجمعة بها وجعلت الكنيسة العظمى مسجداً جامعاً ورتب فيه القبلة والمنبر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي نجيب السهروردى وتولى بها القضاء والخطابة .

وأقام السلطان في خيمة بباب عكا على التل وكتب لأخيه الملك العادل سيف الدين ابي بكر وهو بمصر يعلمه بالفتح ، فوصلت البشائر للسلطان بوصوله وانه فتح في طريقه حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة وغنم ما فيها . فتوجه اليه القصاد من اخيه السلطان الملك وانعم عليهم مما غنمه وسباه بشيء كثير . واستمر السلطان مقيا بمخيمه وفرق الامراء لفتح البلاد المجاورة وأمدهم بالعساكر .

﴿ فتح الناصرة وصفورية ﴾

فسار مظفر الدين كوكبوري صاحب اربد الملقب بالملك المعظم الى الناصرة ومعه حسام الدين ابن طومان وفتحها واخذ ما فيها وسبى نساءها واسر رجالها ·
واما صفورية فهرب اهلها فلم يجدوا بها احداً ، وكان بها من الأموال والذخائر ما لا يحصى ·

﴿ فتح قيسارية ﴾

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج وجماعة من الامراء الى قيسارية ففتحوها بالسيف واستولوا على ما فيها ، ثم تسلموا ارسوف ·

﴿ فتح نابلس ﴾

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس ، ووصل الى سبسطية فتسلمها ، ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة فأعاده مشهداً كما كان ، ثم قصد نابلس ونازلها وحاصرها ولم يزل مقيما عليها حتى استأمنوه ووثقوا بأمانه ثم سلموها وخلصت له نابلس واعمالها ، وكان معظم اهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين وكانوا في شدة عظيمة من الافرنج ·

﴿ فتح الفولة وغيرها ﴾

وكانت الفولة من احسن الحصون وفيها من العدد والأموال شيء كثير وكانت بجمعهم ، فلما كان يوم المصاف خرجوا بأجمعهم ، وحصل لهم ما حصل من القتل والحصر والأسر ولم يبق فيها إلا الاراذل فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان. وتسلموا جميع ما بتلك الناحية مثل دبورية وجبيين ودرعين والطوالية والمجون وبيسان والقيمون ، وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبعثة واسكندرية ·

﴿ فتح تبنين ﴾

ثم امر السلطـان ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بقصد حصن تبنين . فقصده واخذ في مضايقته وطال حصاره ، فأرسلوا الى السلطان وسألوه الأمان واستمهلوا خمسة أيام ، فامهلوا بعد ان بذلوا رهائن واطلقوا ماعندهم من الاسرى . فسر السلطان بذلك واحسن الى المأسورين ، وكان هذا دأبه في كل بلد يفتحـه . فخلص في تلك السنـة من الأسرى اكثر من عشرين الف أسير . وأخلوا القلعة .

ثم ساروا الى صور صحبة جماعـة من عسكر السلطان ، ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوري واوصاه بحفظها .

وكان النزول على تبنين يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى ، وتسلمهـا يوم الاحد الثامن عشر منه .

﴿ فتح صيدا ﴾

نزل السلطان عليها يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى وهي مدينة لطيفة على الساحل بها انهار وبساتين وأشجار ، فجاءت رسل صاحبها بمفاتيحها وقد أخلاهـا . وتسلمها السلطان ، ونصبت عليها رايات الاسلام ، واقيمت بهـا الجمعة والجماعة .

﴿ فتح بيروت ﴾

ثم سار السلطان الى بيروت ، وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى ، ووقع القتال واشتد ، ثم نقب السور حتى كاد يقع البرج ، وضاق الأمر بهم فطلبوا الأمان وان يكتب لهم السلطان مثالا بذلك ، فكتب لهم وأمنهم . وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى .

﴿ فتح جبيل ﴾

ولما كان السلطان على بيروت وصل اليه كتاب الصفي بن القابض من دمشق يتضمن ان اود صاحب جبيل اذعن بتسليمها ويطلق فرسم السلطان باحضاره وهو مقيد . فاحضر بين يديه وسمح بتسليم بلده ، وتسلمها السلطان واطلقه . ولم تكن عاقبة اطلاقه حميدة فانه كان من اعظم الافرنج واشدهم عداوة للمسلمين . وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين وكانوا في ذل كبير من مساكنة الافرنج ففرج الله عنهم .

وكان تسليم جبيل في يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الاولى والسلطان يومئذ على بيروت . وكان كل من استأمن من الكفار مضى الى صور وصارت منزلهم ، وهي التي فرّ القمس اليها يوم كسرتهم على حطين .

﴿ هلاك القمس ودخول المركيس الى صور ﴾

لما عرف القمس قرب السلطان منها أخلاها وتوجه الى طرابلس فهلك بها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام ، واتفق وصوله الى ميناء عكا ولم يعلم بفتحها ولا ما فيها من المسلمين . فلما قدم عليها تعجب من أهلها لكونهم لم يتلقوه ، ورأى من فيها غير هيئة النصارى فارتاب لذلك وسأل عن الحال فأخبروه بما وقع ، ففكر في النجاة وقصد الفرار فلم تهب له ريح ، وسأل عن البلد ومن اليه امره ، فقيل له : الملك الأفضل فقال: خذوا لي منه أماناً ، حتى ادخل فجيء اليه بالأمان ، فقال : ما أثق إلا بخط يده . فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فأقلع وتوجه الى صور وضبطها بمن فيها وارسل رسله الى الجزائر يستعدي ويستنفر . وثبت في صور وبقي كلما فتح السلطان بلداً بالأمان يسير اهلها في حفظ السلطان الى صور ، فاجتمع اليه اهل

البلاد المفتوحة بأجمعهم. وشرع المركيس يحفر الخندق ويحكمه . وسنذكر ما كان من امره إن شاء الله تعالى .

﴿ فتح عسقلان وغزة والرملة والداروم وغيرها ﴾

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة . ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل عاد عابراً على صيدا وصرفند ، وجاء الى صور ولم يكترث بأمرها . وكان قداستحضر ملك الافرنج ومقدم الراوية وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الأسر اذا تمكن من بقية البلاد ، فأزعج المركيس بصور واشتد خوفه .

واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل واتفقا على المسير ، ونزل على عسقلان وحاصرها ورماها بالمناجيق واشتد القتال ، وراسلهم عندذلك الملك المأسور واشار عليهم بعدم مخالفته ، وترددت الرسل . ثم اذعنوا بأنهم يسلمون عسقلان على ان يخرجوا بأموالهم بعد اخذهم الميثاق واليمين وذلك في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة فكان حصارها اربعة عشر يوماً . وكان بين فتح عسقلان واخذ الافرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة ، فانهم كانوا اخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة .

وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبار ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير استشهد .

وكان السلطان قد اخذ في طريقه اليها الرملة ويبنا وبيت لحم والخليل ، وأقام بها حتى تسلم حصون الداروم وغزة والنطرون وبيت جبريل . واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان بعسقلان ، فقرت عينه بقدومه واعتضد به . وكان قد استدعى الأساطيل فحضرت والحاجب لؤلؤ مقدمها ، وشرع يقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له في جزائر البحر . وسنذكر ذلك في محله إن شاء الله تعالى .

﴿ فتح بيت المقدس ﴾

ثم رحل السلطان من عسقلان الى القدس الشريف وسمع خبره من في القدس فاشتد رعبهم ، وكان بها من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الأعظم ومن كلا الطائفتين الاستبارية والراوية ، وضاقت بهم منازلهم فأخذوا في تدبير انفسهم وأيسوا وصاروا في هرج ومرج واشتد بهم الكرب .

واقبل السلطان بعساكر الاسلام وهو في ابهته وهيئته المرهبة ، ونزل على القدس الشريف من جهة الغرب يوم الأحد خامس عشر رجب . وكان في القدس يومئذ ستون الف مقاتل من الافرنج وقد وقفوا دون البلد للمبارزة وقاتلوا أشد القتال . واستمر الحرب بين الفريقين فانتقل السلطان يوم الجمعة لعشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم هناك وضيق على الافرنج ونصب المناجيق ورمى بها حتى تهدم غالب السور ، ثم اخذ المسلمون في نقب السور مما يلي وادي جهنم ، واشتد القتال وتباشر اهل الاسلام بالفتح (وكان يوماً عسيراً . على الكافرين غير يسير) . فبرز من الافرنج ابن بارزان ليطلب الأمان من السلطان فلم يجبه السلطان الى ذلك وقال : لا آخذها إلا بالسيف مثل ما أخذها الافرنج من المسلمين .

فتعرضوا للتضرع وعاودوه في طلب الأمان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم إن ايسوا من الأمان قاتلوا خلاف ذلك ولا يجرح احد منهم حتى يجرح عشرة ويخربوا الدور وقبة الصخرة ويقتلوا كل من عندهم من اسارى المسلمين – وهم الوف – ويعدموا ما عندهم من الأموال وكذلك الذراري .

فعقد السلطان محضراً للمشورة واحضر اكابر دولته واكثر عساكره وشاورهم في الأمر ودار الكلام بينهم واجتمع رأيهم على الصلح بشرط ان يؤدي كل من بها من الرجال عشرة دنانير ومن النساء خمسة ويؤدى عن الطفل ديناران وأي من عجز عن الأداء كان أسيراً .

فأجاب الافرنج الى ذلك ، ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدم الراوية والاستبارية في الضمان ، وبذل ابن بارزان ثلاثين الف دينار عن الفقراء . وسلموا البلد يوم الجمعة قبيل الظهر وقت الصلاة السابع والعشرين من رجب على هذا الشرط ولم تتفق يومئـذ صلاة الجمعة لضيق الوقت . وكان فيه اكثر من مائة الف انسان من الرجال والنساء والصبيان . واغلقت ابواب المدينـــة ورتب النوّاب لعرضهم واستخراج المال منهم ، ووكل بكل باب أمين ومقدم كبير يضبط من يدخل ويخرج فمن أدى ما عليه مكن من الخروج ومن لم يؤد قعد في الحبس . وحصل التفريط من العمال في المال وشرعوا يواطئون الافرنج في ذلك لارتشائهم منهم ، فمنهم من دلي من السور بالحبال ، ومنهم من ظهر مختفياً ، ومنهم من وقعت فيه شفاعة .

وكانت في القدس ملكة مترهبة ولها مال كثير فمنّ عليها السلطان بالافراج ولم يتعرض منها الى شيء ، وكانت زوجة الملك المـأسور ابنة الملك أيادى فخلصت بمن معها ومن تبعها ، وكذلك الابرنسانية ابنة فليب ام هنفرى اعفيت من الوزن . واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائـة ارمني ادعى انهم من بلده وانهم حضروا للزيارة . وطلب مظفر الدين كوكبوري الف ارمني ادعى انهم من الزهاد فأطلقهم السلطان .

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل ديوان منها عـدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين ، فمن أخذ من احد من الدواوين خطاً بالأداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من الباب من الامناء والوكلاء .

وحصل من الامنـاء مواطأة واختلاس كثير في المال ، ومع ذلك حصـل لبيت المال ما يقارب مائة الف دينار . وبقي من الافرنج جماعة في الأسر لعدم القيام بما عليهم .

﴿ ذكر يوم الفتح ﴾

وهو يوم سابع عشري رجب - كما تقدم - واتفق فتح بيت المقدس في يوم كان مثل ليلة معراج النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت الأعلام الاسلامية على اسواره وجلس السلطان للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء ، وهو جالس على هيئة التواضع وعليه الابهة والوقار وحوله اهل العلم والفقهاء وعليهم السكينة والجلال . وقد ظهر السرور على اهل الاسلام بنصرتهم على عدوهم المخذول · وزينت بلاد الاسلام لفتح بيت المقدس وتسامع الناس بهذا النصر والفتح فوفدوا للزيارة من سائر البلاد ·

واما الافرنج فشرعوا في بيع أمتعتهم واستخراج ذخائرهم وباعوها بالهوان وتقاعد الناس في الشراء فابتاعوها بأرخص ثمن ، وكان ما يساوي عشرة دنانير يباع بأقل من دينار ، واخذوا ما في كنائسهم من اواني الذهب والفضة والستور وجمع البطرك كل ما كان على القبر من صفائح الذهب والفضة وجميع ما كان في القمامة فقال العماد الكاتب للسلطان : هذه اموال جزيلة تبلغ مائتي الف دينار والأمان في اموالهم لا على اموال الكنائس والديارات فلا تتركها لهم . فقال السلطان : اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر فنحن نجريهم على ظاهر الأمان ولا ندعهم يتكلمون في حق المسلمين وينسبونهم الى الغدر والنكث بل ندعهم يثنون عنا الجميل. فأخذ الافرنج ما خف حمله وتركوا ما ثقل ·

وانتقل بعضهم الى صور وبقي منهم زهاء خمسة عشر الفاً لم يؤدوا ما شرط عليهم فدخلوا في الرق ، وكان الرجال نحو سبعة آلاف فاقتسمهم المسلمون واحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة ·

وما اصيب الافرنج من حين خرجوا الى الشام في سنة تسعين واربعمائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة . ووصل المستنفرون من الكفار الى اقصى بلاد الافرنج

ومثلوا صورة المسيح عليه السلام وصورة النبي صلى الله عليه وسلم وهو بيده عصا وهو يقصد المسيح ليضربه والمسيح منهزم منه ، وأقاموا الشناع والغوغا في بلادهم لذلك ، واشتد ملوكهم واعتدوا وجهزوا العساكر لقصد بلاد الاسلام ومحاربة الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى .

ولما استقر بيت المقدس مع المسلمين وطهره الله من المشركين سأل النصارى في الاقامة به ببذل الجزية وان يدخلوا في الذمة فأجيبوا الى ذلك .

ولما تسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب وكان الراوية قد بنوا في وجهه جداراً وتركوه هوياً ، وقيل : اتخذوه مستراحاً وبنوا غربي القبلة داراً وسيعة وكنيسة . فهدم ما قدام المحراب من الأبنية ونصب المنبر واظهر المحراب ونقض ما احدثوه بين السواري وفرش المسجد بالبسط وعلقت القناديل . وكان يوماً مشهوداً ظهر فيه عز الاسلام ، وعلت كلمة الايمان ، وبطلت نغمات القسس والرهبان ، وعلت اصوات اهل التوحيد بالقرآن ، وخرس الناقوس وسمع الاذان ، وعزل الانجيل وتولى القرآن ، وبطل ما كان بالمسجد الأقصى من الكفر والطغيان ، وعبد فيه الملك الديان .

وقد تقدم ان من الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين زكي قاضي دمشق لما فتح السلطان صلاح الدين حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة مدحه بقصيدة منها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال ، وفتح القدس في رجب ـ كما تقدم ـ فقيل لمحيي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : اخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى : (الم غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) وكان الامام ابو الحكم ابن برجان الاندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمسمائة وبيت المقدس إذ ذاك في يد الافرنج لعنهم الله تعالى .

قال ابن خلكان في تاريخه ـ في ترجمة ابن الزكي ـ : ولما وقفت انا على

هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل اطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة قال : ولكن رأيت هذا الفصل مكتوباً على الحاشية بخط غير الأصل ولا ادري هل كان من اصل الكتاب أم هو ملحق . وذكر له حساباً طويلا وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله (في بضع سنين) انتهى .

﴿ ذكر اول خطبة بعد الفتح ﴾

ولما فتح السلطان القدس تطاول الى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعاً في ان يكون هو الذي يعين لذلك ، والسلطان لا يعين الخطبة لأحد .

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان واجتمع الناس لصلاة الجمعة حتى امتلأ الجامع ونصبت الأعلام على المنبر ، وتكلم الناس فيمن يخطب والأمر مبهم حتى حان الزوال وأذن المؤذن للجمعة ، فرسم السلطان وهو بقبة الصخرة للقاضي محيي الدين محمد بن زكي الدين علي القرشي ان يخطب ، وهي اول جمعة صليت بالمسجد الاقصى الشريف بعد الفتح . وأعاره العماد الكاتب اهبة سوداء كانت عنده من تشريف الخلافة لبسها في الحال .

فلما رقى على المنبر استفتح بسورة الفاتحة فقرأها الى آخرها ثم قال: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

ثم قرأ اول سورة الانعام : (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلاً واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون * وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) .

ثم قرأ من سورة سبحان الذي اسرى : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) .

ثم قرأ من سورة الكهف ـ اولها ـ : (الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما * لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً ما كثين فيه ابداً * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون إلا كذبا * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) .

ثم قرأ من سورة النمل : (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير مما يشركون) .

ثم قرأ من سورة سبأ : (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) .

ثم قرأ من سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) .

ثم شرع في الخطبة فقال : الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الامور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره الذي قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، واظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلاينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع . احمده على اظفاره واظهاره ، واعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من ادناس الشرك واوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وارضى به ربه ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض الشرك ، ورافض الافك، الذي اسرى به ليلا

من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه الى السماوات العلى (الى سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى) صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته ابي بكر الصديق السابق الى الايمان، وعلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب اول من رفع عن هذا البيت شعائر الصلبان، وعلى امير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان، وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان.

ايها الناس ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا، لما يسره الله على ايديكم من استرداد هذه الضالة من الامة الضالة وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها في ايدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي اذن الله ان يرفع ويذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد ان امتد عليها رواقه، واستقر فيها رسمه، ورفع قواعده بالتوحد، فانه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد، فانه اسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه، فهو موطن ابيكم ابراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام، وهو مقر الانبياء، ومقصد الاولياء، ومدفن الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل ينزل به الأمر والنهي، وهو ارض المحشر، وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين، وهو المسجد الأقصى الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم وروحه عيسى الذي اكرمه برسالته وشرفه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته، فقال تعالى: (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون * كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيداً * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى

عما يشركون * لقـد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعاً * ولله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعـذب من يشاء * ولله ملك السمـاوات والارض وما بينهما واليه المصير * يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير * فقـد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) .

وهو اول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا اليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، فلولا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاكم من سكان بلاده ، لما خصكم الله بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم في شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على ايديكم المعجزات النبوية ، والوقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العلوية ، جددتم للاسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ، والهجمات الخالدية . فجزاكم الله عن نبيه محمـد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقربتم به اليه من اهراق الدماء ، واثابكم الجنة فهي دار السعداء ، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرهـا وقوموا لله قانتين بواجب شكرها فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له ابواب السماء ، وتبلجت بأنوار وجوده الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقر به عينـا الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم من النعمة ان جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقـدس في آخر الزمان ، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعـد فترة من النبوة اعلام الايمان فيوشك

ان يفتح الله على ايديكم امثاله وان يكون التهاني لأهل الخضراء اكثر من التهاني لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في محكم خطابه فقال تعالى : (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) ؟ أليس هو البيت الذي عظمته الملل واثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ أليس هو البيت الذي امسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع ان تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت الذي امر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي امضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل وقد فضلت على العالمين ، ووفقكم لما خذلت فيه امم كانت قبلكم من الامم الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، واغناكم بما امضته كان وقد عن سوف وحتى ، فليهنكم ان الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهويتكم جنده وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما اهديتم لهذا البيت من طيب التوحيد ، ونشر التقديس والتمجيد ، وما امطتم عن طرقهم فيه من اذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاجر الخبيث ، فالآن تستغفر لكم املاك السماوات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها وسلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ورجوع القهقرى ، والنكول عن العدى ، وخذوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقى من الغصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله انفسكم في رضاه إذ جعلكم من خيار عباده ، وإياكم ان يستزلكم الشيطان ، وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى مواطن الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . فاحذروا

عباد الله بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، واعلق ايديكم بحبله المتين ، ان تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وان تأتوا عظيما من معاصيه (فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) ، والجهاد فهو من افضل عباداتكم ، واشرف عاداتكم، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم اذكرو الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، خذوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا اصوله ، فقد نادت الأيام بالثارات الاسلامية ، والملة المحمدية ، الله اكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، اذل الله من كفر . واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانتهزوها ، وفريسة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وابرزوها ، وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها ، فالامور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقدأظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم او يزيدون ، فكيف وقد اضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون فقد قال تعالى : (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) . أعاننا الله وإياكم على اتباع اوامره ، والازدجار بزواجره ، وايدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) . ان أشرف مقال يقال في مقام ، وانفذ سهام تمرق عن قسي الكلام ، وامضى قول تحلى به الافهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلام ، قال الله تعالى : (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (سبح لله مافي السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم *هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر

ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الأبصار) .

ثم قال : آمركم وإياي عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه وانهاكم وإياي عما نهي الله عنه من قبح المعصية فلا تعصوه ، اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه .

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مقتصرة ، ثم دعا للامام الناصر خليفة العصر ثم قال :

اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك الممانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر ، جامع كلمة الايمان ، وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس من ايدي المشركين ، ابي المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة امير المؤمنين . اللهم عم بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، واحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه . اللهم ابق للاسلام مهجته ، ووف للايمان حوزته ، وانشر في المشارق والمغارب دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون ، وابتلي المؤمنون ، فافتح على يديه داني الارض وقاصيها ، وملكه صياصي الكفرة ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها . اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه ، وانفذ في المشارق والمغارب امره ونهيه . اللهم واصلح به اوساط البلاد واطرافها ، وارجاء الممالك واكنافها . اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وارغم به انوف الفجار ، وانشر ذوائب ملكه على الامصار ، وابثث سرايا جنوده في سبل الاقطار . اللهم اثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين ، واحفظه في بنيه الغر الميامين ، واخوانه

اولي العزم والتمكين ، وشد عضده ببقائهم ، واقض باعزاز اوليائه واوليائهم . اللهم كما اجريت على يده في الاسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتجدد على ممر الشهور والاعوام ، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار المتقين ، وأجب دعاءه في قوله (رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وان اعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .

ثم دعا بما جرت به العادة ، ونزل وصلى .

ولما قضيت الصلاة انتشر الناس ، وكان قد نصب سرير الوعظ تجاه القبلة فجلس عليه الشيخ زين الدين ابو الحسن علي بن نجا الانصاري الحنبلي المعروف بابن نجية وعقد مجلساً للوعظ ، وكان واعظاً حسناً بليغاً .

وصلى السلطان الجمعة في قبة الصخرة ، وكانت الصفوف ملء الصحن . ثم رتب في المسجد الاقصى الشريف خطيباً .

وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس وعمل منبراً بحلب وتعب عليه مدة وقال : هذا لأجل القدس ، فأدركته المنية ، وكان الفتح على يد من أراد الله . فأرسل السلطان صلاح الدين من احضر المنبر من حلب وجعله في المسجد الاقصى ، وهو الموجود في عصرنا هذا .

واما الصخرة فقد كان الافرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحاً وجعلوا فيها الصور والتماثيل ، فأمر السلطان بكشفها ونقض البناء المحدث فيها ، واعادها كما كانت ورتب لها إماماً حسن القراءة ، ووقف عليها داراً وارضاً ، وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة ، ورتب للصخرة وللمسجد الاقصى خدمة .

وكان الافرنج قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحملوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى صقلية ، قيل : باعوها بوزنها ذهباً . ولما فتح السلطان القدس كان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فتسلق المسلمون وقلعوه ، فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور .

ثم شرع السلطان في العمارة وامر بترخيم محراب الاقصى ، وكتب عليها بالفصوص المذهبة ما قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة ٠

وشرع ملوك بني ايوب في فعل الآثار الجميلة بالمسجد الاقصى منهم الملك العادل سيف الدين ابو بكر اخو السلطان ٠

واما الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه فانه فعل فعلا حسناً وهو : انه حضر في قبة الصخرة مع جماعة وتولى بيده كنس ارضها ، ثم غسلها بالماء مراراً ثم اتبع الماء بماء الورد وطهر حيطانها وغسل جدرانها وبخرها ، ثم فرق مالا عظيما على الفقراء ٠ وكذلك الملك الافضل نور الدين علي والملك العزيز عثمان ، فعلا فيه انواعاً من البر والخير ووضع الاسلحة برسم المجاهدين في سبيل الله ٠

﴿ محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد ﴾

اما محراب داود عليه السلام : فهو خارج المسجد الاقصى في حصن عند باب المدينة وهو القلعة ، وكان الوالي يقيم بهذا الحصن ، ويعرف هذا الباب قديماً بباب المحراب والآن بباب الخليل . فاعتني السلطان بأحواله ورتب له إماماً ومؤذنين وقواماً ، وامر بعمارة جميع المساجد والمشاهد ، وكان موضع هذه القلعة دار داود عليه السلام ٠

وكان الملك العادل نازلا فى كنيسة صهيون واجناده في خيامهم على بابها وفاوض السلطان جلساءه من العلماء في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحة . فيقال : ان فيها قبر حنة ام

مريم وهي عند باب الاسباط . وعين للرباط دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامـة وبعضها راكب على ظهر قمامة ووقف عليهما اوقافاً حسنـة ، وأمر باغلاق كنيسة قمامة ومنع النصارى من زيارتها . واشار عليه بعض اصحابه بهـدمها ، ومنهم من أشار بعدم الهدم لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس أقرهم عليها ولم يهدمها .

وأقام السلطان على القدس على تسلم ما بقي بها من الحصون . ورحل الملك الأفضل الى عـكا ، ثم تبعه الملك المظفر الى عكا ايضاً .

ثم ان السلطان فرّق ما جمعه على مستحقيه من الجند والفقهاء والفقراء والشعراء ، فقيل له : لو ادخرت هذا المال لأمر يحدث . فقال : أملي بالله قوي .

وجمع الاسارى ـ وكانوا الوفا من المسلمين ـ فكساهم وأحسن اليهم ، وذهب كل منهم الى وطنـه .

ومكث السلطان على القدس ينظر في مصالحه ، وكان في خدمته الأمير علي بن أحمد المشطوب وكان معه (أهل) صيدا وبيروت وهما بقرب صور وخاف ان يفوته فتحها وكان يحث السلطان على المسير اليها . وكان المركيس عند اشتغال المسلمين بالقدس شرع في احكام سور حصنها وجعل لها خندقاً وضيق طريقها .

وكتب السلطان الى الخليفة الناصر لدين الله يعلمه بالفتح ، وكتب ايضاً الى الآفاق رسائل من إنشاء العماد الكاتب فيها من البلاغة والألفاظ الفائقة ما لا يقدر عليه غيره .

﴿ ذكر رسالة السلطان للخليفة ﴾

وكانت الرسالة الى الخليفة على يد ضياء الدين بن الشهرزوري بخط القاضي الفاضل من إنشائه وهي : أدام الله ايام الديوان العزيز النبوى ولا زال مظفر الجد بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات

المحامد ، مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقد ، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لا يعضي إلا بنبـل غوى وريش راشـد ، ولا زالت غيوث فضله الى الأولياء انواء الى المرابع وانوار الى المساجد ، وبعوث رعبـه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد ، كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه الخدمة والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة فانها بحر فيـه للأقلام سبح طويل ، ولطف لتحمل الشكر فيه عبء ثقيل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للاسرار في إظهارها مشارب ، ولله تعـالى في اعادة شكره رضا ، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ، ولقدصارت امور الاسلام الى احسن مصائرها ، واستثبتت عقائد أهله على ابين بصائرها ، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه ، فلما وقع الشرط وقـع المشروط وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضاً فقد بذلت الأنفس في ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، واهل ربعه وكان قد عيف حين عفا ، وجاء أمر أمر الله وانوف اهل الشرك راغمة ، وادلجت السيوف الى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين ، واستطارت له انوار ابانت ان الصباح عندها حسان الجبين ، واسترد المسلمون تراثاً كان عنهم آبقا ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفاً على النأى طارقا ، واستقرت على الاعلام أقدامهم ، وخفقت على الاقصى اعلامهم ، وتلاقى على الصخرة قبيلهم ، وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشفى بالماء غليلهم ، ولما قدم الدين عليها عرق منها سويداء قلبه وهنا كفؤها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه ، وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ، ولا يحارب من يستظلمه في حربه ، ولا يعاتب بأطراف القنا من يتمادى في عتبه إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى

من الدنيا ، وكانت الالسن ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيراً خاطر ، ومن رام صفقة رابحة جاسر ، ومن سما لأن يجلي غمرة غامر ، وإلا فان العقود تلين تحت نيوب الاعداء المعاجم ، فيعظها وتضعف في ايديها معز القوائم ، فيفضها هذا الى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد ، ولا يراعى به حق الله في العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وكانوا به يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هـذا اليوم لله يسألون ، لا جرم انهم اورثوا اسرارهم وسريرهم خلفهم الاطهر ، ونجلهم الاكبر ، وبقيتهم الشريفـة ، وطليعتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غضوا المناظر ، بل وصلهم الاجر لما كان به موصولا ، وشاطروه العمل لما كان عنه مسؤلا ، ومنه مقبولا ، وخلص اليهم الى المضاجع ما اطمأنت به جنوبهـا والى الصفائح ما عبقت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا ، والنهار به بصيرا ، والشرق يهتدي بأنواره بل ان أبدى نوراً في ذاته هتف به الغرب بأن واره ، فانه نور لا تكنه اغساق السدف ، وذكر لا توازيـه اوراق الصحف وكتب الخادم هـذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا ، وطارت من فرقه فرقا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الاكثر عدداً وحصـا وكلت حملاته وكان قدراً يضرب فيه العنان بالعنان ، وعقوبة من الله ليس لصاحب بدنها يدان ، وعثرت قدمه ، وكانت الارض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق لطف الكرى من الجفون ، وجدعت انوف رماحـه وطالما كانت شامخة بالمنا او راعفـة بالمنون ، واصبحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث ، والرب الفرد الواحد وكـان عندهم الثالث ، وبيوت الـكفر مهدومة ، ونيوب الشرك مهتومة ، وطوائفه المحامية مجمعة على تسليم القلاع الحامية ، وشجعانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافية

لا يرون في ماء الحديد لهم عصره ، ولا في نار الأنفة لهم نصره ، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من ايدي اصحاب المشئمة الى ايدي اصحاب الميمنة ، وكان الخادم لقيهم اللقاءة الاولى فأمده الله بعدار كته ، وانجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصل ، واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن المصاف بخيل فان قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الاكسار ، فنيلوا بثار من السلاح ونالوه ايضاً بثـار ، فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين ، وكم انجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسيـة ركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاهـا ، فاذاقوها قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكـان الصليب صارخا ، وكان الاسلام مولودا ، وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأسر الملك وبيده اوثق وثائقه ، وآكـد وصله بالدين وعلائقه ، وهو صليب الصلبوت ، وقائد اهل الجبروت ، ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه ، فـكان مد اليدين في هذه الوقعة وداعه ، لا جرم انه تتهافت على ناره فراشهم ، ويجتمع في ظل ظلاله خشاشهم ، ويقاتلون تحت ذلك الصليب اصلب قتال واصدقه ، ويرونه ميثاقاً يبنون عليه اشد عقد واوثقـه ويعدونه سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه ، وفي هذا اليوم اسرت سراتهم ، ودهيت دهاتهم ، ولم يفلت منهم معروف إلا القومص ، وكـان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال ، وملياً يوم الخذلان بالاحتيال ، فنجا ولكن كيف وطار خوفاً من ان يلحقه منسر الرمح او جناح السيف ، ثم اخذه الله بعد ايام بيده ، واهلكه لموعده فكان لعدتهم فذا لك ، وانتقل من ملك الموت الى مالك ، وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء ، صبغا البيضاء

صنعا الخافقة هي وقلوب اعدائها، الغالبة هي وعزائم اوليائها، المستضاء بأنوارها، اذا فتح عينها النشر، واشارت بأنامل العذبات الى وجه النصر، فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها امصار ومدن، وقد تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفدن، وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر، وبحار وجزائر، وجوامع ومنابر، وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد ان يحرزها، ويتركها وراءه بعد ان ينتهزها، ويحصد منها كفراً ويزرع ايماناً، ويحط من منابر جوامعها صلباناً، ويرفع اذاناً، ويبدل المذابح منابر، والكنائس مساجد، ويبوىء اهل القرآن بعد اهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد، ويقر عينه وعيون اهل الاسلام ان يعلق النصر منه ومن عسكره بجار ومجرور، وان يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زياله الى يوم النفخ في الصور، ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعته كل قريب منهم وبعيد، وظنوا انها من الله ما نعتهم، وان كنيستها الى الله شافعتهم، فلما نزلها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته، وهان عليها مورد السيف وان تموت بغصته، فداور البلد من جانب فاذا أودية عميقة، ولجج وعر غريقة، وسور قد انعطف عطف السوار، وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار، فعدل الى جهة اخرى كان للمطامع عليها معرج، وللخيل فيها متولج، فنزل عليها، وأحاط بها، وقرب منها، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بأكتافه، وقابلها ثم قاتلها، ونزلها ثم نازلها، وبرز اليها ثم بارزها، وحاصرها ثم ناجزها، وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح، وصدع جمعها فاذا هم لا يبصرون على عبودية الحد عن عنق الصفح، فراسلوه يبذل قطيعة الى مدة، وقصدوا نظرة من شدة، وانتظار النجدة، فعرفهم الخادم في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها، وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها، ولكن تفارق سهامها نصالها، فصافحت السور فاذا

سهمها في ثنايا شرفاتهـــا سواك ، وقدم النصر نسراً من المنجنيق يخلد اخلاده الى الأرض ويعلو علوه الى السماك ، فأناخ مرابع ابراجها ، واسمع صوت عجيجها صم اعلاجها ، ورفع المدارع ما بين العنق الى المرفق مثار عجاجها ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ، فأمكن النقاب ان يسفر للحرب النقاب ، وان يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب ، فتقدم الى الصخرة فمضغ سرده بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة انمله ، واسمع الصخرة الشريفة انينه باستقالته ، الى ان كادت ترق لمقالته ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض واخذ الخراب عليها موثقاً فلن يبرح الارض ، وفتح من السور باباً سد من نجاتهم أبوابا ، واخذ يفت في حجره فقال عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا ، فحينئذ يئس الكـافر من أصحاب الدور كما يئس الكفار من اصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور ، وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم : ابن بارزان سائلا ان تؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيـده الى التهلكة ، وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكة ، وطرح جنبه على التراب وكان جنباً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح اليه أمل طامح ، وقال : هاهنا اسارى مسلمون يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الافرنج على انه ان هجمت عليهم الدار ، وحملت الحروب على ظهورهم الأوزار بدىء بهم فعجلوا ، وثنى بنساء الافرنج واطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلا يقتل خصم إلا بعد ان ينتصف ، ولا يفك سيف من يد إلا بعد ان تقطع او ينقصف ، فأشار الامراء بأخذ الميسور من البلد المأسور ، فانه لو أخذ حرباً فلابد ان يقتحم الرجال الأنجاد ، وتبذل نفوسها في آخر أمر قـد نيل من اوله المراد ، وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتـكات ، واثقل الحركات ، فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون ، وانصرف اهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر الى ان صارت روضة جنان ، لا جرم ان الله اخرجهم

منها واهبطهم ،وأرضى اهل الحق واسخطهم ، فانهم خذلهم الله حموها بالأسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح ، واودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية فيها كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ، ولا ينطرد لألاؤه ، قد لطف الحديد في تجزيعه ، وتفنن في توشيعه ، الى ان صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نعيم عتيد ،فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق، وعمداً كالأشجار لها من التنبيت اوراق ، واذعن الخادم برد الأقصى الى عهده المعهود وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده المورود ، واقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان ، فكادت السماوات يتفطرن للنجوم لا للوجوم ، والكواكب منها ينتثرن للطرب لا للرجوم ، ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكان طريقها مسدودة فظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، واقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها ، وجهرت الألسن بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها ، وجهر باسم امير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر لمن بر ، وخفق علماه في حافتيه، فلو طار سرور الطائر بجناحيه، وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية الثغور ، واستشراح ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور ، فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها، وايام الشتاء قد قربت مواردها، والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ، ونهبت ذخائرها واكلت غلالها ، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد ، وتجم ولا تستنفد ، ينفق عليها ولا ينفق منها ، وتجهز الأساطيل لبحرها وتقام المرابط لساحلها ، ويدأب في عمارة اسوارها ومرمات معاقلها ، وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة ، واطماع الفرنج بعد ذلك مراهبها غير مرجئة ولا معتزلة ، فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله انها لا تسمع ، ولن يفكوا ايديهم من اطراف البلاد حتى تقطع ، وهذه الألفاظ لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى المشافهة تتلخص ، فلذلك نفذ الخادم لساناً شارحا ، ومبشراً صادحا ، يطالع بالخبر على سياقته ، ويعرض بجيش المسرة من

طليعتـه الى ساقته ، وهو فلان فليسمع منه وليروعنه ، والرأي اعلى ان شاء الله تعالى والله الموفق .

هـذا آخر الرسالة الفاضلية .

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان وودعه ولده الملك العزيز وسار معه قدر مرحلة ثم وصاه وشيعـه ، وصحب اخاه الملك العادل فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيم بظاهرها .

ثم سار فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة فنزل بعيداً من سورها ومكث حتى ورد عليه العسكر وتكامل ، ثم تقدم اليها يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وحاصرها . وحضر اليه ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي فشد ازره . وزحفوا على الكفار ، وقطعت الاشجار ، ورمى عليهم بالمناجيق ، واشتد الأمر وتعسر الفتح .

﴿ ذكر ما تم على الاسطول ﴾

وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليها من عكا ما كان بها من مراكب الاسطول ، فوصلت منها عشر شواني مشحونة بالرجال والعدد ، واتصلت بها مراكب المسلمين من بيروت وجبيل . فاستشعر المركيس الضرر منها وعمر الآخر مراكب . وكانت مراكب المسلمين بالساحل محفوظة بالعسكر ولايتمكن الفرنج منها وكل من الفريقين يعالج الآخر .

فاطمأن المسلمون واغتروا بالسلامة وبات ليلة خامس شوال وربطوا بقرب ميناء صور وسهروا الى قريب الصبح ، فغلب عليهم النوم فما انتبهوا إلا وسفن الفرنج محيطة بهم ، فاخذت شواني المسلمين واسروا منها جماعة ، فاغتم السلطان لذلك . وكانت هذه اول حادثة حدثت للمسلمين .

فانزعج العسكر الاسلامي واشتد حزن المسلمين ، واشار الناس بابعاد بقية

الشواني . فسيرت الى بيروت وركب العسكر في الساحل مباريها وهي بحذائه في البحر فظهر عليها شواني الفرنج ، فخرج المسلمون الى البر على وجوههم وتواقعوا الى الماء خوفاً على انفسهم وكانوا لا معرفة لهم بالقتال .

وكان في جملة الشواني قطعة رئيسها له خبرة بالامور ، فأسرع وفات الفرنج ولم يدركوه ، فنجا بالمركب ومن فيه وبقيت المراكب الباقية خالية ممن كان فيها فدفعها المسلمون الى البر ، هذا والقتال مشتد بين الفريقين .

ولما عبر الفرنج على تلك المراكب ظنوا عجز المسلمين وخرجوا للقتال في جمع كبير واشتد الأمر وارتفعت الاصوات ووقع المسلمون في الفرنج فولوا مدبرين وعادوا الى البلاد ، واسر منهم مقدمان واسر قمص عظيم عندهم . وكان الملك الظاهر غازي لم يحضر شيئاً مما تقدم من الوقعات فبادر وضرب عنقه . وكان القمص يشبه المركيس فظنوا انه هو .

فلما رأى المسلمون هذا الحال وان السلطان مصمم على ما هو فيه وله قدرة وثبات على القتال اجتمع بعض الامراء وشرعوا في تدبير امر يعرض على السلطان يتضمن ان هذا الأمر امر عسير والأولى تركه والرحيل عن هذا المكان .

فاطلع السلطان على ما هم فيه فتلطف بهم ووعظهم وقال : كيف نخلي هذا المكان ونذهب ؟ واذا سئلنا عنه فماذا نجيب ؟ ثم اخرج الاموال وفرقها على العسكر وامرهم بالثبات . فامتثلوا امره .

﴿ فتح حصن هرنين ﴾

كان السلطان قد وكل بها بعض امرائه ، فاستمر يحاصرها حتى طلب اهلها الأمان . فورد الخبر على السلطان بذلك وهو على محاصرة صور فندب بدر الدين ويدرم البارزني ـ وهو من اكبر عظمائه ـ . فمضى اليهم وتسلمت هرنين بما فيها وتسلمها بيرم اخو صاحب بايناس .

واقام السلطان على صور يحاصرها ، فدخل الشتاء وضجر العسكر وكثرت الجرحى وتوالت الامطار ، والسلطان يحرضهم على القتال والثبات . وكثر القتال واشتد الامر ، وما زالوا يراجعون السلطان ويشيرون عليه بالرحيل .

وكان السلطان انفق في تلك المدة اموالا كثيرة على آلة القتال ولا يمكن نقلها وإن تركها تقوى بها الكفار ، فنقضها وفك بعضها واحرق ما تعذر حمله وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا ، وتأخر السلطان عن قرب صور . فشرع العسكر في الانصراف وواعد في المعاودة الى اوان الربيع ، وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك .

وبقي السلطان يتأسف على الفتح فسار الى عكا وخيم على بابها ، ثم اشتد البرد فدخل السلطان المدينة وسكن بها وشرع في التأهب الى الجهاد واصلاح العدد واكرام من يفدو اليه ، وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه فما من يوم ولا شهر إلا ويصل اليه رسول .

ورتب احوال عكا وامورها ووقف نصف دار الاستبار رباطاً للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء وجعل دار الاسقف بيمارستان للضعفاء .

ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا . فلما دخل فصل الربيع سار ونزل على سمت حصن كوكب في العشر الأوسط من المحرم قبل تكامل العسكر وحاصره فرأى ان فيه صعوبة ويطول أمره . ثم وكل بها قايما النجمي في خمسمائة مقاتل ، ورتب على صفد خمسمائة فارس وجهزهم اليها .

﴿ ذكر حال الكرك من أول الفتح ﴾

قد مضى ذكر ابرنس الكرك وقتله ، وكانت زوجته ابنة فليب صاحب الكرك مقيمة بالقدس وممن اسر ولدها هنفرى ابن هنرى ، فلما فتح بيت المقدس حضرت الى السلطان وتخضعت له وتذللت وسألت في فك ولدها من الأسر ، وصحبتها

زوجة ابنها ابنة الملك ، وحضرت الملكة مع صاحبة الكرك تسأل في زوجها الملك فأكرمهن السلطان واحسن اليهن .

واما الملكة فجمع شملها بالملك وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . فاستحضر هنقرى من دمشق واجتمع بوالدته وسارا مع جماعة من الامراء لتسليم القلعتين . فلما وصلت هي وولدها لم يطعها اهل الكرك ولم يسلموا وأفحشوا في الخطاب لها .

ثم وقع لها كذلك بالشوبك ، فرجعت الى السلطان فقبل عذرها وطمن قلبها على ولدها . فتوجهت الى عكا ، ثم انتقلت الى صور .

وجهز السلطان العساكر لحصار الكرك والشوبك . ثم وصل الى السلطان وهو على كوكب بهاء الدين قراقوش ، فندبه لعمارة عكا لعلمه بكفاءته وأمدّه بالأموال والرجال . فسار الى عكا وشرع في عمارتها وتحصين اسوارها . وورد على السلطان الرسل من ملوك الروم وغيرها وأقام السلطان على كوكب الى آخر صفر فتعسر فتحها .

ثم رحل السلطان الى دمشق ، ودخل اليها في يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول ، فنشر العدل وفصل الحكومات .

فوصل الخبر بوصول العسكر من الشرق واصبح السلطان بكرة يوم الثلاثا حادي عشر ربيع الاول على الرحيل ، ثم سار الى بعلبك ورحل على سمت اللبوة ووصل اليه عماد الدين صاحب سنجار بالعسكر ، فتلقاه السلطان احسن لقاء واكرمه . واجمعوا على دخول بلاد الساحل وتجردوا عن الأثقال وساروا . فنزل السلطان على حصن غور وفتحه وغنم ما فيه ، ثم عاد الى مخيمه . وانقضى شهر ربيع الآخر وقد وصل قاضي جبلة يحث على قصدها ، وكان بها خلق كثير من المسلمين .

ورحل السلطان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى الى جهة الساحل فوصل الى انطرسوس وحاصرها ونهبها وسبا اهلها . فاحتمى جماعة ببرجين هناك ، فهدم احدهما وامتنع الآخر . ونقض اسوار انطرسوس وترك البرج الممتنع . ورحل العسكر عنها ونزل

على مرقبة وقد اخلاها أهلها . وكان الفرنج قد صفوا المراكب في البحر . وسار السلطان بالعسكر .

ووقع بين المسلمين والافرنج وقعات وامور يطول شرحها . وقصد جبلة .

﴿ فتح جبلة ﴾

اشرف السلطان على جبلة بكرة يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى واحاط بها العساكر . فطلبوا الأمان على ان يعيدوا ما استرهنوه في انطاكية من اهلها ويسلموا كل ما لهم من السلاح والعدّة والخيل ، وكان قاضي جبلة هو المتوسط لهم في اخذ الأمان . وسلمت الى المسلمين يوم الخميس .

وأقام السلطان بها اياماً يقرر امورها ، وكان يعظم قاضي جبلة ويحسن اليه ووقف عليه ملكاً نفيساً واقره على ولايته بمنصب القضاء . وكان حصن بكرائل قد سلم من قبل .

﴿ فتح اللاذقية ﴾

ورحل السلطان ثالث عشر جمادى الاولى يوم الاربعاء ، وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية بجبل عاصم . فلما اصبح يوم الخميس كان حصارها واشتد القتال ونقب اسوارها ، فطلبوا الأمان في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى ، وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت وفتحت صلحاً وسلموا القلاع بما فيها ورحل منها جماعة ، ودخل جماعة في عقد الذمة .

ورتب السلطان فيها جماعة من مماليكه ، وركب السلطان وطاف بالبلد وقرر امورها ورحل عنها .

﴿ فتح حصن صهيون وغيره ﴾

رحل السلطان من اللاذقية ظهر يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الاولى وأخذ على سمت صهيون ، وخيم عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين

واحاط العسكر بها يوم الاربعاء وحاصرها فملكوا ثلاثة اسوار بما فيها ، فطلبوا الأمان وسلموا البلد .

ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله وما فيه من الذخائر . وتسلم يوم السبت قلعة العبد ، ويوم الأحد قلعة الجماهريين ، ويوم الاثنين حصن بلاطنس . وسار السلطان في ثاني يوم فتح صهيون ونزل على العاصي . وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة . ثم حاصر قلعة الشغر وطال القتال حتى أيس منه فخرج من الحصن من يطلب الأمان في ثالث عشر الشهر يوم الثلاثاء وتسلم قلعة الشغر .

ثم سار ولد السلطان الملك الظاهر الى قلعة سرمانية فحاصرها وخربها وفتحها يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة .

﴿ فتح حصن برزية ﴾

وسار السلطان الى قلعة برزية وهي من أحصن القلاع ، فنازلها يوم السبت رابع عشري الشهر ، ثم تجرد يوم الأحد ورقى الجبل فرآها قلعة على سن من الجبل عالية فأحدق بها وبالجبل وزحف عليها في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر ورتب عليها الامراء نوبا فقاتلوا . واشتد القتال ، وتقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية . فلما ايقنوا بأنهم ملكوا طلبوا الأمان وسلموا الحصن. فلما حصل الفتح عاد السلطان الى خيامه .

وكانت صاحبة حصن برزية اخت زوجة الابرنس صاحبة انطاكية قد سبيت فأمر باحضارها واعتقها وكذلك زوجها ، وأحضر ايضاً ابنة لهما وزوجها وعدة من اصحابهم وادخلهم معهم في الاطلاق . وقلد الحصن لأمير من جماعته .

وكان فتح هذا الحصن من آيات الله تعالى لحصانته وعدم القدرة عليه ، فيسر الله فتحه في ايسر وقت .

﴿ فتح حصن دريساك ﴾

رحل السلطان وأقام أياماً على جسر الحديد ثم قصد دريساك وهو حصن مرتفع ، وكان عش الراوية نزل عليه يوم الجمعة ثامن رجب وحصره ورمى برجاً من السور بالنقب ، فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب طلبوا الأمان ، وتسلم الحصن بما فيه يوم الجمعة ثاني عشري الشهر ٠

﴿ فتح حصن بقراس ﴾

توجه بكرة السبت الى بقراس وهي قلعة قريبة من انطاكية وهي على رأس جبل عالية حصينة وهي للراوية ، فخيم بقربها في المرج وتقدم جمع كثير من العسكر بينها وبين انطاكية ، وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية . وصعد السلطان متجرداً في جماعة من عسكره الى الجبل بازاء الحصن ونصب عليه المناجيق من جميع جهاته ورمى عليه وحاصره ، فطلبوا الأمان ٠ وتسلم القلعة في ثاني شعبان ، وحزر ما في بقراس من الغلة فكان تقديراً اثنى عشر الف غرارة ٠

﴿ عقد الهدنة مع انطاكية ﴾

ولما فرغ السلطان من فتح هذه الحصون قصد انطاكية وكانت قد تلاشت احوالها وقل ما فيها من القوت ٠ وكان الابرنس صاحبها قد ارسل اخا زوجته يسأل في عقد الهدنة وطلب الأمان على ماله وولده لثمانية اشهر من تشرين الى آخر ايار ٠

واجابه السلطان الى ذلك وهادنه وشرط عليه اطلاق من عنده من الاسارى .
وسار رسول السلطان ومعه شمس الدولة بن منقذ لأجل الاسارى ٠

ورحل السلطان ثالث شعبان الى سمت حلب ٠ ولما رحل السلطان من بقراس

ودع عماد الدين بن زنكي وعساكر البلاد ، وخلع عليه ومنحه بالتحف النفيسة وانعم على العسكر بأشياء خلاف ما غنموه . وسار في عسكره ووصل الى حلب ، ثم سار منها ووصل الى حماه ، وبات بها ليلة واحدة ، ثم سار على طريق بعلبك فجاءها قبل رمضان بأيام . وكان العسكر قصدهم الصوم في اوطانهم بدمشق .

فلما وصل السلطان الى دمشق اشتد عزمه وتحرك للجهاد من اجل صفد وكوكب وغيرها ، وخرج من دمشق في اوائل شهر رمضان .

﴿ فتح الكرك وحصونه ﴾

ووردت البشائر بتسليم حصن الكرك فان السلطان لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك ، وكان اخوه الملك العادل بن معه على تبنين لحفظ البلاد ، وكان صهره سعد الدين كمشه بالكرك موكلا بحصاره .

فراسل الافرنج الملك العادل في الأمان ، فامتنع . ثم صالحهم وسلموا الحصن .

﴿ محاصرة صفد وفتحها ﴾

ثم سار السلطان حتى نزل على صفد وجاء الملك العادل وشرعوا في حصار القلعة ورميها بالمناجيق ، واستمر الحال على ذلك الى ثامن شوال وصعب فتحها حتى اذن الله تعالى وسهل فأذعنوا واخرجوا من عندهم من أسرى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الأمان وسلمت للمسلمين وخرج من فيها من الكفار الى صور .

ولما اشرفت صفد على الفتح شرع الافرنج في تقوية قلعة كوكب واجمعوا على تسيير مائتي رجل من الابطال المعدودين ليكمنوا للمسلمين في الطريق . فعثر بواحد منهم بعض جند المسلمين فأمسكه واتى به الى صارم الدين قايماز فأخبره بالحال وان الكمين بالوداي فركب اليهم في اصحابه والتقطهم عن آخرهم وأحضرهم الى السلطان وهو على صفد . وكان فيهم مقدمان من الاستبارية فاحضرا عند السلطان ، فأنطقهما

الله تعالى وقالا : ما نظن اننا بعدما شاهدناك يلحقنا سوء . فمال الى كلامهما وأمر باعتاقهما ، فان تلك الكلمة اوجبت عدم قتلهما ، فانه كان لا يبقي على احد من الاستبارية والرواية .

وفتح الله صفد في ثامن شوال .

﴿ حصار كوكب وفتحها ﴾

وسار السلطان الى كوكب وهي في غاية الحصانة فحاصرها وقاتل من فيها اشد قتال ، وحصل الضيق الزائد لوقوع البرد الشديد وقوة الشتاء . وما زال السلطان ملازماً للحصن بالرمي حتى تهدم غالب بنائه ونصر الله المسلمين وملكوا كوكب واخرجوا الكفار وغنموا أموالهم. وكان هذا الفتح في منتصف ذي القعدة.

وعرض السلطان القلعة على جماعته فلم يقبلوها ، فولاها قايماز النجمي على كره منه .

ثم تحول السلطان الى ارض بيسان ، وأذن للامراء والجند في الانصراف. وسار معه اخوه الملك العادل في مستهل ذي الحجة الى القدس الشريف . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وعيد بها يوم الاحد الاضحى ونحر الاضحية . وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مصالحها وتدبير احوالها وأقام أياماً . ثم ودعه اخوه الملك العادل وسار بعسكره الى مصر . ورحل السلطان الى عكا .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا يرتب امورها ويحصنها الى ان وصل جماعة من مصر فأمرهم بالاقامة فيها وأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء سورها . ثم سار الى طبرية ودخل دمشق مستهل شهر صفر . ثم خرج منها يوم الجمعة ثالث ربيع الاول متوجهاً الى شقيف ارنون واتى مرج عيون وخيم فيه بقرب الشقيف .

واعتد القتال يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول ، وكان الشقيف في يد ارناط صاحب صيدا فنزل الى خدمة السلطان يسأله ان يمهله ثلاثة اشهر لينقل اهله من صور وأظهر انه يخاف ان يعلم المركيس بحاله فلا يمكنه من أهله . فأجابه السلطان لذلك . وشرع ارناط في تحصين نفسه واستعداده للحرب .

فعلم السلطان بحقيقة حاله ، فتقرب السلطان من الشقيف . فلما علم صاحب الشقيف بذلك حضر الى خدمة السلطان وشرع في الاستعطاف له وإزالة ما عنده وعاد الى حصنه ، ثم حضر وأنهى تخوفه على اهله وسأل المهلة سنة . فأرسل السلطان من كشف الحصن فوجده قد تحصن زيادة على ما كان فيه . فأمسك صاحب الحصن وقيد وحمل الى قلعة بانياس . ثم استحضره في سادس رجب وهدده ، ثم سيره الى دمشق وسجنه .

وحاصر الحصن في يوم الاربعاء ثامن رجب ورتب عليه عدة من الامراء لمحاصرته الى ان تسلمه بعد سنة واطلق صاحبه .

ولما كان السلطان بمرج عيون اجتمع الافرنج واتفقوا على إقامة المركيس بصور واجمعوا على حرب المسلمين والمركيس يمدهم من صور . فبلغ السلطان ذلك في يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى وانهم على قصد صيدا ، فركب في الحال والتقى بعسكره مع الافرنج فهزمهم باذن الله تعالى ونصر الله المسلمين واسر من اعيانهم سبعة .

وعاد السلطان الى مخيمه واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ثم ركب في ذلك اليوم وتواقع هو والافرنج واشتد القتال فاستشهد جماعة من المسلمين وقتل خلق كثير من المشركين . ثم قوى عزم السلطان على قصدهم في مخيمهم وشاع هذا الخبر فخاف الافرنج وذهبوا الى صور فاقتضى الحال التأخير .

وسار السلطان الى تبنين صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر ، ثم سار منها الى عكا ورتب امورها وعاد الى المعسكر وأقام الى يوم السبت سادس

جمادى الآخرة ، فبلغه ان الافرنج ينتشرون في الارض فأمر السلطان بتكمين كمائن لهم واذا رأوهم يطاردونهم .

وسار السلطان يوم الاثنين فتواقعوا واشتد القتال ، وكان بالعسكر جماعة من العرب لا خبرة لهم بالطريق فتطاردوا بين يدي الافرنج في واد لا ينفذ فحصرهم الافرنج فلم يقدروا على السلوك من الوادي فاستشهدوا رحمهم الله تعالى .

﴿ مسير الافرنج الى عكا ﴾

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ان العدو على قصد عكا وان جماعة منهم سبقوا الى النواقير ونزلوا باسكندرونة وتواقعوا مع جماعة من المسلمين . فكتب السلطان للعسكر بجمعهم . ورحل الافرنج يوم الاحد ثاني عشر رجب ونزلوا على عين عبد . فأصبح السلطان على الرحيل ، وجاء عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، ثم اصبح يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة وترك الاثقال بأرض صفورية . ونزل الافرنج على عكا من البحر الى البحر محتاطين بها يحاصرونها ، واجتمعت العساكر فصار العدو حول البلد. واحاط المسلمون بالافرنج ومنعوهم من الطرق واشتد القتال ، واستدارت الافرنج بعكا ومنعوا من الدخول والخروج وذلك يوم الاربعاء والخميس سلخ رجب، فأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان على عكا .

وتباشر المسلمون بالنصر ، وثار الحرب واصبحوا يوم السبت على ذلك، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ، وانهزم الافرنج الى تل الصياصية واخلوا ذلك الجانب ، وانفتح للمسلمين طريق عكا ، ودخل العسكر اليها وخرج واستطرقت اليها الجيوش واطلع السلطان على الافرنج من سورها وخرج عسكر البلد للقتال وتشاور المسلمون فيما بينهم ودبروا الحيل في قتال العدو المخذول .

فلما كان يوم الاربعاء ثامن شعبان ركب الافرنج آخر النهار بأجمعهم

وتقدموا وحملوا على المسلمين ، فصدمهم المسلمون فولى الكفار هاربين مدبرين وقتل وجرح منهم ، ودخل الليل وبات الحرب على حاله • وانتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل الصياصية لأنه مشرف عليهم للعلو •

وبلغ السلطان ان الافرنج يخرجون للاحتشاش وينتشرون في الارض • فانتدب جماعة من العربان ، فأغاروا عليهم وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم وابادوهم قتلا وقطعوا رؤسهم واحضروها عند السلطان وذلك يوم السبت سادس عشر شهر شعبان ، وسرّ المسلمون وتباشروا هذا والقتال على عكا متصل •

((نادرة))

ومن النوادر الواقعة انه افلت من بعض مراكب الافرنج حصان من الخيول الموصوفة عندهم فلم يقدروا على امساكه وما زال يعوم في البحر وهم حوله الى ان دخل ميناء البلد ، فتسارع المسلمون اليه وأخذوه واهدوه الى السلطان . فتباشر المسلمون بالنصر ، ورآه الافرنج من إمارات خذلانهم •

الوقعة الكبرى

واصبح الافرنج يوم الأربعاء لعشرين من شعبان وقد رفعوا صلبانهم وتقدموا وزحف ابطالها . وقد عبى السلطان الميمنة والميسرة وشرع يمر بالصفوف ويقوّي عزم العساكر • واشتد القتال واستشهد جماعة من المسلمين وولى العسكر الأسلامي منهزماً ، فمنهم من وصل طبرية ، ومنهم من وصل دمشق ، وبقي المسلمون في شدة عظيمة حتى ادركهم الله تعالى بالنصر ، وهو انه لما تمت الكسرة على المسلمين وصل جماعة من الافرنج الى خيمة السلطان ولم يتبعهم من يعضدهم فهابوا الوقوف هناك فانحدروا عن التل ، فاستقبلهم المسلمون وتبعوهم وظفروا بهم فقتلوا منهم وضربوا رقابهم واشتد الحرب وثبت المسلمون فمالوا على ميسرة الافرنج

ففلوها ووضعوا فيهم السيوف فأبادوهم قتلا ، وممن قتل مقدم عسكرهم ، وتبعهم المسلمون حتى كلت سيوفهم . وقتل من الافرنج خمسة آلاف فارس ، وقتل مقدم الراوية .

وحكي عنه أنه قال : عرضنا في مائة الف وعشرة آلاف ومن العجب ان الذين ثبتوا من المسلمين لم يبلغوا الفاً فردوا مائة الف ، فكان الواحد من المسلمين يقتل من الكفار ثلاثين واربعين .

وارسل السلطان بهذه النصرة البشائر الى دمشق ، وعاد السلطان الى مكانه وعزم على انه يصالح العدو ، وتفقد العسكر فاذا هو قد غاب . وذلك ان بعض الغلمان والأوباش لما وقعت الوقعة ظنوا ان عسكر الاسلام انهزم ، فنهبوا الأثقال وانهزموا ، وانهزم جماعة من الجند . فمضى العسكر وراء الغلمان فتأخر من اجل ذلك العزم على المسير ، وانتعش الافرنج لذلك .

وكثرت جيف الافرنج المقتولين ، فشكى المسلمون نتن رائحتها . فرسم السلطان بحملها على العجل ورميها في النهر ، فحمل اكثر من خمسة آلاف جثة .

ثم في يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان حضر اكابر الامراء عند السلطان ودار الكلام بينهم في المشورة ، فأشاروا بالانصراف لهجوم البرد والشتاء وان أبدانهم وخيولهم قد ضعفت ، وان السلطان يراسل البلاد ويجمع الجموع ثم يحضر للجهاد في سبيل الله تعالى . هذا والسلطان متكره من هذه المقالات وليس عنده ملل ، وفي كل يوم يطوف على العسكر ويقوّي عزمهم .

فانتقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان الى الخروبة عند الاثقال وأمر من بعكا بغلق الباب . وشرع الافرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر الى البحر وتحصنوا وتستروا . واقام السلطان بالمخيم وهو متوعك ، فمنّ الله تعالى عليه بالعافية ، وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع ، وأقام بمماليكه . فما مضى يوم إلا وفيه وقعة والمماليك ظافرون بالافرنج .

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخذ المسلمون بعكا مركباً للافرنج مقلعاً الى صور فيه ثلاثون رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير ، فغنموه وتباشروا واشتد ازرهم بذلك ٠

﴿ وصول ملك الألمان ﴾

ورد الخبر بوصول ملك الألمان الى قسطنطينية في عدد كثير على قصد العبور الى بلاد الاسلام وانه في ثلثمائة الف مقاتل ، وقد قطع الروم الى جهة الشام . فانزعج المسلمون لذلك ، وندب السلطان الرسل الى جميع الأمصار يستنفر للجهاد . فوصل الملك العادل سيف الدين من مصر في نصف شوال في جيش عظيم ، فحصل به السرور وقوى المسلمون ، ونزل في مخيمه ٠ وارسل السلطان الى رجال دمشق والبلاد ، فحضروا . وشرع المسلمون في كل يوم يعالجون الافرنج ولهم معهم في كل ليلة كبسة ٠

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة وصل الاسطول من مصر وعدته خمسون شونة (١) ٠ فان السلطان لما وصل الافرنج الى عكا كتب الى مصر بتجهيز وتكثير رجاله وعدده ، فصادف مراكب الافرنج في البحر . فأول ما ظفر الاسطول بشونة للافرنج فقتل مقاتليه ، ووقعت بينهم وقعة كبرى ، وتفرقت سفن الافرنج . وصارت البشائر للمسلمين بوصول الاسطول ٠

ولما اشتد البرد وكثرت الامطار واستظهر البلد برجال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري فامتلأ البلد ، وشرعوا يتلصصون على الكفار وكبسوا ليلة سوق الخمارات ، وسبوا عدة من النساء الحسان . فكان في ذلك نكاية عظيمة للكفار ، وامكن الله المسلمين منهم وشرعوا في نهبهم وأسرهم في كل وقت ٠

---

(١) الشونة : المركب المعدّ للجهاد في البحر انتهى (قاموس) ٠

﴿ ذكر نساء الإفرنج ﴾

ثم وصلت مركب فيها ثلثمائة امرأة افرنجية من النساء الحسان اجتمعن من الجزائر لاسعاف العزبان وسبلن أنفسهن وفروجهن للعزبان ورأين ان هذه قربة ما ثم افضل منها . وعند الافرنج ان العزباء اذا مكنت منها الأعزب لا حرج عليها . وتسامع عسكر الاسلام بهذه القضية فأبق من المماليك والجهال جماعة وذهبوا اليهن .

ووصلت ايضاً في البحر امرأة كبيرة القدر وهي ملكة بلدها وفي خدمتها خمسمائة فارس .

وفي الافرنج نساء يلبسن هيئة الرجال ويقاتلن ، وفي يوم الوقعة اسر جماعة منهن فلم يعرفن حتى سلبن وعرّين .

وأما العجائز فحضر منهن جماعة وهن ينشدن تارة ويحرّضن وينخين الرجال لعنة الله عليهن .

وفي هذه السنة ندب السلطان الرسل الى البلاد لاستنفار المجاهدين ، وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزلة الخروبة سحر ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين ، وكان من الاعيان وله منزلة عند السلطان . وحمل من يومه الى القدس ودفن به .

ودخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة وعكا محصورة ، وخرجت هذه السنة والحصر مستمر ، ووقعت وقائع وهلك من الافرنج عدد لا يقع عليه الحصر .

﴿ وقعة الرمل ﴾

وكان السلطان يركب احياناً للصيد وهو لا يبعد من المخيم ، فركب يوماً في صفر فأبعد والكركية على الرمل وساحل البحر ، فخرج الافرنج وقت العصر

فتسامع المسلمون بهم فجرجوا اليهم وزحفوا عليهم وطردوهم وأحاطوا بهم ورموهم حتى فرغ النشاب . فلما علم الافرنج بذلك تجاسروا وحملوا حملة واحدة حتى ردوا المسلمين الى النهر . فثبت جماعة وستشهد جماعة ، ودخل الليل وحال بين الفريقين .

﴿ فتح شقيف أرنون ﴾

وفي يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول تسلم بالأمان شقيف أرنون وكان صاحبه ارناط صاحب صيدا معتقلا بدمشق لأجله فسلمه بما فيه واخرج عنه وسار الى صور . ورحل السلطان ونزل على تل كيسان يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول .

﴿ مقاتلة الإفرنج عكا ﴾

وكان السلطان قد رتب طيوراً تحمل البطاقات منه الى من بعكا وتعيد اليه الجواب منهم ، وكان يأتي اليه الخبر ايضاً على يد العوّامين في البحر وكان الافرنج شرعوا في عمل ابراج من خشب واتقنوها وزحفوا فيها الى السور ، وتساعدوا على طم الخنادق . فوصل الى السلطان عوامّ يخبره بالحال ، فركب وزحف الى الافرنج في عشرين من ربيع الأول يوم الجمعة ، وسار الى القتال بخيله ورجله وضايقهم حتى دخل الليل .

فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب واستمر الى آخر النهار . واصبح يوم الاحد على القتال وايده الله تعالى بالنصر ، واستمر القتال .

فلما كان يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر بعد الظهر واذا بنار في احد الابراج موقدة فأحدقت النار بالبرج حتى احرقته ، ثم احرقت البرج الثاني . ثم الثالث ، وسقطت الثلاثة ابراج بقدرة الله تعالى ، فحصل للمسلمين السرور بذلك ودمر الله الكافرين .

والعجب ان الابراج كانت متباعدة وقد ابعدها الافرنج بمسافات وكل واحد منها على جانب من البلد فاحترقت في وقت واحد . وكان سبب حرقها : ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد وأقام بها وشرع يعمل النفط ويركب عقاقيره والناس يسخرون منه ، فلما قدمت الابراج الى البلد رمى عليها بالنفوط وغيرها فلم يفد . فحضر ابن العريف الى بهاء الدين قراقوش واستأذنه في الرمي ، فأذن له على كره فان الصناع قد أيسوا . فلما اذن له بهاء الدين قراقوش رمى احد الابراج فأحرقه وكان فيه سبعون رجلا تعذر عليهم الخلاص منه ، ودخل جماعة لاستنقاذ مافيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني فأحرقه ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . ولم يكن ذلك بصنعه بل وفقه الله تعالى له ·

وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وجاؤا الى موضع الحريق واستخرجوا الحديد من موضع الحريق وماوجدوا من الزرديات وغيرها ولله الحمد والمنة.

﴿ وصول الاسطول من مصر ﴾

كان السلطان أمر بتعمير اسطول آخر من مصر ، فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول ، فركب السلطان ليشغل الافرنج عن قتال الاسطول فعمر الافرنج اسطولا وتلاقى هو واسطول المسلمين ، فجاءت مراكب المسلمين ونطحت مراكبهم ، واخذ المسلمون مركباً للافرنج ، واخذ الافرنج مركباً للمسلمين · واتصل الحرب في البحر الى غروب الشمس ، فقتل من الافرنج عدة كثيرة ، وسلم المسلمون ·

﴿ قصة ملك الألمان ﴾

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل : انهم اقاموا

في قفار ومواضع مدة شهر لا يجدون الطعام فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها ويكسرون قنطارياتهم لعدم الحطب ويشعلونها في البرد الشديد وزمان الثلج ، وحصل لهم من الشدة ما لا يكاد يوصف وضعف حالهم ، وذلك من لطف الله بالمسلمين .

فلما وصل الى بلاد قلج أرسلان بن مسعود حصل بينه وبين الكفار طراد وقتال ، ثم تراسلا واصطلحا وتهاديا ، واقتضى الحال بينهما ان ملك الألمان يدخل الى البلاد الشامية وانه يسير في بلاده ، واعطاه عشرين مقدماً من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل المأمن . فلما وصل الملعون الى بلاد الأرمن غدر بالرهائن وتأول عليهم بأن التركمان سرقوا منه في طريقه .

ونزل على طرطوس وهناك نهر فتواردت عليه العساكر وازدحموا ، فقصد ملك الألمان النزول الى النهر ليغتسل فقال : هل تعرفون موضعاً يمكن العبور منه ؟ فقال له واحد : هنا مخاضة ضيقة لا يدخل فيها إلا واحد بعد واحد . فدخل في تلك المخاضة فقوي عليه الماء فصدمته شجرة في وجهه شجت جبينه وتورط في الماء فتعبوا في اخراجه . فلما خرج بقي مريضاً ، ثم هلك لعنه الله وخلفه ولده . فقيل : انهم سلقوه في قدر حتى تخلص عظمه وانهرى لحمه وجمعوا عظامه في كيس ليدفن في كنيسة قمامة بالقدس حسبما أوصى به .

ووصل الخبر الى السلطان بهلاك الكافر وأن ولده خلفه وهو واصل في جمع كبير . فعزم السلطان على استقباله وصده ، ثم تثبت وارسل العساكر الى البلاد التي هي في طريق هذا الكافر القادم . ووقع المرض في الافرنج . وأمر السلطان بهدم سور طبرية وهدم يافا وارسوف وقيسارية وهدم صور وصيدا وجبيل ونقل اهلها الى بيروت .

وأما ولد ملك الألمان فمرض اياماً في بلاد الأرمن وهلك اصحابه من الجوع ووقع الموت في خيلهم . ثم ساروا من بلاد الارمن ، وحصل له ولعسكره شدة عظيمة .

﴿ الوقعة العادلية ﴾

كان الافرنج لما صح عندهم وصول ملك الألمان الى البلاد في جمع كبير قالوا : اذا جاء صار الأمر له ولا يبقى لنا كلام معه ، فنحن نهجم على المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه . فخرجوا ظهر يوم الاربعاء لعشرين من جمادى الآخرة في جمع كبير وقصدوا مخيم الملك العادل .

فوقف الملك العادل ومن معه من الامراء وحمل معه العسكر الحاضر قبل ان تتصل به بقية العساكر ، فكسر الافرنج كسرة فاحشة ، وركبت العادلية اكتافهم وحكموا فيهم السيوف .

وكان السلطان قد ركب وسار مع جماعة من المماليك فوصل وشاهد ما سره وقتل من الافرنج زهاء عشرة آلاف ، ولم يبلغ من استشهد من المسلمين عشرة انفس . وكتب السلطان الى بغداد ودمشق وغيرها يبشر بذلك .

﴿ ذكر ما تجدد للإفرنج بوصول الكندهري ﴾

وما زال الافرنج في وهن وضعف حتى وصل من البحر رجل يقال له كندهري وهو عندهم عظيم القدر أفاض عليهم الأموال فقوى اهل الكفر . وشاع هذا الخبر فتشاور السلطان واكابره ، ورحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى منزله الأول بالخروبة واشتغل بتدبير أمره ، والأخبار متواردة من عكا مع السباحين وبطاقات الحمام واخبار ملك الألمان متواصلة بضعف حاله وتلاشي احواله .

حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة المذكورة انفق الكندهري على الرجال فأعطى عشرة آلاف رجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال ، وضايق عكا ونصب عليها المناجيق

فاشتد عزم المسلمين ممن بعكا وخرجوا بالفارس والراجل وحالوا بين الافرنج وبينها وخرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وقتل في ذلك اليوم من الافرنج سبعون فارساً ، واسر منهم خلق كثير ، فخمد الافرنج بذلك . وكان من جملتها منجنيقان كبيران مصروف احدهما الف وخمسمائة دينار ، وكان ذلك في الليلة الاولى من شعبان .

((وصول ولد ملك الالمان الذى قام مقام أبيه الى الإفرنج بعكا))

وصل الى السلطان خبر وصوله في سادس شعبان وحزرهم من شاهدهم بخمسة عشر الفاً ، ووصل في البحر الى عكا آخر النهار سادس شهر رمضان فرآه الافرنج وليس له وقع ، فقالوا : ليته لم يصل الينا . فأخذ يحرضهم ويقوي عزمهم فعرفوه قوة بأس المسلمين ، فأظهرلهم قوة وعزماً ، فلما عرفوا جهله قالوا له : نخرج للمسلمين لعلنا نظفر بهم . فاجتمعوا وساروا الى مخيم السلطان .

فركب من خيمته وتقدم الى تل كيسان ، ووقف ينهض العسكر وحال بينهم الليل وحصل للألمان مشقة ، فلما لم يبلغوا قصدهم من العسكر اخذوا في قتال البلد وحصاره .

((ذكر برج الذبان))

وعند ميناء عكا فى البحر برج يعرف ببرج الذبان منفرد عن البلد قصد الافرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان بمراكب جهزوها من البحر وشحنوها بالآلات والعدد ، ومنها مركب عظيم لما قرب من البرج رميت عليه النار فاحترق بكل ما فيه ، وملؤا بطة اخرى بالأحطاب فسرى فيها النفط فأحرقها وكان الافرنج في مراكب من ورائها ، فانقلب الريح على الافرنج وتطاير الشرر من بطة الحطب وعاد على الافرنج فالتهبوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا واحتمى برج الذبان فلم يظفروا منه بشيء .

﴿ ذكر الكبش وحريقه ﴾

واستأنف الافرنج عمل دبابة في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد وألبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس خشية عليها من النار وسحبوها ، فانزعج المسلمون لذلك وقالوا : ليس في هذه حيلة . ثم نصب المسلمون مناجيق ورموا بالحجارة ، فنفر من حولها من الرجال ، ثم قذفوها بالنار فدخلت من باب الدبابة فاشتعلت النار فيها ، وخرج منها الافرنج واحترقت تلك الدبابة ، ورموها بالمناجيق حتى انهدمت . وخرج المسلمون من الثغر وقطعوا رأس الكبش واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد وحملوا منه ما استطاعوا وحصل بذلك النصرة للمسلمين والخذلان للمشركين ، وكان ذلك يوم الاثنين ثالث عشر رمضان ، واحترقت البطة يوم الاربعاء خامس عشر .

واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو وعلى البلد الزحف الشديد ورموا بالمناجيق ، وخرج المسلمون فطردوهم الى خيامهم .

((ذكر غير ذلك من الحوادث))

وصل الخبر أن صاحب انطاكية تحرك على المسلمين ، فسربت له الكمائن فخرجوا عليه وقتلوا اكبر رجاله ، وفي هذا التاريخ القت الريح بساحل الذيب بطتين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء ، وحصل بين المسلمين والكفار وقائع وغنم المسلمون من الكفار .

وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحل السلطان الى منزل يعرف بشفرعم لما بلغه من تحرك الافرنج ، فخيم هناك وشرع يتواقع هو والافرنج في كل وقت وغلت الأسعار عند الافرنج واشتد بهم البلاء وخرج منهم جماعة ولجؤا الى السلطان مما اصابهم من الجوع ، فقبلهم واحسن اليهم . فمنهم من اعتذر ومنهم من اسلم وصار في خدمة السلطان .

((نوبة رأس الماء))

ولما ضاق بالافرنج الامر تشاوروا وعزموا على المصادمة فخرجوا في عدد كثير وذلك في يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من يحصرها وكان اليزك على تل الصياصية ونزل العدو تلك الليلة . واتصل خبرهم بالسلطان فرحل الثقل وبقي الناس على جرائد الخيل ، وسار العدو يوم الثلاثاء والعساكر في احسن اهبة ، وامتد الجيش في الميمنة الى الجبل ، وفي الميسرة الى النهر بقرب البحر ، والسلطان في القلب .

فسار حتى وقف على تل عند الخروبة وحوله اولاده واخوه وخواص امرائه وامراء القبائل من الاكراد . وسار الافرنج شرقي النهر مواجهين حتى وصلوا الى رأس النهر فانقلبوا الى غربيه ونزلوا على التل بينه وبين البحر . والسلطان في خيمة لطيفة يشاهد القوم .

واصبح الافرنج يوم الاربعاء راكبين الى ضحوة النهار والمسلمون قد قربوا منهم ، فأحس الافرنج بالخذلان فساروا وولوا مدبرين . فتبعهم عسكر الاسلام ورموهم بالسهام وهم مجتمعون في سيرهم ، وكلما صرع منهم قتيل حملوه ودفنوه حتى لا يظهر للمسلمين كسرهم . ونزلوا ليلة الخميس فقطعوا الجسر واصبحوا بكرة الخميس وقد دخلوا الى مخيمهم فعاد السلطان الى محله . وكان مع الافرنج الخارجين المركيس والكندهرى . وأقام ملك الالمان على عكا .

((وقعة الكمين))

اقتضى رأي السلطان ان يرتب كميناً للعدو فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال رجاله وابطاله وانتخب منهم من عرف بالشجاعة وامرهم ان يكمنوا على ساحل البحر . فمضوا وكمنوا ليلة السبت وخرجت منهم عدّة يسيرة بعد الصباح

ودنوا من الافرنج فطمعوا فيهم وحملوا عليهم وطردوهم ، فانهزم المسلمون أمامهم حتى وقفوا على الكمين ، فخرجوا عليهم فلم يستطع فارس منهم ان يفر ، فقتل معظمهم ووقع في الأسر خازن الملك وعدة من الافرنسيسية ومقدمهم .

وجاء الخبر للسلطان فركب بمن معه ووقف على تل كيسان وشاهد النصر وجاءه مماليكه بالأسرى ، وترك السلطان الأسلاب والخيول لآخذيها وكانت بأموال عظيمة ، وجلس السلطان في خيمته وحوله جنده وانصاره ، وأحضر الأسرى بين يديه واحسن اليهم واطعمهم والبسهم والبس المقدم الكبير فروته الخاصة وأذن لهم ان يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون ، ثم جهزهم الى دمشق للاعتقال .

﴿ ذكر غير ذلك من الحوادث ﴾

ثم هجم الشتاء فصرف السلطان العسكر للاستراحة الى الربيع وأقام هو على الجهاد ثم نقل الافرنج سفنهم خوفاً عليها الى صور وأخلوا ساحل عكا . واقام الملك العادل على البحر ، فوصل يوم الاثنين ثاني ذي الحجة من مصر سبعة مراكب فيها الغلة فخرج اهل البلد لمشاهدتها والمساعدة في نقلها .

فعلم الافرنج بخروج اهل البلد الى جانب البحر فزحفوا زحفاً شديداً واحاطوا بعكا واتوا بسلالم فنصبوها على السور وتزاحموا على الطلوع في سلم وتصادموا فاندق بهم السلم فتساقطوا ، فتدارکهم المسلمون وفتكوا فيهم وقتلوا منهم جماعة وردوهم على اعقابهم . فلما اشتغل الناس بأمرهم تركوا المراكب وما فيها من الغلال فهاج البحر فكسرت المراكب وتلف ما فيها وغرق ما كان فيها من الامتعة وهلك بها زهاء ستين نفساً والحكم لله العلي الكبير .

وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فهدمت منه جانباً ، فبادر الافرنج طمعاً في الهجوم ، فجاء اهل البلد وصدوهم حتى عمر الهدم وجرح من العدو خلق كثير كل ذلك بهمة بهاء الدين قراقوش .

وفي ثالث عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان فحصل الوهن في الافرنج بموته ، وهلك منهم عدد كثير ٠

وفي يوم الاثنين عشري ذي الحجة عاد المستأمنون من الافرنج الذين انهضهم السلطان ليغزوا في البحر ويكونوا جواسيس فرجعوا وقد غنموا اشياء كثيرة فوهبهم السلطان ذلك ولم يتعرض لشيء منها . فلما رأوا ذلك اسلم منهم شطرهم ٠

وفي الرابع والعشرين من ذى الحجة أخذ من الافرنج مركوسين فيهما نيف وخمسون نفراً ٠

وفي الخامس والعشرين منه أخذ ايضاً مركوساً فيه جماعة من اعيان الافرنج ومعهم ملوطة مكللة باللؤلؤ بأزرار من جوهر قيل : انها من ثياب ملك الالمان ٠ وأسر فيه رجل كبير قيل : انه ابن اخيه ٠ واستشهد في هذه السنة جماعة بعكا من الامراء ٠

ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة والشتاء موجود والمسلمون مع الكفار في وقعات ٠ وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول خرج المسلمون على العدو فكبسوه في مخيمه واسروا من الافرنج وقتلوا وعادوا سالمين ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي ٠

وفي يوم الأحد ثالث الشهر المذكور ثار الحرب بين المسلمين والكفار فنصر الله المسلمين وهلك من الافرنج خلق كثير وقتل منهم مقدم كبير ، ولم يفقد من المسلمين إلا خادم صغير . وكن المسلمون كائن ٠ ووصل الى السلطان من بيروت خمسة واربعون اسيراً من الافرنج ، وقدم على السلطان جماعة من عسكر الاسلام ٠

(وصول ملك الافرنسيس ـ واسمه فليب ـ لنجدة الافرنج بعكا)

وفي ثاني عشر ربيع الأول يوم السبت وصل ملك الافرنسيس الى الافرنج في عدد قليل ٠ ومن النوادر : انه كان مع هذا الملك بازي اشهب ففارقه يوم وصوله وطار ووقع على سور عكا فأمسكه المسلمون واحضروه للسلطان . فسر بذلك ، وبذل الملك فيه الف دينار فما اجيب ٠

ومما وقع انه كان المستأمنون الينا من الافرنج تسلموا مراكيس يغزون فيها ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرص يوم عيدهم ، وقد اجتمعوا في كنيسة فصلوا معهم واغلقوا باب الكنيسة واسروهم بأسرهم وسبوهم واخذوا جميع ما في الكنيسة وحملوهم الى اللاذقية وباعوا بها كل ما اخذوه ومن جملته سبع وعشرون امرأة سبايا وصبيان فباعوها واقتسموا أثمانها .

وفي سادس عشري ربيع الآخر هجم جماعة من العسكر واخذوا قطيعاً من غنم الافرنج ، وخالطوهم في خيامهم . وركب الافرنج بأسرهم في أثرهم فلم يظفروا بهم . وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد وكاد يأخذها فاستنفروا العساكر ، فأصبح السلطان وركب وسير من كشف حال العدو وهل لهم كمين . فكلما شاهد الافرنج عسكر المسلمين قد اقبل تركوا الزحف وتأخروا ، فاذا عاد عادوا .

﴿ قصة الرضيع ﴾

كان لصوص المسلمين في الليل استلبوا طفلا من الافرنج من يد امه له ثلاثة اشهر ، فخرجت والدته والهة عليه فلم يشعر السلطان إلا وهي ببابه واقفة فأحضرها السلطان وهي باكية ، فأخبرته الخبر . فطلب الرضيع فقيل له : ان من اخذه باعه بثمن بخس . فما زال يبحث عنه حتى جيء به في قماطه ودفعه لامه وشيع معها من اوصلها الى مكانها وما رد الطفل إلا بعد ما اشتراه ممن هو في يده بثمن يرضيه رحمة الله عليه .

﴿ انتقال السلطان الى تل الصياصية ﴾

لما اصر الافرنج على مضايقة عكا انتقل السلطان الى تل الصياصية بعساكره واثقاله واشتد الحرب بينه وبين الكفار في كل وقت ، وضاق الامر على من بعكا وجرى فصول وحروب يطول شرحها .

﴿ وصول ملك الانكثير ﴾

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر أشاع الكفار وصول ملك الانكثير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس والسلطان قوي الجنان لا يرهبه ذلك وهو معتمد على الله في اموره ، واعلم ملك الانكثير ان اهل التوحيد لهم قوة وانهم لا يبالون به ·

﴿ غرق البطـة ﴾

كان السلطان قـد عمر في بيروت بطة وشحنها بالعدد والآلات وفيها نحو سبعمائة رجل مقاتل ،فلما توسطت في البحر صادفها ملك الانكثير واحاطت بها مراكبه وحصل القتال بين الفريقين ، وقتل من الافرنج خلق كثير وعجزوا عن اخذهـا . فلما رأى مقدمها اشتد الامر نزل فخرقها حتى غرقت في البحر . ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جمادى الاولى · وكانت هذه الوقعة اول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين ·

﴿ حريق الذبابة ﴾

وكان الافرنج قد اتخذوا ذبابة عظيمة ولها اربع طبقات وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقرّبوها الى ان بقي بينها وبين البلد خمسـة أذرع ، وكانت هذه الذبابة على العجل . وانزعج المسلمون بذلك ورموا عليها النفط وهو لا يفيد فيها حتى قدّر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى . فحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطة ، فان حريق الذبابة كان يوم وصول خبر غرق البطة ·

ثم وقع وقعات في هذا الشهر ، وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بعكا عند زحف العدو دق الكؤس فاذا سمعت ادركهم العسكر · فوقع

لهم عدة وقعات . فمن ذلك وقعة في يوم الجمعة تاسع عشر الشهر اشتد فيها القتال الى وقت الظهر حتى حمى الحر فافترق الفريقان ورجع كل الى مخيمه .

ووقعة في يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر حصر العدو البلد واستشهد اثنان من المسلمين ، وقتل جماعة من المشركين .

ووقعة في اليوم الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسلا وراجلا . وركب السلطان واشتد الأمر واستشهد من المسلمين بدوي وكردي وهلك خلق كثير من المشركين ، واسر منهم فارس بفرسه .

ووقعة في يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر طال فيها القتال واسر الكفار من المسلمين واحداً فأحرقوه . واسر المسلمون منهم واحداً واحرقوه .

قال العماد الكاتب : وشاهدنا النارين في حالة واحدة يشتعلان والصفان واقفان يقتتلان .

﴿ ذكر المركيس ومفارقته ﴾

وفي يوم الاثنين سلخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور فانه كان بينه وبين هنفرى عداوة واحقاد باطنية لامور كانت بينهما ، فلما جاء ملك الانكثير تظلم اليه هنفرى واستعداه على المركيس . فلما علم المركيس بذلك فر منه .

﴿ فصل ﴾

ووصل العساكر الى السلطان من سنجار ومن مصر ، وحضر رسول من عند بعض ملوك الافرنج الى السلطان بكلام مهمل لا طائل تحته . ثم حضر رسل ثلاثة فأكرمهم السلطان واحسن اليهم ، وكان غرض الافرنج بتكرير الرسالات الخداع حتى يشتغل المسلمون عنهم . وضعف الثغر من قوة الحصر .

ولما علم السلطان يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة بما عليه البلد من غلبة

البلاء زحف بعسكره ودهم الافرنج ونهب من خيامهم ، وامسى تلك الليلة . ثم أمر بدق الكؤس سحراً حتى ركب العسكر فجرى ذلك اليوم من القتال أشد ما كان من أمس • ووصل الى السلطان مطلعة من البلد انهم عجزوا ولم يبق إلا تسليم البلد • فعظم الأمر على السلطان ، وفي هذا اليوم بعث العساكر وزحف الى خنادقهم وخالطوهم وحصل بينهم قتال شديد •

ولما تكاثر الافرنج على عكا وقل المسلمون لكثرة من استشهد خرج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسيس بأمان وقال له قد علمتم ما عاملنا كم به عند اخذ بلادكم من الأمان لأهلها ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الأمان ونسلم • فقال : ان اولئك الملوك كانوا عبيدي وأنتم مماليكي أفعل بكم ما يقتضيه رأيي • فقام المشطوب من عنده مغتاظاً واغلظ له في القول وقال : نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ونقتلكم قبلنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين •

ولما رجع المشطوب وعلم حاله هرب جماعة من الامراء والاجناد ممن بالبلد وغضب عليهم السلطان واخرج اقطاعاتهم ، ثم رجع بعضهم الى البلد فحصل له الرضا ووقع في بعضهم شفاعة واستمروا على المقت عند السلطان •

وفي يوم الخميس حصلت وقعة عظيمة واشتد فيها الحرب ، واصبح العسكر يوم الجمعة عاشر الشهر على اهبة القتال فلم يحصل شيء ، وانقضى النهار والعسكر محيط بالعدو والعدو محيط بالبلد •

واصبح يوم السبت والافرنج قد ركبوا وخرج منهم اربعون فارساً واستدعوا ببعض المماليك الناصرية ، فلما وصل اليهم اخبروه ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه وهو يستدعي نجيب الدين احد امناء السلطان لأنه كان يتردد في الرسالات للافرنج • فلما حضر ارسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بأنفسهم بحكم الأمان ، وطلبوا في مقابلة ذلك اشياء لا يمكن وقوعها وتعنتوا في الاشتراط ، فتردد من عند السلطان نجيب الدين مراراً •

وكان الافرنج اشترطوا إعادة جميع البلاد وإطلاق أساراهم. فبذل السلطان لهم عكا بما فيها وان يطلق لهم في مقابلة كل شخص اسيراً ، فلم يقبلوا . وسمح لهم برد صليب الصلبوت . وانفصل الأمر على غير اتفاق ، وضعف البلد وعجز من فيه .

﴿ استيلاء الإفرنج على عكا ﴾

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة اجتمعت الافرنج بجموعها وهجمت وطلعت فى السور المهدوم فثار عليهم المسلمون وصدوهم ، وحصلت الوقعة حتى كلت الرجال ، فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب وحسام الدين حسين بازيك واخذا امان الافرنج على ان يخرجوا بأموالهم وانفسهم على تسليم البلد ومائتي الف دينار وخمسمائة أسير من المجهولين وما اسر من المعروفين وصليب الصلبوت واشياء ذكراها غير ذلك فلم يشعروا إلا بالرايات الافرنجية قد نصبت على عكا وما عند السلطان علم بما جرى عليه الحال ، فانزعج السلطان والمسلمون لذلك . ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشفرعم واقام في خيمة لطيفة ، ثم انتقل سحر ليلة الأحد تاسع عشر الشهر الى المخيم وهو في غم عظيم ، فسلاه اصحابه واستعطفوا بخاطره.

وخرج رسول بهاء الدين قراقوش لطلب ما قدروه من القطيعة وقال: ادركونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر وإن تأخر شيء من ذلك أسرنا ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر .

فأحضر الأكابر وفاوضهم، فأشاروا باستنقاد اخوانهم من المسلمين. فشرع السلطان في تحصيله ، وكتب الى الاقطار يعلمهم بالحال ويستنفرهم للجهاد في سبيل الله .

وفي يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة خرج الافرنج وانتشروا ، فضربت الكاسات السلطانية . فانتدب العسكر واشتد الحرب وانهزم الافرنج ، فجاءت

العرب وحالت بينهم وبين اسوارهم وصرعوا زهاء خمسين رجلا وكروا عليهم . ثم كر الافرنج على المسلمين كرة عظيمة فتثبتوا ، ثم عادوا عليهم حتى طردوهم الى خنادقهم ، وانتصف الاسلام في ذلك اليوم بعض الانتصاف .

وفي يوم الجمعة ثاني رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة بخلاص الجماعة واخبروا ان ملك الافرنسيس توجه الى صور لترتيب اموره ووكل المركيس في قبض ما يخصه . فجهز السلطان رسولا لكشف خبره وعلى يديه هدية له . ونقل خيمته يوم السبت الى تل بازاء شفرعم وراء التل الذي كان عليه ، وما زالت الرسل تتردد حتى أحضر مائة الف دينار والاسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك الى الافرنج في الاجل المعين .

ووقع الخلف في كيفية التسليم ، فقال السلطان : اسلمه اليكم على ان تطلقوا جميع اصحابنا وتأخذوا بباقي المال قوماً رهائن . فأبوا إلا اخذ الجميع بسرعة ويسلموا ويحلفون للمسلمين على تسليم من عندهم . فقيل لهم : تضمنكم الداوية . فلم يضمنوا . فتحير السلطان وقال : متى سلمنا اليهم من غير احتياط بالشرط كان على الاسلام غبن وعار ، فلو ايقنا بخلاص اصحابنا سمحنا لهم في الحال بصليب الصلبوت والاسارى والمال . ووقف الأمر الى ان مضى الأجل .

وجاء الرسل ورأوا الاسارى قد حضروا والمال موزوناً فظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فسألوا احضاره لينظروه ، فلما احضر خروا له ساجدين واطمأنوا وظهر للسلطان منهم إمارات الغدر .

وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من رجب أخرج الافرنج الى ظاهر المرج خياماً نصبوها وجلس فيها ملك الانكثير ومعه خلق من جماعته .

﴿ غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا ﴾

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس عشري رجب ركب الافرنج بأسرهم وجاؤا

الى المرج الذي بين تل الصياصية وتل كيسان ، فعلم السلطان بذلك فركبت العساكر نحوهم . وكانوا قد احضروا اسارى المسلمين وهم واقفون في الجبال . وحملوا عليهم وقتلوهم جميعهم ، فحمل عليهم العسكر وقتل منهم خلقاً كثيراً . وانصرف العدو الى خيامه .

فلما وقع هذا الغدر تصرف السلطان في ذلك المال وأعاد أسارى الافرنج الى دمشق واعاد صليب الصلبوت .

رحيل الإفرنج صوب عسقلان

وفي سحر الأحد غرة شعبان عزم الافرنج على التوجه الى عسقلان وساروا . فعلم السلطان بذلك ، وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك الأفضل فوقف في طريقهم وشتت شملهم وارسل يستنجد والده أن يمده بعسكر حتى يقاتلهم . فاستشار من حضر من عسكره ، فقيل للسلطان : ان العسكر لم يتأهب للقتال والافرنج قد فاتوا والحرب قائم عند قيسارية وقصده أولى . فصرف السلطان عزمه وتوجه نحو قيسارية ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية ، واقام هناك واتي مراراً باسارى فأمر باراقة دمهم .

((وقعة قيسارية))

وفي يوم الاثنين تاسع شعبان وصل الخبر للسلطان برحيل الافرنج وانهم سائرون في جمع . فركب السلطان ومن معه ، وسار العدو بازائه . وكانت هناك بركة كبيرة مملوءة بالماء والافرنج على عزم ورودها فصدهم عسكر الاسلام عنها وطردوهم ، فولوا مدبرين وانصرفوا نحو الساحل ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب بعد مشقة حصلت لهم من المسلمين ونزل العسكر بعد انقضاء الحرب على البركة ، ثم رحل ونزل على أعلا نهر القصب في اوله وهو الذي نزل العدو في أسفله فقربت المسافة .

وكان شخص من الأمراء اسمه عز الدين ابن المقدم أبصر جماعة من الافرنج مقبلين لكشف حال العسكر فعبر اليهم النهر وقتل منهم عدة وأسر ثلاثة ، فركب الافرنج وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة ، واحضر الاسارى عند السلطان ، ورحل وقت الظهر قاصداً نحو ارسوف ونزل على قربة بقربها ، واقام بها يوم الأربعاء والعدو في مكانه الأول .

اجتماع الملك العادل وملك الانكثير

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر فراسله العدو ان يتحدث مع الملك العادل . فاجتمعا يوم الخميس فتكلما في الصلح واخماد الفتنة ، فقال له الملك العادل : ما الذي تريده ؟ فقال : رد البلاد . فقال العادل : هذا لا سبيل اليه ، واغلظ له في القول . وكان الترجمان بينهما هنفرى بن هنفرى . فلما سمع ملك الانكثير ذلك غضب وتفرقا على غير شيء .

وقعة أرسوف

لما عرف السلطان من اخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الملعون جمع يوم الجمعة العساكر وسير الثقل وركب .

فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ركب العدو على صوب أرسوف فهجم عليهم عسكر الاسلام واحاط بهم واشتد القتال بينهم فحملوا على اطلاب المسلمين حملة واحدة فاستشهد جماعة من المسلمين ، ثم كر العسكر على الكفار فصدوهم وكسروهم وقتل منهم جماعة ، واسر جماعة . وهرب الافرنج ودخلوا ارسوف ونزلوا قريباً من الماء وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء . واقام العدو يوم الأحد في موضعه ، ثم رحل يوم الثلاثاء سائراً الى يافا ، فعارضهم العسكر في طريقهم .

ثم رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمع عنده

الأثقال كلها ، ثم رحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ٠

خراب عسقلان

لما نزل السلطان بالرملة أحضر عنده اخاه الملك العادل واكابر الامراء وشاورهم في امر عسقلان . فأشار بعضهم بخرابها للعجز عن حفظها فان الافرنج نزلوا بيافا وهي مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين إلا بعدد كثير ، وتيقن انهم اذا وصلوا الى عسقلان تسلموها كما وقع في عكا واقتضى الحال هدمها ٠

ووصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان فنقض اسوارها وهدم منازلها ٠ وكانت من احسن المدن واظرفها ، فصارت خراباً دائرة ، وحصل لأهلها مشقة زائدة بهدمها وباعوا امتعتهم بأبخس الأثمان وتشتتوا في البلاد ٠

فصل

فلما هدمها رحل يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يبنا ، ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة ، ثم خرج الى لد واشرف عليها وامر باخرابها واخراب قلعة الرمل ، ففعل ذلك ٠ ثم توجه الى بيت المقدس واتاه يوم الخميس ، وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة . وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوة ٠

وفي هذا التاريخ خرج ملك الانكتير متنكراً فخرج عليه الكمين وجرى قتال عظيم حتى كاد يؤسر الملك وقد اسر منه جماعة ٠

وجرى يوم الجمعة ثاني عشر الشهر بين اليزكية واهل الكفر وقعة قتل منهم مقدم كبير ٠

ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون وهي قلعة منيعة فهدمها ، واشاع الاقامة هناك ، وأفاض الانعام على العسكر ·

ذكر ما تجدد لملك الانكثير

وصلت رسل ملك الانكثير الى العادل بالمصالحة وترددت الرسل وانتظم الحال على ان العادل يتزوج اخت ملك الانكثير ويحكم العادل في البلاد وتكون المرأة مقيمة بالقدس ويوطن العادل مقدمي الافرنج والراوية والاستبار ببعض القرى ولا يمكنهم من الحصون ولا يقيم معها في القدس إلا قسس ورهبان · فاستدعى العادل جماعة من الاعيان منهم العماد الكاتب وغيره وسألهم في المضي الى السلطان واعلامه بذلك وسؤاله في ذلك .

فحضروا الى السلطان واخبروه بالحال ، فسمح ورضى وذلك في يوم الاثنين تاسع عشري رمضان · وعاد الرسول الى ملك الانكثير ·

ثم ان اكابر الافرنج عرضوا ذلك على قسسهم فلم يرضوه وخبثوا المرأة ونذموها وعنفوها بتزويجها بالمسلم ، فانثنى عزمها عن التزويج وقالت : أتزوجه بشرط ان يوافقني على ديني · فأنف العادل من ذلك . واعتذر الملك بامتناع اخته وبطل الاتفاق ، وكان ذلك يوم العيد ·

وفي يوم العيد خلع السلطان على اكابره ومدّ لهم سماطاً . ونزل السلطان بالرملة ليقرب من العدو . وتواتر الخبر بأن الافرنج على عزم الخروج ، فسار يوم الاثنين سابع شوال وخيم خارج الرملة ·

وجاء الخبر ان العدو قد خرج الى يازور ، فتسارع العسكر اليهم وقربوا من خيامهم واحاطوا بهم · فركب الافرنج وحملوا على الناس حملة واحدة فاندفعوا بين ايديهم فاستشهد ثلاثة . وكان السلطان في كل يوم يركب ، ولا يخلو من وقعة يقتل فيها من الكفار ·

وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة بأن يكمنوا في جهة عينها . وخرج الافرنج للاحتشاش ، ولقيهم اعراب فتواقعوا معهم وخرج الكمين واقتتلوا معهم وقتل جماعة من الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص ، واسر من الافرنج فارسان واحضرا للسلطان ، وانفصل الحرب وقت الظهر .

﴿ اجتماع الملك العادل بملك الانكثير ﴾

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لأجل ملك الانكثير ثلاث خيام وجهز فاكهة وحلوى وطعاماً . وحضر ملك الانكثير وطالت بينهما المحادثة وافترقا عن غير موافقة ، ومضى الملك .

وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس لطلب الصلح مع السلطان حتى يقوى يده على ملك الانكثير ، وبلغ ذلك ملك الانكثير فوصل رسوله ايضاً بنظير هذا الأمر ، ومضى القول مع صاحب صيدا الى المركيس على شرائط شرطت عليه . واما مراسلة الملك فلم ينتج منها أمر ، وكلما حصل الاتفاق معه على شيء نقضه ، وكلما قال قولا رجع عنه فلعنة الله عليه .

وفي يوم الاحد سابع عشري شوال عاد السلطان الى المخيم بالنطرون . ورحل الافرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها ولم يشك انهم على قصد القدس .

وأقام السلطان في كل يوم له سرايا وصار لهم في كل يوم وقعة ، وما يخلو من اسرى تقاد اليه . ثم هجم الشتاء وتوالت الأمطار فعزم على الرحيل .

﴿ رحيل السلطان إلى القدس ﴾

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة ركب السلطان والغيث نازل وسار بمن معه حتى وصل الى القدس قبل العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة

لكنيسة قمامة ، وشرع في تحصين المدينة ، وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة . وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل اليه عسكر من مصر ، وتتابعت العساكر المصرية . ووصل الخبر بنزول الافرنج بالنطرون فوقع الارجاف في الناس.

وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة قرب بيت نوبة من سرية جهزها السلطان فوقعوا على سرية الافرنج فأسروها وقتلوها ووصلوا بزهاء خمسين أسيراً الى القدس وكانت بشرى عظيمة .

ثم وقعت وقعة اخرى قتل من الكفار ستة واسر اربعة .

وصلى السلطان عيد الاضحية بالقدس يوم الاحد وكانت الوقفة بمكة يوم الجمعة لكن لم ير الهلال بالقدس ليلة الخميس .

وفي يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة وقعة وقعت بالرملة من أميرين أغارا على الافرنج وأخذا اموالا واغناماً وخيلا وجمالا وبغالا ، وأسرا ممن كان في القافلة ثلاثين واحضراهم للسلطان . واحاط بالافرنج البلاء وكثرت عليهم الغارات فرحلوا وعادوا الى الرملة . وطابت قلوب المسلمين .

(ذكر ما اعتمده السلطان فى عمارة القدس)

وصل من الموصل جماعة للعمل في الخندق جهزهم صاحب الموصل صحبة بعض حجابه وسير معه مالاً يفرقه عليهم في رأس كل شهر ، وأقاموا نصف سنة في العمل وامر السلطان بحفر خندق عميق وأنشأ سوراً ، وأحضر من اسرى الافرنج قريباً من الفين ورتبهم في ذلك ، وجدد ابراجاً حربية من باب العمود الى باب المحراب وباب المحراب هو المعروف الآن بباب الخليل ، وانفق عليها اموالا جزيلة وبناها بالأحجار الكبار ، وكان الحجر يقطع من الخندق ويستعمل فى بناء السور . وقسم بناء السور على اولاده واخيه العادل وامرائه ، وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه .

وكان يحمل الحجر على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر الى موضع البناء ، ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواصه والامراء ، ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء وحواشي العساكر والاتباع وعوام الناس . فبنى في اقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين .

وأرسل السلطان لصاحب الموصل يشكره على تجهيز الرجال لحفر الخندق بمكاتبة انشأها العماد الكاتب رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في دار الاقسا بجوار قمامة لتقوية البلد وتشييد اسواره ، وجدّ في عمارة الصخرة المقدسة واكمل السور والخندق وصار في غاية الاتقان ، واطمأن اهل الاسلام .

ذكر الحوادث مع الإفرنج

رحل الافرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى بلد عسقلان ونزلوا بظاهرها يوم الاربعاء ، وتشاوروا في إعادة عمارتها ، وكان اثنان من الامراء نازلين في بعض اعمالها . فركب ملك الانكثير عصر يوم الخميس فشاهد دخاناً على البعد فساق متوجهاً الى تلك الجهة ، فما شعر المسلمون إلا بالكبسة عليهم فلم ينزعجوا فانه كان وقت المغرب وهم مجتمعون ولم ير العدو إلا احد القسمين من المسلمين فقصده ، فعرف القسم الآخر هجوم العدو فركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم المقصودون واجتمعوا وردوا العدو ، ثم تكاثر الافرنج وتواصلوا ووقعت الوقعة فلم يفقد من المسلمين إلا اربعة ونجا الباقون . وكانت نوبة عظيمة ولكن الله سلم فيها .

وفي يوم الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والعمارة ومعه الملوك والامراء والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد والأولياء وخرج

كل من بالبلد وهو قد حمل على سرجه والناس ينقلون معه . ولما دخل الظهر نزل في خيمة بالصحراء ومدّ السماط ثم صلى الظهر وانصرف الى منزله .

واما سراياه فكانت لا تزال تغير على الكفار ، فمن ذلك : سرية اغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم على يبنا وفيها الافرنج فغنمت اثني عشر أسيراً وخيلا ودواب واثاثاً كثيراً .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر أغارت السرية على ظاهر عسقلان وغنمت ثلاثين أسيراً سوى الخيل والبغال .

وفي ليلة الأحد رابع عشر صفر صبحت سرية على يبنا وظهرت على قافلة الافرنج فأخذتها بأسرها مع رجالها وبغالها وأحمالها . ثم أغارت على يافا فقتلت وفتكت وعادت بالغنيمة والسبايا ، وعجز جماعة من الاسارى عن المشي فضربت اعناقهم ، واوجب ذلك عتق الباقين .

ولما خرج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه قطيعة خمسين الف دينار فأدى منها ثلاثين الفاً وأعطى رهائن على عشرين الفاً ، ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتنقه وتلقاه واقطعه نابلس واعمالها وعاش الى آخر شوال من هذه السنة وتوفي رحمه الله فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس وعمارة سوره وأبقى باقيها لولده .

﴿ هلاك المركيس بصور ﴾

أضافه الأسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فأكل وخرج وركب فوثب عليه رجلان وقتلاه بالسكاكين فامسكا وسئلا من هو الآمر لكما بقتله ؟ فقالا : ملك الانكثير ، فقتلا شر قتلة .

ولما هلك المركيس تحكم ملك الانكثير في صور وولاها الكندهرى وارسل الملك يطلب من السلطان نصف البلاد سوى القدس فانه يبقى للمسلمين بمدينته وقلعته سوى كنيستهم قمامة . فأبى السلطان ولم يرض .

(استيلاء الإفرنج على قلعة الداروم)

وقلعة الداروم هذه على حد مصر خلف غزة وكانت منها مضرة كبيرة ، فلما شرع الافرنج في عمارة عسقلان ترددوا اليها مراراً ، ثم نزلت الافرنج عليها واشتد زحفهم اليها عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان نقبوها ، وطلب اهلها الأمان فلم يؤمنوا . ولما عرف الوالي بها انهم مأخوذون عمد الى الخيل والجمال والدواب فعرقبها والى الذخائر فأحرقها . وفتحوها بالسيف وقتلوا من بها واسروا منهم عدة يسيرة . وكانت نوبة كبيرة على الاسلام .

ثم رحل الافرنج عنها ونزلوا على ماء يقال له الحسي يوم الخميس رابع عشر الشهر .

ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الجبان ، فخرج عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديداً ، وقتل منهم خلق كثير وانهزموا .

ثم رحلوا من الحسي يوم الأحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين فبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبريل ، فتقدم السلطان الى العساكر بمبارزتهم.

وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون ، فارجف بقصدهم القدس . ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبة .

وأظهر السلطان الاقامة بالقدس ، وفرق الامراء على الابراج ، وجرت وقعات وكبسات .

وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهم . وركب العدو وساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين وعاد منهزماً .

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادي الآخرة خرج كمين في طريق يافا على قافلة فأخذوها وأسروا من فيها ·

﴿ كبسة الإفرنج على عسكر مصر الواصل ﴾

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة لأهل القدس فضرب خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمعوا وانضم اليهم التجار فاغتروا بكثرتهم والعدو منتظر قدومهم · وجاء الخبر للسلطان ليلة الاثنين تاسع جمادى الآخرة ان ملك الانكثير ركب في جمع كبير وسار عصر يوم الأحد . فجرد السلطان أميراً وجماعة لتلقي الواصل وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق البرية ، فعبروا على ماء الحسي قبل وصول العدو اليه ·

وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين اخو العادل فلم يسأل عن المنزلة وقصد الطريق الأقرب وترك الأحمال على طريق اخرى ونزل على ماء يعرف بالخويلفة ونادى تلك الليلة انه لا رحيل الى الصباح وناموا مطمئنين فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح في الغلس ، فلما بغتهم ركب كل منهم على وجهه ، وفيهم من ركب بغير عدة وانهزموا وتركوا العدو وراءهم . فوقع العدو في امتعتهم وتفرق العسكر في البرية ، فمنهم من رجع الى مصر ومنهم من توجه على طريق الكرك . فأخذ الكفار من الجمال والاحمال ما لا يعد ولا يحصى ، وكانت نكبة عظيمة · ووصل الجند مسلوبين منكوبين ، فسلاهم السلطان ووعدهم بكل جميل · واشتغل الكفار بالمال عن القتل والقتال ·

﴿ رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهراً انه على قصد بيروت ﴾

لما تعذر على الافرنج قصد القدس ورأوا ان بيروت فزع منهم وقطع عليهم طريق البحر فقالوا : هذا البلد اخذه هين ، واذا قصدناه جاء السلطان وعسكره الينا وخلا القدس ، فنبادر اليه من يافا وعسقلان ونملكه · فلما عرف السلطان ما عزموا

عليه أمر ولده الملك الأفضل بمبادرتهم في الرحيل وسبقهم الى مرج عيون حتى اذا تيقن قصدهم سبقت العساكر الى بيروت ودخلتها . وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا مع ولده . فنزل بمرج عيون والافرنج بعكا لم تخرج منها .

(نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها)

لما رحل ملك الانكثير وترك في مدينتي يافا وعسقلان جمعاً من العسكر انتهز السلطان الفرصة لغيبته ونهض بعسكره الحاضر ونزل على يافا وحصرها ورماها بالمناجيق وزحف عليها ، وهجم على المدينة وقتل من بها ، ووجدت الأحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت ، وامتلأت البلد من المسلمين وبقيت القلعة وطلب اهلها الأمان ويسلمونها ، وكان قرب الاستيلاء عليها . فلما طلبوا الأمان كف الناس عنها ، فخرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين والاكابر على ان يدخلوا تحت طاعة السلطان ويسلموا المال والذخائر حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا من يحفظهم من المسلمين .

وما زال يخرج من يستدعي زيادة التوثقة حتى وصل ملك الانكثير فى البحر في مراكب في الليل ودخل القلعة من الجانب البحرى ، ونادوا بشعار الكفر فاكتفى منهم بمن أسر ، وندم المسلمون على ما وقع من الأمان . ولو ان السلطان توقف في تأمينهم لاخذت القلعة ، وكان ذلك فتحاً عظيماً . واخذ المسلمون من الاموال والغنائم ما لا يحصى ، واستعادوا من الكفار مانهبوه من الكبسة المصرية ، وقتل من اقام بالبلد واسر ، وحصل في ايدي المسلمين من مقدمي القلعة نيف وسبعون . وكان القصد في الأول رجوع الكفار عن قصد بيروت وضعف الافرنج من هذه الوقعة .

وعاد السلطان وخيم على النطرون ، واقام السلطان حتى تكاملت العساكر .
ورحل السلطان ونزل بالرملة وقد اجتمع العساكر من سائر البلاد وقوى واشتد

عزم المسلمين وحصل لهم السرور بفتح يافا واخذ ما فيها ، وتباشروا بالنصر وخذلان العدو ٠

(الهدنة العامة)

لما عرف ملك الانكتير اجتماع العساكر واتساع الخرق عليه وان القدس قد امتنع اخذه قصر عما كان فيه وخضع واظهر انه لم يهادن السلطان ، واقام وجد في القتال ، ثم طلب المهادنة وكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح . فلم يجب السلطان لذلك ، وأحضر السلطان الأمراء وشاورهم وقال لهم : نحن بحمد الله في قوة وقد ألفنا الجهاد وما لنا شغل إلا العدو ، وحرضهم على التثبت والتصميم وحثهم على الجهاد . فقالوا له : رأيك سديد والتوفيق في كل ما تريد ، غير ان البلاد تشعثت وقلت الأقوات واذاحصلت الهدنة في مدتها نستريح ونستعد للحرب والصواب القبول عملا بقول الله عز وجل : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) وتعود البلاد الى العمارة واستيطان اهلها وتكثر في مدة الهدنة الغلة ، واذا عادت ايام الحرب عدنا . وما زالوا بالسلطان حتى رضي وأجاب ٠

ثم حصل الصلح والمهادنة بين السلطان وبين الافرنج بشفاعة جماعة من أعيان جماعة السلطان ، وعقد الهدنة عامة في البحر والبر وجعل مدتها ثلاث سنين وثمانية اشهر اولها يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الموافق لأول ايلول وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، واستقر أمر الهدنة وتحالفوا على ذلك . ولم يحلف ملك الانكتير بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك ٠ وحلف الكندهرى ابن اخته وخليفته في الساحل ، وحلف غيره من عظماء الافرنج . ووصل ابن الهنفرى ومالیان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان ، والملكين الأفضل والظاهر ابني السلطان

والملك المنصور صاحب حماه محمد بن تقي الدين عمرو الملك المجاهد شير كوه صاحب حصن حمص ، والملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك ، والأمير بدر الدين ولدرم البارفي صاحب تل باشر ، والأمير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب سرمين ، والأمير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار .

وكانت الهدنة على ان يستقر بيد الافرنج من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وان تكون عسقلان خراباً ، واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد هدنته ، واشترط الافرنج دخول انطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وان تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

فاستقرت المهادنة على ذلك وحضر العماد الكاتب لانشاء عقد الهدنة وكتبها ونادى المنادي بانتظام الصلح وان البلاد النصرانية والاسلامية واحدة في الأمن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة يترددوا الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور .

وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتان فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكان ذلك مصلحة في علم الله تعالى لأنه اتفقت وفاة السلطان بعد الصلح بيسير فلو اتفق ذلك في اثناء وفاته كان الاسلام على خطر .

((ذكر ما جرى بعد الصلح))

عاد السلطان الى القدس واشتغل في اكمال السور والخندق ، وفسح للافرنج كافة في زيارة قمامة فجاؤا وزاروا وقالوا انما كنا نقاتل على هذا الأمر . وكان ملك الانكثير ارسل للسلطان يسأله منع الافرنج من الزيارة إلا من وصل معه كتابه او رسوله ، وقصد بذلك رجوعهم الى بلادهم بحسرة الزيارة ليشتد حنقهم على الجهاد والقتال اذا عادوا . فاعتذر السلطان اليه بوقوع الصلح والهدنة وقال له : انت أولى بردهم وردعهم فانهم اذا جاؤا لزيارة كنيستهم ما يليق بنا ردهم .

ومرض ملك الانكتير وركب البحر وأقلع وسلم الأمر الى الكندهرى ابن اخته من امه وهو ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه ٠

وعزم السلطـان على الحج وصمم عليه ، وكتب الى مصر واليمن بذلك ٠ فما زال الجماعة به حتى انثنى عزمه ، فشرع في ترتيب قاعدة القدس في الولاية والعمارة وكان الوالي بالقدس حسام الدين شاروخ وهو تركي وفيـه دين وخير ، وكان قد أحسن السيرة ، وفوض ولاية القدس الى عز الدين جرد بك وكان أميراً معتبراً شجاعاً ، وولى علم الدين قنصو اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما وراءها وسأل الصوفية عن احوالهم ، وزاد في اوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاه ، وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بقرب قمامة بيمارستان للمرضى ووقف عليه مواضع ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والمقاقير ، وفوض النظر والقضاء في هذا الوقف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المشهور بابن شداد لعلمه بكفاءته ٠

((رحيل السلطان الى دمشق))

وخرج السلطـان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة ، فشكى اهلها على صاحبها سيف الدين علي المشطوب انه ظلمهم فأقام السلطان بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف ظلامتهم ، ورحل بعد الظهر واصبح على جينين ، ثم رحل الى بيسان ، ثم الى قلعة كوكب ، ثم سار ونزل بظاهر طبرية ولقيه هناك بهاء الدين قراقوش وقد اخرج من الاسر ، ثم رحل ونزل بقرب قلعة صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وأمر بعمارتها ، ثم سار الى ان خيم على مرج تبنين وتفقد احوالها وأمر بعمارة قلعتها ، ثم سار ونزل على عين الذهب ، ورحل وخيم بمرج عيون ، ثم سار وعبر من عمل صيدا . وكلما نزل في مكان يدبر أمره ويرتب احواله ويأمر بعمارته ، الى ان وصل بيروت فتلقاه واليها عز الدين اسامة وقدم للسلطان ولأركان دولته الهدايا والتحف النفيسة ٠

﴿ وصول الإبرنس صاحب انطاكية ﴾

لما اراد السلطان الرحيل من بيروت في يوم السبت الحادي والعشرين من شوال قيل له : ان الابرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمة . فأقام السلطان واذن للابرنس في الدخول عليه . فلما مثل بين يديه أكرمه واظهر البشاشة وسكن روعه ، وكان معه من مقدمي فرسانه اربعةعشرباروشا . وخلع عليه وعليهم وأجزل لهم العطاء ، وودعه يوم الأحد وفارقه وهو مسرور محبور .

﴿ وصول السلطان الى دمشق ﴾

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بالمخيم على البقاع ، ثم سار ووصل اليه اعيان دمشق لتلاقيه ، وجاءه فواكه دمشق واطايبها واصبح يوم الاربعاء فدخل دمشق لخمس بقين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وزينت البلد وخرج كل من في المدينة ، وفرح الناس به . وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد . فحصل لهم الفرح والسرور ، وكان يوماً مشهوداً لدخوله .

وجلس السلطان في دار العدل ، ونظر في احوال الرعية وازال المظالم ، وأقام بهاء الدين قراقوش الى أن خلص اصحابه من الأسر ثم توجه الى مصر . واطمأن الناس في اوطانهم ، وخرجت السنة والأمر على ذلك .

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره ورسل الأمصار واردون عليه وهو يجلس كل يوم وليلة بين اخصائه ويجالسه العلماء والفضلاء والظرفاء والادباء ، وسار الى الصيد شرقي دمشق وصحبته الملك العادل ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ، ووافق عود الحاج الشامي فخرج لتلقيه . فلما رآه فاضت عيناه لفوات الحج وسألهم عن احوال مكة وأميرها ، وسر بسلامة

الحاج . ووصل اليه من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام فتلقاه واكرمه ، وتوجه الملك العادل الى الكرك ٠

﴿ ذكر وفاة السلطان رحمة الله عليه ﴾

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلسه على عادته وحوله خواصه منهم العماد الكاتب حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثهم ويحدثونه ، ثم صلى وانصرفوا. فلما بات لحقه كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية ٠ واصبحوا يوم السبت وجلسوا في الايوان لانتظاره ، فخرج بعض الخدام وأمر الملك الأفضل ان يجلس موضعه على السماط . وتطير الناس من تلك الحال ودخلوا اليه ليلة الأحد لعيادته ٠

واخذ المرض في التزايد وحدث به في السابع رعشة وغاب ذهنه ، واشتد الارجاف في البلد ، وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن شرحه . واشتد به المرض ليلة الثاني عشر من مرضه فتوفي رحمه الله تعالى صبح تلك الليلة وهي المسفرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعد صلاة الصبح ٠ وغسله الفقيه ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن زيد الدولقي الشافعي خطيب جامع دمشق ، واخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء في تابوت مسجى بثوب ، وجميع ما احتاج اليه في تكفينه أحضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفه ، وصلى عليه الناس . وكثر عليه التأسف من الخلق واشتد حزنهم لفراقه ٠ ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً فيها ، وكان نزوله الى قبره وقت صلاة العصر ٠

وكان يوم موته لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وغشى القلعة والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله ٠

قال العماد الكاتب : مات بموت السلطان رجاء الرجال ، وفات بفواته الاتصال وغاضت الأيادي ، وفاضت الاعادي ، وانقطعت الارزاق ، وادلهمت الآفاق ، فجمع

الزمان بواحده وسلطانه ، ورزىء الاسلام بمشيد اركانه .

وأرسل الملك الأفضل الكتب بوفاة والده الى اخيه العزيز عثمان بمصر والى اخيه الظاهر الغازي بحلب والى عمه الملك العادل بالكرك .

ثم ان الملك الأفضل عمل لوالده تربة بالقرب من الجامع الأموي - وكانت داراً لرجل صالح - ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ومشى الأفضل بين يدي تابوته ، واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد ، وادخل الى الجامع ووضع قدام الستر ، وصلى عليه القاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين بالجامع الأموى ، ثم دفن . وجلس ابنه الملك الأفضل في الجامع ثلاثة ايام للعزاء .

وأنفقت ست الشام بنت ايوب اخت السلطان في هذه النوبة اموالا عظيمة .

وكان عمر السلطان حين وفاته قريباً من سبع وخمسين سنة ، لأن مولده بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لما كان عمه وابوه بها ، وكان خروجهم منها في الليلة التي ولد فيها فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم : لعل فيه الخيرة وما تعلمون . فكان كما قال .

واتفق اهل التاريخ على ان اباه وامه من دوين - بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان وانهم اكراد روادية ، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع ، ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين ايوب خدمته وكذلك ولده الملك صلاح الدين ، ولم تزل مخائل السعادة عليه لائحة والنجابة له ملازمة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ، ومنه تعلم صلاح الدين طريق الخير وفعل المعروف والجهاد الى ان كان من تقدير الله ماسبق شرحه من أمر سلطنته وسيرته .

وكانت مدة ملكه بالديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة ، وملك الشام

قريباً من سبع عشرة سنة ، وهو أول الملوك بالديار المصرية بعد انقراض الدولة الفاطمية . قال العيني : وهو أول من لقب بالسلطان . والذي يظهر : ان مراده أول من لقب بالسلطان : من ملوك مصر والله أعلم ، فاني رأيت في التواريخ من لقب بالسلطان من ملوك العراق قبل الملك صلاح الدين .

وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة صغيرة ، ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما ناصرية . وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد المشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه . ولم يخلف داراً ولا عقاراً ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به وكانت مجالسه منزهة عن الهزؤ والهزل ، ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان شافعي المذهب يكثر من سماع الحديث النبوي وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان اذا عزم على امر توكل على الله ، وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه ، وكان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموزة فأخطأته ووصلت الى السلطان فأخطأته ووقعت بالقرب منه ، فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها .

وكان طاهر المجلس فلايذكر أحد في مجلسه إلا بخير ، وطاهر اللسان فلايولع بشتم قط .

وقد أخبرت ان الدعاء عند قبره مستجاب ، وكذلك عند قبر الملك العادل نور الدين الشهيد رحمة الله تعالى عليهما .

وقد رثى الملك صلاح الدين الشعراء واكثروا فيه ، ومن احسن المراثي مرثية العماد الكاتب وهي مائتان واثنان وثلاثون بيتاً فمنها :

شمل الهدى والملك عم شتاته ... والدهر ساء وأقلعت حسناته

بالله أين الناصر الملك الذي ... لله خالصة صفت نياته

أين الذي ما زال سلطاناً لنا ... يرجى نداه وتتقى سطواته

اغلال اعناق العدى اسيافه اطواق اجياد الورى مناته
من في الجهاد صفاحه ما اغمدت بالنصر حتى اغمدت صفحاته
من في صدور الكفر صدر قناته حتى توارت بالصفاح قناته
ألف المتاعب في الجهاد فلم يكن مذ عاش قط لذاته لذاته
مسعودة غدواته محمودة روحاته ميمونة ضحواته
في نصرة الاسلام يسهر دائماً ليطول في روض الجنان سناته
لا تحسبوه مات شخص واحد فممات كل العالمين مماته
ملك عن الاسلام كان محامياً ابداً الى ان اسلمته حماته
قد أظلمت مذ غاب عنها نوره لما خلت من بدره داراته
دفن السماح فليس ينشر بعد ما ووري الى يوم النشور رفاته
الدين بعد ابي المظفر يوسف أقوت قواه وأقفرت ساحاته
بحر خلا من وارديه ولم تزل محفوفة بوفوده حفاته
من لليتامى والأرامل راحم متعطف منضوضة صدقاته
فعلى صلاح الدين يوسف دائماً رضوان رب العرش بل صلواته
من للثغور وقد عداها حفظه من للجهاد ولم تعد عاداته
بكت الصوارم والصواهل إذخلت من سلها وركوبها غزواته
يا وحشة الاسلام يوم تمكنت في كل قلب مؤمن روعاته
ما كان اسرع عصره لما انقضى فكأنما سنواته ساعاته
لم أنس يوم السبت وهو لما به يبدي السبات وقد بدت غشياته
والبشر منه تبلجت انواره والوجه منه تلألأت سبحاته
وتقول لله المهيمن حكمة في مرضة حصلت بها مرضاته
هذي مناشير الممالك تقتضي توقيعه فيها فأين دواته
قد عاد زرعك في الربيع بجمعها هذا الربيع وقد دنا ميقاته

والجند في الديوان جدد عرضه وإذا أمرت تجددت نفقاته
والقدس طامحة اليك عيونه عجل فقد طمحت اليه عداته
والغرب منتظر طلوعك نحوه حتى تفيء إلى هداك بغاته
والشرق يرجو عز عزمك راضياً في ملكه حتى تطيع عصاته
مغرى باسداء الجميل كأنما فرضت عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضاؤه في موقف شدّت على اعدائه شدّاته
كم جاءه التوفيق في وقعاته من كان بالتوفيق توقيعاته
يا راغباً في الدين حين تمكنت منه الذئاب وأسلمته رعاته
فارقت ملكاً غير باق متعباً ووصلت ملكاً باقياً راحاته
أبني صلاح الدين ان أباكم ما زال يأبى ما الكرام أباته
لا تقتدوا إلا بسنة فضله ليطيب في مهد النعيم سباته
وردوا موارد عدله وسماحه لترد عن نهج الشمات شماته

﴿ ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين
تغمده الله برحمته ﴾

واستقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة اليها الملك الأفضل نور الدين ابو الحسن علي أكبر اولاد السلطان بعهد من أبيه ٠

وبالديار المصرية الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان ٠ وبحلب الملك الظاهر غياث الدين ابو الفتح غازي ٠ وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين ابوبكر بن ايوب اخو السلطان ٠ وبحماه وسلميه والمعرة ومنبج الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب .
وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ابن فرخ شاه ابن شاهنشاه بن ايوب .
وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد شيركوه بن محمد شيركوه ابن شادي .

وبيد الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة اخيه الملك الأفضل .

وبيد الملك الزاهر مجير الدين داود ابن السلطان صلاح الدين البيرة واعمالها.

واستقر اقليم اليمن للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخي السلطان.

ولم يزل الملك الأفضل بالشام والملك العزيز بمصر الى ان وقع الخلف بينهما وجرى بينهما وقائع يطول شرحها .

ثم في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة اتفق الملك العادل وابن اخيه الملك العزيز على ان يأخذا دمشق وان يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز كسائر البلاد كما كانت لأبيه .

فخرجا وسارا من مصر الى دمشق واخذاها في يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة. وكان الملك الظافر خضر صاحب بصرى مع اخيه الملك الأفضل معاضداً له فأخذت منه بصرى فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب واعطي الملك الافضل صرخد فسار اليها بأهله واستوطنها .

وسلم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقع عليه الاتفاق. ورحل العزيز من دمشق يوم الاثنين تاسع شعبان .

فكانت مدة الأفضل بدمشق ثلاث سنين واشهراً ، وكانت ولادته يوم الفطر وقت العصر سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة فجأة بسميساط ونقل الى حلب ودفن بتربته بظاهرها .

واما العزيز عثمان فاستقر بمصر وفي ايامه في شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وصل جمع عظيم من الافرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت ، وسار الملك العادل ونزل بتل العجول واتته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصري صاحب بلبيس .

ثم سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها . ونازلت الافرنج تبنين فأرسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر ، فسار بنفسه بمن بقي معه من عساكر مصر فاجتمع بعمه الملك العادل على تبنين ، فرحل الافرنج على اعقابهم الى صور .

وعاد العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع العادل وجعل اليه امر الجزية والصلح .

ومات في هذه المدة سنقر الكبير ، فجعل الملك العادل أمر القدس الى صارم الدين قطلو مملوك عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن ايوب .

وتوفي الملك العزيز صاحب مصر في ليلة الاربعاء الحادية والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكانت مدة ملكه ست سنين إلا اشهراً ، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة واشهراً ، وكان حسن السيرة رحمه الله .

ثم استقر بعده في السلطنة ولده الملك المنصور محمد ، وعمره تسع سنين . فتشاور الامراء واتفقوا على احضار الملك الأفضل من صرخد ليقوم بالملك . فسار مجداً ووصل الى مصر على انه اتابك ملك المنصور. فخرج المنصور للقائه فترجل له الأفضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وكانت مقر السلطنة .

ثم برز الأفضل من مصر وسار الى الشام ليأخذها ، لاشتغال عمه الملك العادل بحصار ماردين. فبلغ العادل ذلك فسار الى دمشق ودخلها قبل نزول الافضل عليها ، وحصل بينهما قتال .

ثم سار الأفضل الى مصر ، فخرج الملك العادل في أثره . فخرج اليه الأفضل واقتتلا فانكسر الأفضل وانهزم الى القاهرة . ونزل العادل القاهرة وتسلمها ودخل اليها في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة .

ثم سار الأفضل الى صرخد ، وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة . ثم ازال الملك المنصور واستقر الملك العادل في السلطنة ، وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال

سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وخطب له ابن اخيه الملك الظاهر بحلب وضرب السكة باسمه ، وانتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه ، وخطب له على منابرها .

وفي الشهر الذي دخل فيه العادل القاهرة توفي القاضي الفاضل ابو علي عبدالرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين ابي المجد علي اللخمي العسقلاني الشافعي الملقب مجير الدين وزير السلطان صلاح الدين ، وكان إماماً في صناعة الانشاء وسيرته مشهورة وكانت وفاته في ليلة الاربعاء سابع عشر وقيل : سادس عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة ، ودفن بتربته بسفح المقطم في القرافة الصغرى رحمه الله وله نحو سبعين سنة . وأرخ السبكي مولده في منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وتوفي العماد الكاتب هو ابو عبد الله محمد بن صفي الدين الاصفهاني الشافعي الذي كان في خدمة الملك صلاح الدين ، له (الفيح القسي في الفتح القدسي) كله رجز مسجع ، وهو من كتب الدنيا لما فيه من البلاغة والصناعة ووفاته في ثاني جمادى الآخرة وقيل في شعبان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وله نحو تسعين سنة .

وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطيفة ، فمن ذلك ما يحكى عنه : انه لقيه يوماً وهو راكب على فرس فقال له العماد : سر فلا كبا بك الفرس .

فقال له الفاضل : دام علا العماد . وهذا مما يقرأ مقلوباً ومستقيماً بالسواء .

وكانت وفاة العماد بدمشق ودفن في مقابر الصوفية رحمه الله .

وفي سنة ستمائة كان الملك العادل بدمشق واجتمع الافرنج لقصد بيت المقدس ، فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور في قبالة الافرنج بالقرب من نابلس ، ودام ذلك الى آخر السنة .

ثم دخلت سنة احدى وستمائة فيها كانت الهدنة بين الملك العادل والافرنج

وسلم الى الافرنج يافا ، ونزل عن مناصفة لد والرملة ، ثم سار الى مصر .

ثم في سنة ثلاث وستمائة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في طريقه عكا ، فصالحه اهلها على اطلاق جميع من بها من الاسرى ، ثم سار الى طرابلس وحصرها ورحل عنها .

ثم في سنة اربع وستمائة وقعت الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس ، وعاد العادل الى دمشق .

ولما كان بتاريخ سنة اربع عشرة وستمائة والملك العادل بالديار المصرية اجتمع الافرنج في داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم ، فلما بلغ الملك العادل ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس . فسار الافرنج اليه ولم يكن معه من العساكر ما يقدر به على ملتقاهم فاندفع قدامهم فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين بيسان ونابلس ومشوا سراياهم فقتلوا واسروا وغنموا من المسلمين ما يفوق الحصر وعادوا الى مرج عكا . وكانت مدة هذا النهب ما بين منتصف رمضان وعيد الفطر . وانقضت السنة والافرنج بجموعهم في عكا .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة والملك العادل بمرج الصفر وجموع الافرنج بمرج عكا ، ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط .

وسار الملك الكامل بن العادل من مصر ونزل قبالهم ، واستمر الحال على ذلك اربعة اشهر . وأرسل العادل العسكر الذي عنده الى ابنه الملك الكامل . فلما اجتمعت العساكر اخذ في قتال الافرنج ودفعهم عن دمياط .

ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين – قرية ظاهر دمشق – فنزل بها ومرض واشتد مرضه ، وتوفي هناك رحمه الله في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة . وكان مولده سنة اربعين وخمسمائة ، فكان عمره خمساً وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة ، ولمصر نحو تسع عشرة سنة .

وكان رحمه الله حازماً مستيقظاً غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة حليماً صبوراً ، واتته السعادة واتسع ملكه وكثرت اولاده وخلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات ، ولم يكن احد من اولاده حاضراً عنده ، فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنابلس فكتم موته واخذه ميتاً في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى على جميع ما كان مع ابيه من الجواهر والسلاح . فلما وصل الى دمشق حلف الناس واظهر موت ابيه ،وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته .

واستقر بعده في السلطنة بالديار المصرية ولده الملك الكامل ابو المعالي محمد واستقر في الشام اخوه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر ، وكانت مملكته من حدود بلد حمص الى العريش يدخل في مملكته بلاد السواحل الاسلامية وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك .

﴿ تخريب اسوار بيت المقدس ﴾

لما توفي الملك العادل عاد الافرنج لجهة القاهرة وملكوا دمياط وهجموها في عاشر رمضان سنة ست عشرة وستمائة واسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمعهم في الديار المصرية .

فلما رأى الملك المعظم عيسى ذلك خشي ان يقصدو القدس فلا يقدر على منعهم فأرسل الحجارين والنقابين وشرعوا في تخريبه في سنة ست عشرة وستمائة فخرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية .

وانتقل منه عالم عظيم ، وهرب اهله منه خوفاً من الافرنج ان تهجم عليهم ليلا او نهاراً وتركوا اموالهم وانقالهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل : انه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم ، وضج الناس وابتهلوا الى الله تعالى عند الصخرة وفي الأقصى .

وكان الملك المعظم عالماً فاضلا وكان حنفياً متعصباً لمذهبه، وخالف جميع اهل بيته فانهم كانوا شافعية. وله بالقدس مدرسة الحنفية عندباب المسجد الأقصى المعروف الآن بباب الدويدارية، وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية، ووقف على ذلك اوقافاً حسنة.

وفي ايامه جددت عمارة القناطر التي على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار وغير ذلك بالمسجد الأقصى، وغالب الابواب الخشب المركبة على ابواب المسجد عملت في ايامه واسمه مكتوب عليها، وعمر مسجد الخليل عليه السلام ووقف عليه قريتي دورا وكفربريك. ولما غاب عن القدس كتب اليه بعض اصدقائه.

غبت عن القدس فأوحشته لما غدا باسمك مأنوسا
وكيف لا تلحقه وحشة وأنت روح القدس يا عيسى

وفي سنة سبع عشرة وستمائة فتح الملك المعظم قيسارية وهدمها.

وفي سنة ثماني عشرة قوى طمع الافرنج المتملكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر، ووصلوا الى المنصورة. واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً، وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته واهل بيته يستحثهم على انجاده.

فسار الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بعسكره، واخوه الملك الأشرف مظفرالدين موسى صاحب البلاد الشرقية بعساكره، واستصحب عسكر حلب، والملك الناصر قلج ارسلان صاحب حماه، وصاحب بعلبك الملك الأمجد بهرام شاه وصاحب حمص اسد الدين شيركوه، ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الافرنج على المنصورة فركب والتقى مع اخوته ومن في صحبتهم من الملوك واكرمهم فقويت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الافرنج لما شاهدوه من كثرة العساكر الاسلامية وتجمعهم.

واشتد القتال بين الفريقين، ورسل الملك الكامل واخوته مترددة الى الافرنج

في الصلح ، وبذل لهم المسلمون تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه السلطان من الساحل ما عدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط للمسلمين . فلم يرض الافرنج بذلك وطلبوا ثلثمائةالف دينار عوضاً عن تخريب اسوار بيت المقدس وقالوا : لابد من تسليم الكرك والشوبك ·

وبينما الأمر متردد في الصلح والافرنج يمتنعون إذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الأرض التي عليها الافرنج من بر دمياط ففتحوا فجوة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والافرنج لا خبرة لهم بأمر النيل · فركب الماء تلك الأرض وصار حائلا بين الافرنج وبين دمياط ، وانقطعت عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعاً ، وبعثوا يطلبون الأمان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة الصلح ، وكان فيهم عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكاً .

واختلفت الآراء في ذلك ، ثم حصل الاتفاق على إجابتهم لتضجر العسكر وطول المدة لأنهم كان لهم ثلاث سنين واشهر في القتال ، فأجابهم الملك الكامل . وطلب الافرنج رهينة ، فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الافرنج . وحضر من الافرنج رهينة ملك عكا ، وصاحب رومة الكبرى وغيرهما من الملوك . وكان ذلك في سابع رجب سنة ثماني عشرة ·

وجلس الملك الكامل مجلساً عظيماً ووقف بين يديه الملوك من اخوته واهل بيته جميعهم ، وسلمت دمياط للمسلمين في تاسع عشر رجب . وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ·

ثم دخل الملك الكامل الى دمياط بمن معه ، وكان يوماً مشهوداً . ثم توجه الى القاهرة ، وانصرف الملوك الى بلادهم ·

﴿ وفاة الخليفة الناصر الذى فتح القدس فى أيامه ﴾

وتوفي الامام الناصر لدين الله العباسي ـ المتقدم ذكره ـ في اول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت خلافتـه نحو سبع واربعين سنة ، وعمي في آخر عمره وكان عمره نحو سبعين سنة .

ولما دخلت سنة اربع وعشرين وستمائة وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر واخيـه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمور بينهما ، فكـاتب الملك الكامل الانبرطون ملك الافرنج في ان يقدم الى عكا ليشغل سر آ اخيه الملك المعظم عما هو فيه ، ووعد الانبرطون بأن يعطيه القدس .

فسار الانبرطون الى عكا ، وبلغ الملك المعظم ذلك .

ثم توفي الملك المعظم عيسى في هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنـة اربع وعشرين وستمائة ودفن بقلعـة دمشق ، ثم نقل الى جبل الصالحية ودفن في مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية ، وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة . وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهوراً .

ولما توفي الملك المعظم ترتب في مملـكته بعده ولده الملك النـــاصر صلاح الدين داود .

فلما دخلت سنـة خمس وعشرين وستمائة ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه الناصر داود حصن الشوبك ، فلم يعطه إياه ولا أجابه اليـه . فسار الملك الكامل من مصر الى الشام في رمضان من هذه السنة ، ونزل على تل العجول بظاهر غزة ، وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرها من بلاد ابن اخيه . ووقع بينهما امور ومراسلات .

وقدم الانبرطون الى عكا بجموعه وقد مات الملك المعظم ، فاستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والافرنج وسورها خراب ، فعمر الافرنج سورهـا واستولوا عليها .

والانبرطون معناه : ملك الامراء بالافرنجية ، وكان صاحب جزيرة صقلية وكان فاضلا يحسن الحكمة والمنطق والطب ويميل الى المسلمين .

﴿ ذكر تسليم بيت المقدس الى الافرنج ﴾

لما دخلت سنة ست وعشرين وستمائة واستهلت وملوك بني ايوب متفرقون مختلفون قد صاروا احزاباً بعد ان كانوا اخواناً واصحاباً ، فقوى الافرنج بذلك وبموت المعظم عيسى ومن وفد اليهم من البحر .

وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن اخيه الناصر داود وسير الملك الكامل أخاه الملك الأشرف موسى لحصار دمشق ، والكامل مشتغل بمراسلة الانبرطون .

ولما طال الأمر ولم يجد الكامل بداً من المهادنة أجاب الانبرطون الى تسليم القدس اليه على ان تستمر اسواره خراباً ولا يعمره الافرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون المرجوع في الرستاق الى والي المسلمين ويكون لهم من القرى ماهو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الأمر على ذلك وتحالفا عليه .

وتسلم الانبرطون القدس في ربيع الآخر على القاعدة المذكورة . وعظم ذلك على المسلمين وحصل به وهن شديد وارجاف في الناس .

ولما وقع ذلك كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه فأخذ في التشنيع على عمه الكامل بذلك ، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الفرج الجوزي وكان واعظاً له قبول عند الناس فأمره الناصر داود ان يعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الافرنج ففعل ذلك . فكان مجلساً عظيما ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية ضمنها

فضل بيت المقدس منها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ٠

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الانبرطون وخلا سره من جهة الافرنج سار الى دمشق فوصل اليها في جمادى الاولى ٠

واشتد الحصار على دمشق واستولى عليها الملك الكامل وسلمها لأخيه الملك الاشرف موسى ، وعوض الناصر داود عنها الكرك والشوبك والبلقا والصلت والاغوار . ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه في قبولها فقبله ٠

واستمر الأشرف موسى بدمشق الى ان توفي في المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وتملك دمشق بعده اخوه الملك الصالح اسماعيل بعهد منه ٠

ثم سار الملك الكامل الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزلا عليها في جمادى الاولى من هذه السنة وحصلت امور ووقائع . ثم سلم الصالح اسماعيل دمشق الى اخيه الكامل لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وتعوض عنها بعلبك ٠

ولم يلبث الكامل غير ايام حتى مرض واشتد مرضه ، ومات لتسع بقين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وعمره نحو ستين سنة ، وكانت مدة ملكه مصر من حين مات والده عشرين سنة ٠ وكان ملكاً مهيباً حسن التدبير يحب العلماء ومجالستهم ، وهو الذي بنى القبة على قبر الامام الشافعي رضي الله عنه ٠

واستمر بعده في السلطنة بمصر ولده الملك العادل ابو بكر بن الكامل فانه كان نائبه بمصر ٠

واتفق الامراء بدمشق حين وفاة والده على تحليف العسكر له ، وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب نائباً عن الملك العادل ابن الكامل .

ورحل الناصر داود الى الكرك ، وتفرّقت العساكر .

فلما دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الملك الجواد يونس في جمادى الآخرة .

ودخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة وكان الملك الصالح أيوب سار من دمشق واستخلف فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمرو .

ووصل الصالح أيوب الى نابلس لقصد الاستيلاء على الديار المصرية . فسار الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما ،وهجموا على دمشق وحصروا القلعة ،وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على الملك المغيث في صفر .

فلما بلغ الصالح أيوب ذلك رحل من نابلس الى الغور وتشتت عنه عساكره وضاق به الأمر فقصد نابلس ونزل بها بمن معه ، فسار اليه الناصر داود بعسكره من الكرك وامسك الصالح أيوب وارسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام في خدمته بكل ما يختاره ، ولما اعتقل بالكرك ارسل اخوه الملك العادل ابو بكر صاحب مصر يطلبه من الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود . فأرسل العادل وتهدد الناصر بأخذ بلاده فلم يلتفت الى ذلك .

تم الجزء الأول من تاريخ الانس الجليل ، ويليه الثاني أوله : (الفتح الناصري الداودي)

فهرس مواضيع كتاب
﴿ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ﴾

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٩٥	المؤمل بن اسماعيل البصري
«	بشر بن الحارث الحافي
«	ذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم
«	السري بن المغلس السقطي
٢٦٩	محمد بن كرام المتكلم تنسب اليه الفرقة الكرامية
«	صالح بن يوسف ابو شعيب المقنع الواسطي
«	بكر بن سهل الدمياطي المحدث
٢٩٧	احمد بن يحيى البزاز البغدادي
«	الشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة الضرير
«	شيخ الاسلام ابو الفرج عبد الواحد بن احمد الشيرازي
«	الشيخ ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي
٢٩٨	الفقيه ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية
«	الشيخ ابو المعالي بن المرجا بن ابراهيم المقدسي
«	الشيخ ابو القاسم مكي بن القاسم الرميلي الشافعي
٢٩٩	ابو القاسم عبد الجبار بن احمد الرازي
«	الغزالي حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي
«	القاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشاغوني
«	الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي المعروف بابن القيسراني
٣٠٠	ابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون القرشي الكوفي
«	ابو روح ياسين بن سهل القابسي الخشاب
«	ابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم
٣٠١	الطرطوشي ابو بكر محمد بن الوليد بن ايوب القرشي الفهري

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٠١	ابو عبد الله محمد بن احمد بن يحيي الأموي العثماني
«	ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي المشهور بالديباجي
«	ابو الحسن علي بن احمد بن عبد الله الربعي
٣٠٢	ابو علي الحسن بن فرج بن حاتم الواعظ
«	الامام ابو بكر بن العربي محمد بن عبد الله
«	ابو بكر الجرجاني محمد بن احمد من جرجان نيسابور
«	تاج الاسلام ابو سعيد عبد الكريم السمعاني
«	من عباد بيت المقدس ادريس بن ابي خولة الانطاكي وعبدالعزيز المقدسي
٣٠٣	الحاكم بأمر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي
«	المستنصر بالله ابو تميم معد
٣٠٤	سقوط جدار بين يدي قبر النبي (ص)
«	كثرة الزلازل بمصر والشام سنة ٤٢٥
«	سقوط تنور قبة الصخرة سنة ٤٥٢
«	في سنة ٤٦٠ حدوث زلزلة بأرض فلسطين والرملة
٣٠٥	في سنة ٤٦٣ استولى على القدس والرملة آتسز بن اوق الخوارزمي
«	في سنة ٤٦٥ اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس
«	قتل آتسز في سنة ٤٧١ واستيلاء تاج الدولة امير تتش
«	ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه
٣٠٦	تغلب الفاطميين على بني العباس وبدء الدعوة بالمغرب
«	.. واولهم عبيدالله المهدي بالله ثم ابنه ابوالقاسم محمد القائم بأمر الله
«	ابو تميم المعز لدين الله باني القاهرة المحروسة
٣١١	إرسال العاضد العلوي خليفة مصر

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب
٣١٦	ارسال صلاح الدين إلى نائبه منقذ لتجهيز حسام الدين خلف العدو وسار في طلبهم حتى ادركهم قرب المدينة وكانوا نيفاً وثلمائة وهرب الافرنج
٣١٧	مدح قاضي دمشق محيي الدين ابن الزكي عند السلطان .
«	وفي سنة ٥٨٠ غزا السلطان الكرك وضيق على اهلها
«	احضار السلطان ولده الملك الأفضل من مصر الى دمشق
٣١٩	انتظار السلطان ولده نور الدين علياً وإبطاءه عليه
«	وصول نور الدين وعزمه على الجهاد
٣٢٠	فتح طبرية من قبل السلطان واجتماع الافرنج
«	وقعة حطين ـ وهي الوقعة العظمى
٣٢١	جلوس السلطان وعرض اكابر الاسارى عليه
٣٢٢	استيلاء المسلمين على الصليب الأعظم
٣٢٣	فتح عكا وحضور السلطان وخروج اهل البلد لملاقاته
٣٢٤	فتح الناصرة وصفورية
«	فتح قيسارية وفلج جماعة من الامراء
«	فتح نابلس واخراج القسوس من مشهد زكريا عليه السلام
«	فتح الفولة وغيرها وهي احسن الحصون
٣٢٥	فتح تبنين والحصار من قبل عمرو بن شاهنشاه
«	فتح صيدا ونزول السلطان واستلام مفاتيحها
«	فتح بيروت وتسلم السلطان لها
٣٢٦	فتح جبيل واخبار السلطان بتسليمها
«	هلاك القمس ودخول المركيس الى صور
٣٢٧	فتح عسقلان وغزة والرملة والداروم وغيرها

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٥٩	الوقعة الكبرى مع الافرنج
٣٦١	وصول ملك الألمان الى قسطنطينية
٣٦٢	ذكر نساء الافرنج ووصول المراكب
«	وقعة الرملة وكان السلطان في الصيد
٣٦٣	فتح شقيف وأرنون بالأمان
«	مقاتلة الافرنج عكا وحمل الطيور البطاقات
٣٦٤	وصول الاسطول من مصر
«	قصة ملك الالمان وعبوره بجنوده
٣٦٦	الوقعة العادلية ووصول ملك الألمان
«	ذكر ما تجدد للافرنج بوصول الكندهري
«	حريق المنجنيقات ومضايقة عكا
٣٦٧	وصول ابن ملك الألمان الذي قام مقام أبيه الى الافرنج بعكا
«	ذكر برج الذبان قرب ميناء عكا
٣٦٨	ذكر الكبش وحريقه
«	ذكر غير ذلك من الحوادث
٣٦٩	نوبة رأس الماء ومضايقة الافرنج
«	وقعة الكمين للعدو
٣٧٠	ذكر غير ذلك من الحوادث
«	قصة الرضيع واللصوص في الليل
٣٧٢	انتقال السلطان الى تل الصياصية
٣٧٣	وصول ملك الانكثير
«	غرق البطة في وسط البحر

صفحة	مواضيع الكتاب

AL-AUNS AL-JALIL
FOR
RUSLEM & KHLIL'S HISTORY

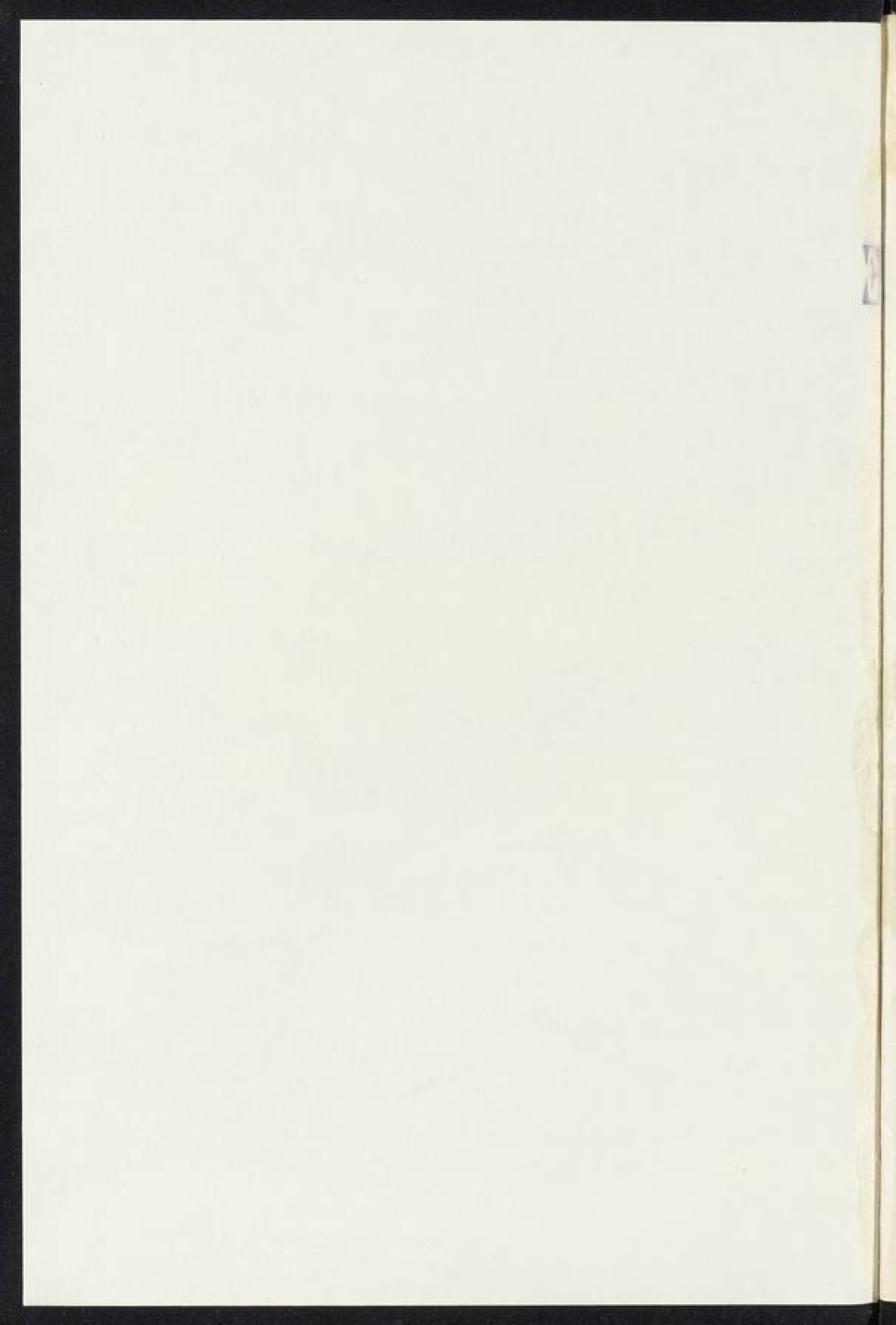
By: AL-IMAM

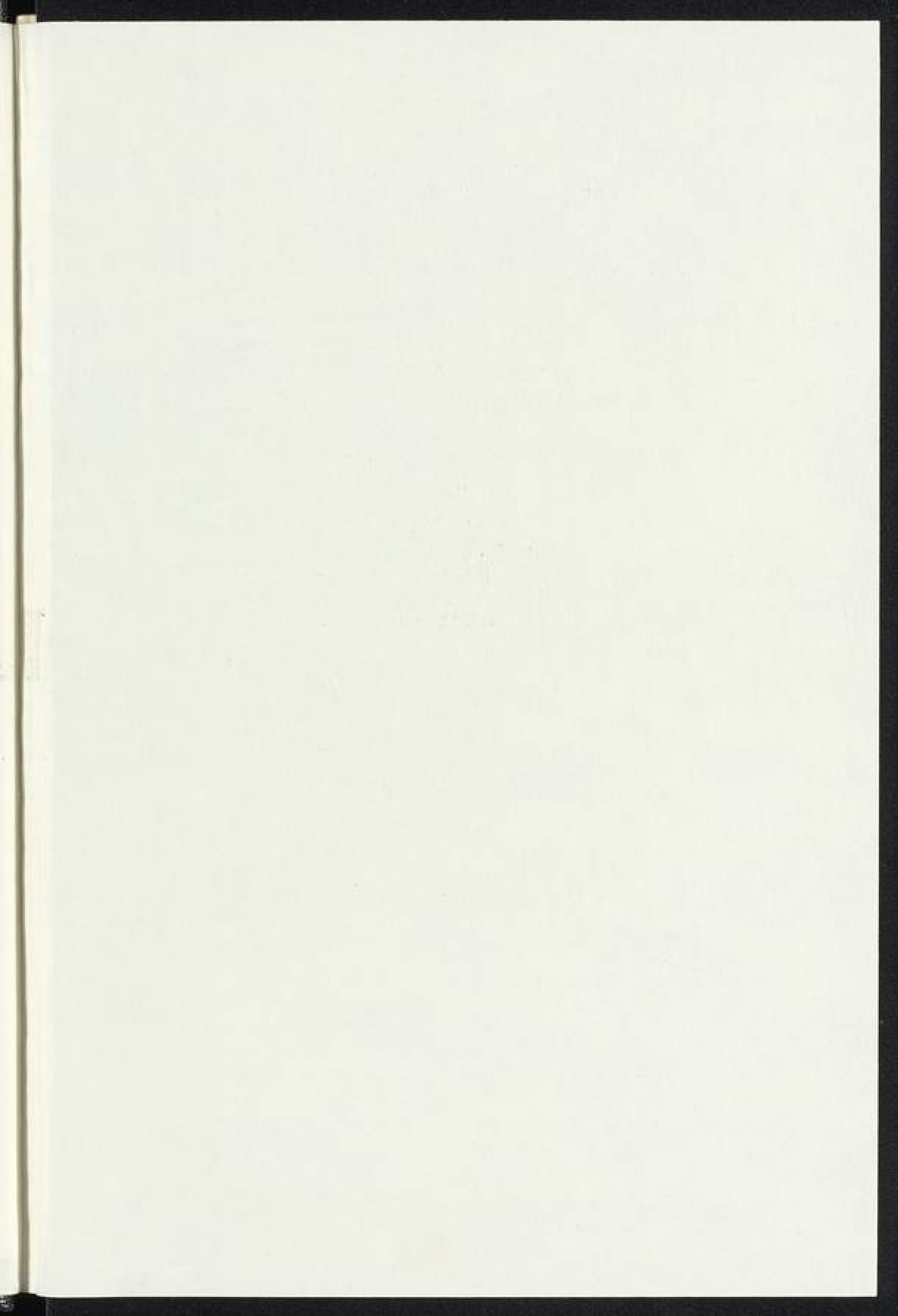
The Supreme Judge Aboo Al-Yaman
Mogeer Al-Din Al-Hanbaly

1968

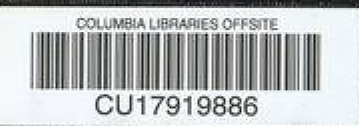
DISTRIBUTOR IN IRAQ
AL-MUTHANNA LIBRARY
PROPRIETOR : KASSIM. M. AR-RAJAB-BAGHDAD

AL-HAYDRIA LIBRARY & ITS PRESS
MOHD. KADUM AL-KUTUBI
NAJAF — IRAQ
Tel: 863








COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU17919886